تصوّفُ أَدْيَانِ السّمَاءْ

(قبالاليهود،رهبنةالمسيحين ،صوفية المسلمين)

- في روح العبادةالكتابية-

د\ سالم عبدالعزيز سالم عوده

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ }[1]

[1] - محمد:2

المحتويات:

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على كل الأنبياء والمرسلين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وصدق الله القائل{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }[1]

فمن الإيمان : الإيمان بالله ،ورسله ،وكتبه ،ومن الإسلام : مسالمة الخلق ،وحسن الأخلاق مع جميع الناس.

عن سيدنا أبى ذر قال: قال: لى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: : اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن"[2].

فالتصوف لا يخرج عن الإيمان بالله الواحد الأحد واتباع الرسل الكرام والكتب الموحى بها إليهم ،وحسن الأخلاق مع كل المخلوقات

فتكون قبالا

ورهبنة

---

[1] - البقرة : 285، 286

[2] سنن الترمذي 7 / 488

وتصوف

على أساس الكتاب والسّنة في كل دين من دين الله الخالق البر الرحيم وفق تجربة تتشابه أوتختلف مع غيرها ،ولكن الجميع في حدود طاعة ورسله.

وللتجربة الصوفية مؤيدون ومعارضون ،والكل في إطار الأخوة الإنسانية.

لا يعترف السلفيون ـ من كل الأديان – بالتجربة الصوفية الدينية، و يرون أنها بدعة وضلالة تسمى التصوف.

يرى السلفي الباكستاني "إحسان إلهي ظهير" تأثر الكثير من المتصوفة بأديان الهند حيث يقول:«كون التصوف وتعاليمه وفلسفته، أوراده وأذكاره، وطرق الوصول إلى المعرفة، والمؤدية إلى الفناء مأخوذة مستقاة من المذاهب الهندية والمانوية والزرادشتية أيضاً فلا ينكرها منكر، ولا يردها أحد، ولا يشك فيها شاك، بل إن كبار الكتّاب عن التصوف والباحثين فيه من المستشرقين والمسلمين، وحتى الصوفية أقروا بذلك حيث لم يسعهم إلا الاعتراف بهذه الحقيقة الظاهرة الجلية التي لا يمكن تجاهلها ولا إغفالها البتة»[1].

ويقول السلفي عبد الرحمن دمشقية " نرى أن التصوف قد تأثر بالاتجاه الهندي عموماً والبرهمي خصوصاً"، فالقول بالفناء الذي يدين به الصوفية هندي بحت، وحتى الطريقة الممهدة لحصول هذا الفناء ـ وهي طريقة الرياضة، ومخالفة الشهوة وتعذيب الجسد ـ هي طريقة هندية أخذها الصوفية عنهم ، وهذا ليس بسرّ، فالصوفية يصرحون بذلك ويشيرون إلى عبادة الهنود، ورياضاتهم ويتمثلون بها مما يؤكد أخذهم عن هذا المصدر»، والمقصود هنا بالفناء ما يطلق عليه نيرفانا.

والرأي نفسه يصرح به أنور الجندي الذي يقول:«وقد تأثر التصور الصوفي بمفاهيم الغنوصية والفلسفات اليونانية والهندية

---

[1] نور التحقيق: للشيخ حامد صقر ص 80

والمسيحية عليه، وكلها خارجة عن مفهوم التوحيد الخالص وبعيدة عن التصور الإسلامي وقيم الإسلام الأصيلة».

- رأي الصوفية:

بينما يرى الصوفية أن هذا غير صحيح، وليس اقتباساً من الديانات الأخرى، لأنه لا دليل عليه، وإنما هو تشابه التجربة الإنسانية الروحية في مختلف الديانات، نتيجة وحدة النفس البشرية، ولو اختلفت اللغات والثقافات. والتصوف هو نتيجة جهود عقلية ومجاهدات روحية تخصص فيها الصوفية، فنتج عنها فهم مختلف عن فهم الفقهاء السطحي. قال العز بن عبد السلام: قعد القوم من الصوفية على قواعد الشريعة التي لا تنهدم دنيا وأخرى وقعد غيرهم على الرسوم[1] ورجل عالم فقيه أصولي متكلم متبحر في معرفة عقائد الفرق والمذاهب مثل الإمام الغزالي، يرى أن التصوف هو أرقى ما توصل إليه العقل البشري من الرقي، فيقول: «إني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى، خاصة وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به»[2]. فهو يرى أن التصوف مبني على سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفهم روح منهاجه وطريقه.[3]

---

[1] نور التحقيق: للشيخ حامد صقر ص 96

[2] المنقذ من الضلال للإمام الغزالي تحقيق الدكتور عبدالحليم محمود ص (145).

[3] الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية - يوسف خطّار ص 11

ومما تقدم نقول:

إن الكل يسيرون في طريق ديني مصدره السماء:

- **اليهودية (القبالا)**
- **المسيحية (الرهبنة)**
- **الإسلام (التصوف)**

ويجمع هؤلاء أنهم أخوة وبشر يطمحون إلى السلام خارجيا وداخليا.

والله الواحد الفرد الصمد يهدي الجميع.

د\ سالم عبدالعزيز سالم عوده.

يطمح البشر جميعهم إلى بناء السلام:

- **خارجيا عالميا: بين الدول،والشعوب.**
- **وداخليا على مستوى الفرد ذاته**

وبناء السلام نشاط يهدف إلى حل مشكلة الظلم (أو عدم الإنصاف) بطرق لاعنفية، وتبديل الظروف الثقافية والهيكلية التي تولد صراعًا مميتًا أو مدمرًا. يتمحور حول تطوير العلاقات الشخصية والجماعية والسياسية البنّاءة، عبر الحدود العرقية والدينية والطبقية والقومية والعنصرية. وتشمل هذه العملية منع العنف، وإدارة الصراع، بإيجاد الحل أو التغيير، والمصالحة بعد الصراع أو علاج الصدمات، قبل أي حالة عنف وخلالها وبعدها. يُعتبر بناء السلام أسلوب أو تقنية متعددة التخصصات ومتعددة القطاعات، تصبح إستراتيجية عندما تعمل على المدى الطويل وعلى جميع مستويات المجتمع، لتأسيس وإدامة العلاقات بين الناس محليًا وعالميًا، وبالتالي إحداث سلام مستدام. تعالج الأنشطة الاستراتيجية لبناء السلام، الأسباب الجذرية للعنف أو الأسباب المحتملة له، وتخلق توقعات مجتمعية للحل السلمي للنزاعات، وإحلال الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع. يتفاوت المشمولون في عملية بناء السلام تبعًا لحالة وعامل بناء السلام. تخلق أنشطة بناء السلام الناجحة، بيئة داعمة للسلام المتين والمستدام، والوفاق بين الخصوم، ومنع نشوء الصراع مجددًا، وإشراك المجتمع المدني، وإنشاء آليات لسيادة القانون، ومعالجة القضايا العمرانية والاجتماعية الأساسية. يزداد اعتقاد الباحثين والعاملين بكون بناء السلام أكثر فعالية وديمومة، عندما يعتمد على المفاهيم المحلية للسلام، والديناميات الأساسية التي تعزز الصراع أو تمكّنه. [1]

---

[1] **"ما هو بناء السلام الاستراتيجي؟". معهد كروك لدراسات السلام الدولي، جامعة نوتر دام.. 2018 "فهم بناء السلام باعتباره محليًا بشكل أساسي". الاستقرار: المجلة الدولية للأمن والتنمية،**

- تعريف بناء السلام:

يختلف التعريف الدقيق لبناء السلام تبعا للجهة الفاعلة، حيث تحدد بعض التعاريف ماهيّة الأنشطة التي تدخل في نطاق بناء السلام، أو تقيّد بناء السلام بالنسبة لتدخلات ما بعد الصراع. يُتّفق في جميع التعاريف على أن تحسين الأمن الإنساني هو المهمة الأساسية لبناء السلام، حتى ولو بقي مفهوم بناء السلام غير متبلور، ودون مبادئ توجيهية أو أهداف واضحة.[1]

يتضمن بناء السلام في هذا السياق، مجموعة واسعة من الجهود التي تبذلها مختلف الجهات الفاعلة في الحكومة والمجتمع المدني على المستويات المجتمعية والوطنية والدولية، لمعالجة الأسباب الجذرية للعنف، وضمان تحرر المدنيين من الخوف (سلم سلبي)، والتحرر من الفاقة (سلم إيجابي)، والتحرر من الإذلال قبل الصراع العنيف وخلاله وبعده.

تبقى فكرة بناء السلام مميزة، على الرغم من تداخل العديد من أهدافها مع أهداف صنع السلام وحفظ السلام وحل النزاعات. ينطوي صنع السلام على وقف نزاع مستمر، بينما تكون عملية بناء السلام قبل بدء النزاع أو بمجرد انتهائه. يمنع حفظ السلام استئناف القتال بعد الصراع، فهو لا يعالج الأسباب الكامنة وراء العنف ولا يعمل على إحداث تغيير مجتمعي، كما هو الحال في عملية بناء السلام. يختلف حفظ السلام أيضا عن بناء السلام، لأنه لا يحدث إلا بعد انتهاء الصراع، وليس قبل أن يبدأ. لا يشمل حل النزاعات بعض مكونات بناء السلام، مثل بناء الدولة والتنمية الاجتماعية والاقتصادية. يُستخدم المصطلح أحيانًا للإشارة إلى سياقات ما بعد الصراع أو ما بعد الحرب، وبشكل أوسع للإشارة إلى أي مرحلة من مراحل الصراع. تتعامل جهود بناء السلام الوقائية -قبل أن يتحول الصراع إلى عنف- مع المصادر المحتملة لعدم الاستقرار والعنف، عن طريق برامج إصلاح القطاعات الأمنية والقانونية

---

[1] جينيفر م. (2007). "هل يمكن لحفظة السلام أن يكونوا بناة سلام؟". حفظ السلام الدولي. 14

والصحية والتعليمية والاجتماعية والدبلوماسية والتنمية الاقتصادية. ويُصطلح ذلك أيضا بمنع الصراع. تسعى جهود بناء السلام لإدارة الجوانب الرئيسية للصراع، وتخفيفها وحلها وتبديلها، من خلال الدبلوماسية الرسمية، وكذلك من خلال عمليات السلام في المجتمع المدني، والحوار غير الرسمي والتفاوض والوساطة.

يعالج بناء السلام الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الجذرية للعنف، ويعزز المصالحة لمنع عودة العنف المنظم والمباشر. تسعى جهود بناء السلام لتغيير المعتقدات والمواقف والسلوكيات، لتحويل الديناميات قصيرة وطويلة الأمد بين الأفراد والجماعات إلى تعايش أكثر استقرارًا وسلميًّة. بناء السلام هو نهج لمجموعة كاملة من الجهود المتشابكة التي تدعم السلام.

عرّفت لجنة السياسات التابعة للأمين العام للأمم المتحدة بناء السلام في عام 2007 على النحو التالي: «ينطوي بناء السلام على مجموعة من التدابير الهادفة إلى تقليل خطر الانقضاء أو الارتداد إلى الصراع، من خلال تعزيز القدرات الوطنية على جميع المستويات لإدارة الصراع، ووضع الأسس اللازمة للسلام المستدام والتنمية المستدامة. يجب أن تكون استراتيجيات بناء السلام متماسكة ومُكيّفة مع الاحتياجات المحددة للبلد المعني، بناءً على الملكية الوطنية، وينبغي أن تشتمل على مجموعة ضيقة نسبيا من الأنشطة المتعاقبة والتي حُددت أولوياتها بدقة، والهادفة إلى بلوغ المقاصد المذكورة آنفاَ.

والسلام على المستوى الشخصي الفردي هو ما يسمى:

السلام الداخلي (أو راحة البال) يشير إلى حالة السلام في تكوينه العقلي والروحي مع ما يكفي من المعرفة والفهم للحفاظ على قوة النفس في مواجهة الخلاف والتوتر.

أن تكون (في سلام) يعني للكثيرين أن تكون صحي (متوازن) وهو عكس أن تكون مرهقاً وقلقاً. وترتبط راحة البال عموماً بالنعيم والسعادة والرضا.

يعد كلاً من راحة البال والسكون والهدوء أوصاف لحالات تخلو من آثار التوتر. تعتبر بعض الثقافات السلام الداخلي حالة من الوعي أو التنوير التي قد يمكن الوصول إليها عبر أشكال مختلفة من التدريب، مثل: الصلاة، و التأمل ورياضة التشي تاي تشون (T'ai chi ch'uan) أو اليوغا. حيث تشير العديد من الممارسات الروحية إلى هذا السلام كتجربة لمعرفة الذات. وكثيراً ما يرتبط إيجاد السلام الداخلي مع التقاليد مثل: الهندوسية والبوذية.

يؤكد تنزين غياتسو، الدلاي لاما الرابع عشر على أهمية السلام الداخلي في العالم:

المسألة الحقيقية للسلام الدائم للعالم يتعلق بالبشر، لذلك نجد أن المشاعر الإنسانية أساسية أيضاً. يمكن تحقيق السلام للعالم من خلال السلام الداخلي، حيث تتضح أهمية المسؤولية الفردية؛ يجب أولاً أن نتوصل للسلام داخل أنفسنا، ثم يتوسع تدريجياً ليشمل عائلاتنا، مجتمعاتنا، وفي نهاية المطاف الكوكب بأكمله.[1]

---

[1] كرافت ، كينيث (1992). السلام الداخلي ، السلام العالمي: مقالات عن البوذية واللاعنف. 1992. ص.2

ما من أمة أو شعب أو قبيلة بدائية، منذ فجر البشرية حتى يومنا هذا، إلا وينطوي حتى الجانب الظاهر من معتقداته على وجود "علَّة أولى" من وراء نواميس الطبيعة وخلود النفس (العليا). ولم يستطع أيُّ معتقد بالٍ أو أية فلسفة زائفة أو سلطة قاهرة، دينية أو زمنية، القضاء على هذا الشعور الأصيل في الإنسان، الأمر الذي يجعلنا نقطع بأنه إرث مشترك للإنسانية قاطبة.

يعلِّمنا المنقول الباطني بأن العلَّة الحقيقية للوجود ككل تبقى مستترة أبدًا وعصيَّة على العاقلة البشرية، وبأن أول تجلِّياتها هو أكمل تجريد يستطيع الإنسان أن يتذهَّنه. لذا نفترض أن هذه التجلِّيات هي علَّة الكون المادي؛ منها تتفرع القدرات الثانوية التي تعبَّد الإنسانُ لها وأسْلَسَ قياده بوصفها "الإله" أو "الآلهة"، بما يتوافق مع روح كلِّ عصر، بعد أن خلع عليها صورة شخصية هي خلاصة مكثفة لاختباره لها[1]؛ إذ يتعذر تذهُّن شيء لا علَّة له؛ ومحاولة القيام بذلك تبلغ بالفكر أقصى تخومه الممكنة حتى فراغه التام من كلِّ الموضوعات: تلكم هي الحال التي يبلغها الذهن أخيرًا عندما يحاول أن يقتفي إلى الوراء سلسلة العلل والمعلولات.[2]

"اللاهوت سعة غير محدودة ولانهائية"، كما تقول حكمة باطنية كثيرًا ما تورِدها السيدة بلافاتسكي في كتاباتها؛ والوحدة القصوى المبطِّنة لكلِّ جزء من أجزاء الطبيعة – من النجم إلى ذرة المادة، ومن أعلى دْهِيَن تشوهَن Dhyan Chohan (كائن ملائكي من مرتبة رفيعة) إلى أصغر جرثومة – إنما هي الناموس الأساسي الأوحد في علم الباطن، سواء طُبِّق على العالم الروحاني، أو العالم الذهني، أو العالم الجسماني.

---

[1] **من هنا على كل معتقِد بـ"إله شخصي" مفارق ألا ينسى أن كلَّ إنسان إله "بالقوة"، وقبس صاف من نور المطلق، وشعاع سماوي صادر عن المبدأ الأول، وأن يُبقي في ذهنه أن "إلهه"، بالتالي، في الداخل أيضًا وليس في الخارج وحسب!**

[2] **يقفز الدين والعلم إلى هذه الحالة قفزًا بـ"حرق المراحل"، فلا يفهمانها، فتبقى في نظر الفكر تجريدًا ذهنيًّا بحتًا لا يمتُّ إلى التحقُّق الروحي بصلة.**

إن تصورات الإنسان عن الألوهة تتطور بتطور فكره وتفتُّحه. في ضوء هذا، يصح أن أنبل المُثُل التي تلامسها الروح الدينية في تحليقها في عصر ما قد تبدو باهتة أمام العقل الفلسفي لعصر يليه؛ وقِسْ على ذلك نضج المُثُل التي يتخذها الإنسان هاديةً له في حياته في مختلف مراحل هذه الحياة. من هنا ضرورة المسارَرة Initiation في مجال الخبرة الروحية. فتلك (إن توفَّر للمسارَر الاستعداد والأهلية) هي العصمة للمرء كيلا يسقط في شباك الوهم والتجريدات الذهنية البحتة؛ وبدونها لا بدَّ أن يبقى جناحا الفكر مهيضين للحؤول دون تحليق أعلى قد يكون وبالاً على صاحبه.

عندما يصرِّح الثيوصوفيون بأن الله ليس موجودًا لأنه عدم محض، لاشيء – أي لا-شيء No-thing – فإنهم يكنُّون للاهوت إجلالاً وخشوعًا أعظم بكثير ممَّن يشخِّصون الله، جاعلين إياه ذَكَرًا ضخمًا، يغضب ويندم، يعاقب ويثيب. من هنا، يتطلَّب تخطِّي التصورات التشخيصية عن الألوهة اقتفاء أثر الكلمة (أو العقل الأول) في كلِّ دين حتى أصله النهائي وماهيَّته القصوى. والألوهة المثلَّثة العماء-الإله-الكون Chaos-Theos-Kosmos إنما هي الكل في الكل، وهي سلسلة أشفاع الصفات كلِّها [1]؛ لذا يقال إنها ذكر وأنثى في آنٍ معًا، إيجاب وسلب، نشر وطَيّ، نور وظلمة، إلخ. أما علَّة العلل التي لا علَّة لها، "المجهول الأسمى" (التعبير لطاغور)، فيجب على الإنسان أن يُعِدَّ لها مقامًا ومذبحًا في قدس أقداس نفسه، في القلب منه والسرِّ، وأن تكون روحه هي الوسيط الأوحد بينه وبين الروح الكلِّية، جاعلاً من أعماله الصالحة كهنة ومن نواياه السيئة قرابين!

- المبدأ الأساسي الثاني:

تشدد العقيدة السرية على أزلية الكون ككل، باعتباره، كما أسلفنا، مجالاً شاسعًا لعوالم لا عدَّ لها، تتجلَّى وتحتجب بغير انقطاع. فالفرضية الثانية للعقيدة السرية إذن هي الشمولية المطلقة لقانون الدورية، قانون المدِّ والجزر أو الدفق والانحسار، الذي نشهده في الطبيعة قاطبة؛ وإن

---

[1] "إن الله لا يُعرَف إلا بالجمع بين الأضداد." (أبو سعيد الخراز)

تناوبًا، كتناوب النهار والليل، أو تناوب الحياة والموت، أو تناوب الصحو والنوم، لهو واقع مألوف وشامل، لا يُستثنى منه شيءٌ على الإطلاق، الأمر الذي يجعلنا نبصر فيه ناموسًا أساسيًّا من نواميس الكون.

بذا ينجلي لبصيرتنا كمالُ المقايسة بين سيرورة الطبيعة في الكون، من جهة، وفي الإنسان الفرد، من جهة أخرى. فالإنسان، شأنه شأن الكون، يحيا دورة من دورات حياته ثم يموت بانتهاء أجَلِه. وتتحلَّل "مركبات" الإنسان أو "المبادئ" المؤلِّفة لبنيانه الباطن مع الوقت، فتستعمل الطبيعة "المواد" التي كانت تشكِّلها لتشكيل مبادئ جديدة؛ وهذه السيرورة عينها تتم في تحلُّل العوالم وإعادة تشكيلها. القياس analogy، إذن، هو أضمن هادٍ للباحث في مسعاه لفهم التعاليم الباطنية، من حيث إن قانون ولادة كلِّ ما في الكون ونموِّه وموته، من الشموس حتى ديدان الأرض، قانون واحد؛ وهو لا يني يسير بالكون إلى المزيد من الاكتمال، مع كلِّ ظهور أو تجلٍّ جديد، ساريًا على كلِّ جرم من أجرام الكون، صَغُر أم كَبُر.

وحده الحكيم المسارَر Initiate يستطيع أن يكتنه الكمال المطلق الذي تبلغه الموجودات لدى اختتام فترة عظمى من التجلِّي الكوني، أو مَـهامَـنْـفَـنْـتَـرا Mahamanvantara، مستريحة إبان الفترة التالية من الاحتجاب (بْـرَلَـيَـا Pralaya). بيد أن هذا الكمال، وإن يكن مطلقًا، فهو "مطلق نسبيًّا" لأنه ينبغي، بدوره، أن يفسح المجال للمزيد من الكمال المطلق، وفقًا لمعيار أرقى من التَجَوْهُر، إبان الفترة التالية من النشاط أو التجلِّي – مثلما أن على الزهرة الكاملة أن تذوي مفسحة المجال للثمرة الكاملة.[1]

---

[1] - **إن فكرة أن *بمستطاع الأشياء أن تنعدم وتبقى مع ذلك موجودة* فكرةٌ أساسية في مبادئ الحكمة؛ إذ تختبئ تحت هذا التناقض الظاهري بين مدلولي لفظتي الوجود *existentia* والكينونة *esse* حقيقة كونية كبرى. فمثلما أن الهيدروجين والأوكسجين ينعدمان لدى اجتماعهما لتركيب الماء، ويبقيان مع ذلك موجودين، لكنْ في حالة أرقى من حالة وجودهما الغازي، كذلك حال الكون عندما "يهجع" أو ينعدم قبل أن يصحو ويعاود الظهور.**

تعلِّم الحكمة قانونًا سرمديًّا دوريًّا في الطبيعة والكون، لا يُستثنى من سلطانه أيٌّ موجود، على مراتب وجوده كافة. يدعى هذا القانون بقانون كرما karma أو قانون السببية الكونية .[1] ولما كان التطور الروحي للإنسان الباطن يشكِّل من علوم الغيب محورَها فإن السعي إلى فهم سيرورة هذا التطور يتطلب من التوَّاق أن يضع بعين اعتباره أمرين:

أ- الحياة الواحدة الشاملة، الموجودة بمعزل عن وجود المادة الكثيفة؛ و

ب- العقول الفردية العليا التي تحرك التجلِّيات المتنوعة لذلك المبدأ الحيِّ الواحد.

ذلك أن الحياة وثيقة الصلة بالناموس الواحد – ناموس كرما – الذي يحكم مراتب الوجود حتى عالم الروح. ويشير هذا الناموس، من الوجهة الظاهرية، إلى "الفعل"، أو بالأحرى إلى العلة المنطوية على معلولها.

إن هذا الناموس لا يقدِّر شيئًا على أحد أو على أيِّ شيء؛ فهو قائم منذ الأزل وفيه، ويُعتبَر خير تصور عن الأزل. وبما أنه ليس ثَمَّ "فعل" يكافئ الأزلية فأصح من قولنا إنه "يفعل" قولُنا إنه "الفعل" بامتياز.[2] الإنسان لا يعاقَب على خطاياه بل يعاقَب "بها"، على حد قول كرِسْتمس هَمْفرِز، فرديًّا وجماعيًّا (كما في حالة أمم بأسرها أحيانًا). فالبشر هم الذين يولِّدون الأسباب التي تحرِّض، بدورها، القوى الموافقة التي تنشدُّ تلقائيًّا إلى مولِّديها وترتدُّ عليهم فكرًا وعملاً.

---

[1] - *كرما* كلمة سنسكريتية مشتقة من جذر كْرِ ***kri*** الذي يعني "الفعل". راجع: ديمتري أفييرينوس، *مقالة في التقمص*، سلسلة الحكمة 2.

[2]- إنه على سبيل المثال، ليس الموجة التي تُغرِق أحدهم بل هو الفعل الشخصي لذلك المسكين الذي وضع نفسه عامِدًا تحت الفعل اللاشخصي للقوانين التي تنتظم حركة البحر.

وفي محاولة لتقريب عمل ناموس كرما في التجدُّدات الدورية للكون إلى فكر المتأمِّل في أصل الإنسان والمغزى من وجوده، يجدر بنا أن نلفت انتباهه إلى التطبيقات الباطنية للدورات الكَرْمية (نسبةِ إلى كرما) على الأخلاق بالمعنى الكوني. لقد عرَّف الفيلسوف الهندي س. رادهاكرشنان بناموس كرما بوصفه "قانون مصونية الطاقة الأخلاقية". وإننا لنتساءل إن كانت للتقسيمات الغامضة التي أسماها الإغريق "حلقات" و"دوائر"[1] تطبيقات مباشرة على الحياة البشرية أو صلات بها. إن العلم الظاهر يقرُّ بوجود أدوار خاصة تنتظم السيرورات المادية؛ لكن ثمة أيضًا أدوارًا خاصة بالتطور الروحي تنتظم حياة الأعراق والأمم والأفراد. فهل للفلسفة الباطنية أن تتيح لنا المزيد من فهم عمل هذه الأدوار؟

إن الأنية العليا Higher Ego، أو المبدأ المتجسِّد، هي التي تسود على الأنية الدنيا Lower ego وتحكمها عندما لا تحيِّد الثانيةُ المؤثراتِ القادمةَ من الأولى بتأثير جمحاتها. وباختصار، فإن الرباعي الأدنى المكوَّن من "المركبات"[2] المؤلِّفة للشخصية Personality لا يعرقل الفردية Individuality في سيرها الحثيث على درب تطورها الصاعد إلا حينما تلدغ أنانيةُ الشخصية وأثرتُها الإنسانَ الباطنَ بنابها المسموم لدغة تشلُّ قواه، وبذلك تفقد قوةُ الجذب إلى أعلى كلَّ سلطانها على الإنسان العاقل.

وحدها معرفة عقيدة التقمص reincarnation المتكرر للفردية نفسها عمرًا بعد عمر، مع الاستيقان أن على الجوهر الفرد أن يجتاز دورة الضرورة Cycle of Necessity، مُثابًا بالتقمص على الألم الذي

---

1 - تقابلها اليوغا *yuga* والكَلْبا *kalpa* في العقائد الهندوسية، و"الأدوار" و"الأكوار" في العرفان الإسلامي. فيما يخص بمبدأ الدورية في الطبيعة والكون راجع: *مقالة في التقمص*، ص 25-27.

2- "المركبات" أو "المبادئ" المكوِّنة للشخصية Personality هي البدن، والجسم النجمي astral body، والمبدأ الحيوي *prana* المتخلِّل لها جميعًا، والجسم الرغائبي *kama-rupa*؛ بينما المبادئ المؤلِّفة للفردية Individuality هي الذهن *manas* بشقَّيه: الفكر (الأقرب إلى طبيعة الشخصية) والعقل (الأقرب إلى طبيعة الفردية)، والعقل الأرفع *buddhi* والروح *atma*. يؤلف مجموع العقل الأرفع والروح *atma-buddhi* ما يُعرَف بالجوهر الفرد Monad، ويصل بين الفردية والشخصية جسرُ أو "برزخ" من المادة الذهنية يُسمى *أنتسكارنا* *antaskarana*

عاناه، أو مُعاقَبًا على الألم الذي تسبَّب فيه، في أعمار سابقة – نقول: وحدها معرفة هذه العقيدة تعلِّل مسألة الخير والشر وتُصالِح الإنسان مع ظلم الحياة الرهيب في ظاهره؛ إذ لا شيء إلا اليقين الداخلي، القائم على المعرفة، بوسعه أن يهدِّئ من روع إحساسنا المتمرد بالعدالة.

تعتبر الثيوصوفيا الإنسانيةَ صدورًا وفيضًا عن حالة من "الألوهية" في طريقه إلى العودة إلى المبدأ الذي صدر عنه. وفي شوط متقدم جدًّا من درب التفتح الإنساني الطويل يبلغ المرء
مرتبة النطاسة **Adeptship** التي لا يرقى إليها إلا من نَذَرَ عدة أعمار متوالية لبلوغها.[41] وقد يكون عدد الرجال والنساء ممَّن باشروا، منذ عدة أعمار سابقة، النهوض بهذا العمل الصعب، الرامي إلى تحقيق الإشراق الروحي الأسمى، عددًا لا يستهان به؛ غير أنهم ما يزالون، من جراء أوهام حياتهم الراهنة، إما جاهلين بذلك أو في سبيلهم إلى تفويت كلِّ فرصة متاحة لهم في حياتهم هذه لإحراز بعض التقدم. فهم يشعرون بانجذاب لا يعانَد إلى علم الباطن والسرَّانية وإلى الحياة العَلَيانية، لكنهم من التمركز حول شخصياتهم ومن التعلق بالحياة الدنيوية، بزيفها وأوهامها وملذَّاتها الزائلة، بحيث يقفون عاجزين عن الزهد والفقر الروحيين، [1] وبذلك يضيعون على أنفسهم كلَّ فرصة في هذه الحياة للتحول إلى حياة أجمل وأعمق. بيد أن الموناد في كلِّ كائن بشري هي، بحدِّ ذاتها، فردية روحية، واحدة، بما هي كذلك، مع الروح الكلِّية، وعليها معقد كلِّ رجاء في الخلاص والانعتاق.[2]

---

[1] لا يغيبنَّ لنا عن بال أن الوصول إلى هذه المنزلة لا يتم بين ليلة وضحاها وأن أعمارًا عديدة ضرورية لذلك حالما تُستوعى الغاية المرجوَّة ويُضطَّلع، من بعدُ، بالتدريبات الشاقة التي لا مندوحة عنها لبلوغها.

[2] - اللهم إلا إذا كسر الانحطاطُ الخُلُقي الأقصى صلة الوصل بينها وبين المبادئ الدنيا التي تفلت حينئذٍ من عقالها وتنطلق هائمة "على غير هدى على الدرب القمري"، بحسب التعبير الباطني.

هذا وإن القلب الإنساني لم يفصح بعد عن مكنوناته كلَّ الإفصاح، ومازلنا بعيدين كلَّ البعد عن بلوغ أو حتى استشفاف مدى قدراته. أفكثير علينا – والحالة هذه – أن نؤمن بأن في مكنة الإنسان أن ينمِّي في نفسه إمكانات جديدة ويعقد علائق أوثق وأنبل مع الطبيعة والكون – علائق قائمة فعلاً، لكنه لا يلقي إليها بالاً؟ إن في جعبة منطق التطور الكثير الكثير مما يمكن، لا بل يجب أن نتعلَّمه، على أن نتابعه حتى تخومه القصوى. وعندئذٍ لا بدَّ لنا أن نعرف، كشفًا وإلهامًا، أن ثمة، عند نقطة معينة من الدرب الصاعد، من المعدني والنباتي حتى أنبل البشر، حيث تتفتح نفس موهوبة بالخصائص الذهنية، ملكة إدراكية عليا، يمثِّلها القلب، تستيقظ في الإنسان وتمكِّنه من اكتناه أسرار حقائق تتخطى مدى إدراكنا العادي.

يبقى أن الإحجام عن قبول أن في منظومتنا الشمسية كائنات سوانا، عاقلة وقادرة على التفكير على المرتبة الإنسانية، هو من قبيل العناد المحض. فما لأحد أن ينكر سلفًا (وخصوصًا أن معطيات العلم الحديث باتت تؤيِّد ذلك) إمكان وجود عوالم ضمن عوالم في شروط مختلفة عن الشروط التي تكوِّن طبيعة عالمنا؛ وما لأحد أن ينكر علينا إمكان قيام اتصال بين هذه العوالم وعالمنا الأدنى.

وعلى ماسبق، فإن الثيوصوفيا تقول لنا: إن درب الخير هو درب الفلسفة – بمعنى حكمة الحياة والعمل – بما ينطوي عليه ذلك من أثر مباشر على المواقف الأخلاقية. فالمبدأ الأساسي الأول، بما هو قاعدة الأخوَّة الشاملة، يشدِّد أن "الواحد الذي ما له ثانٍ" موجود في كلِّ موجود، بما يجعله قادرًا على تخطِّي أية درجة راهنة في المعرفة أو أيِّ كمال نسبي في الحياة والسلوك. ويقتضي ذلك أن حضور هذه "الذات العليا" في كلِّ صورة إنسانية يعني أن بوسع كلِّ إنسان أن يتخطى ذات يوم أيَّ معتقد ضيِّق أو أيَّ مسلك شائن (بالمعايير الحالية) وأن يحقق الخلاص والحرية الروحية.

بينما يقترح المبدأ الأساسي الثاني، في كشفه عن شمولية الدورية في الكون، أن التناوب بين المدِّ والجزر في نموِّ الأفراد يؤدي حتمًا إلى تناوب بين الغشاوة والسطوع فيما يختص بغايات الروح. فالإنسان ذو النزعة المخرِّبة قد يكون مخرِّبًا الآن ولكن ليس إلى الأبد، ولا بدَّ له، ذات يوم، من أن يبلغ أشدَّه ويغدو قانونًا لنفسه، بمعنى أن يكون وحده قادرًا على الإفصاح عن القدرات العليا الكامنة فيه كلما أجازت له دورةُ حياته ذلك.

- أما المبدأ الأساسي الثالث، أو "العقيدة المحورية" في الفلسفة الباطنية، ففيه تجتمع كلُّ المفاهيم المتفرعة عن المبدأين الأول والثاني. فلما كان القصد من التطور هو تفتح الفردية، وكانت الفردية لا تتفتح إلا بمقدار ما يدرك المرء المغزى من تفاعله مع الموجودات الأخرى، كان مصيرُ الإنسان يقتضي بالضرورة الاشتغال بالفلسفة كمنهاج حياة. والقصد التربوي من الحياة ليس منع الإنسان نفسه من اقتراف "الشرِّ" فكرًا وعملاً، كما يُظَنُّ عمومًا، بل بالحري فهم مكوِّنات الخير والشر ورؤية الروابط التي تشد مصير كلِّ "نفس" إلى مصائر النفوس الأخرى في الخير والشرِّ جميعًا.

كل عقيدة سامية فهي نوع من المزاوجة بين :"العرفان" **gnosis** وبين مستوى قدرة الإنسان على استيعابه. لذا لا بدَّ أن يبلغ الإنسان شوطًا يتخطى فيه "حرف" العقيدة بحدِّ ذاتها إلى الهدف الأوحد منها: معرفة النفس. على هذا الأساس، ربما انطوت العقيدة على حقائق نفسية وروحية قد تيسِّر للمرء حدس هذه المعرفة الكلِّية وتحقيقها في باطنه.

الحياة، في المنظور الثيوصوفي، إنما هي مدرسة كبرى – بل ما من مدرسة سواها. وهذا يحتِّم علينا بلوغ شوط من التطور الداخلي نشعر فيه بوجوب فهم المغزى من وجودنا، ونعي طبيعتنا الحق، ولا ندَّخر وسعًا لاستعمال كافة السبل المتاحة لنا، في كلِّ اتجاه وكلِّ حالة من حالات وعينا (من صحو وحلم ونوم عميق إلخ) لمناغمة كياننا بحيث نوقِّع عليه أدواتنا الدنيا لتصير تعبيرًا كاملاً عن طبيعتنا الباطنة الكونية.

لكن عالمنا الأرضي صعب، من حيث إنه أدنى عوالم السلسلة الكوكبية Planetary Chain (المؤلَّفة من سبعة أجرام) وأغلظها: إنه عالم الثنائية والصراع والتغير الذي يعسر فيه إدراك الوحدة المبطِّنة للكثرة والتعدد اللانهائيين. لذا فإن درب المعرفة فيه ليس بالدرب الممهَّد بل هو درب "مفروش بالشوك والحصى المسننة، وعلى سالكه أن يدمى عقله وقلبه قبل أن تدمى يداه ورجلاه" (ميخائيل نعيمه، نجوى الغروب).

بيد أن لنا رجاء في النور الخفي الساطع في كلِّ شيء، وفي الروح المستتر في باطن كلِّ شيء، وفي الحياة التي لا تهَب لنا كلَّ ساعة أقل من ذاتها...

ولنا، قبل كلِّ شيء، وفي كلِّ شيء، وبعد كلِّ شيء، الحق الذي نحن منه، وبه، وفيه، وإليه، والذي "لا دين أعلى منه"، وبه وحده نستهدي إليه.

بين اليوجا والتصوف:

نبدا بتناول اليوجا وأصولها ومن يمارسونها

ـ اليوجا:

"بالهندية"□□□" :

هي مجموعة من الطقوس الروحية القديمة أصلها الهند، كمصطلح عام في الهندوسية، «جافين فلود» يعرف اليوجا بأنها تشير إلى «طريقة فنية أو ضوابط محددة من التصوف والزهد والتأمل، مما يرمي إلى خبرة روحية وفهم عميق جدا أو بصيرة في الخبرات».خارج الهند، أصبحت اليوجا مرتبطة بالممارسة في وضعية من التمارين «هاثا يوجا»، كما أنها أثرت بشكل كامل في عائلات

تدين بالبراهمانية وممارسات أخرى روحية حول العالم.

كما هي الحال في معظم النظم الفكرية الآسيوية الشرقية، لا يشترط بممارس اليوجا أن يتبع ديانة محددة أو أن يتخلى عن عقيدة ما.في الأدبيات البوذية، يستخدم مصطلح «التأمل» بدلا من مصطلح «يوجا»، إلا أن الغرب والعرب تعودوا على مصطلح «يوجا» بحيث أصبح من الصعب إدخال مصطلح آخر بنفس المعنى.

نصوص الهندوسية تناقش عديد من جوانب اليوجا بما فيها الأوبانيشاد والبهجافاد جيتا □□□□ □□□□□ (أغنية الإله)، وجوانب أخرى عدة.

الفروع الرئيسية من اليوجا تتضمن: هاثا يوجا، وكارما يوجا، وجانا يوجا، وراجا يوجا، راجا يوجا تعرف ببساطة في سياق الفلسفة

الهندوسية باليوجا، هي واحدة من ستة مدارس أرثوذكسية حيث أنها أسست بواسطة يوجا ساتراس من باتانجالي.

لها ناحيتان:

1.ناحية فكرية:

تتمثل بالإيمان بأن التحرر الروحي يحصل حين تتحرر النفس من ارتباطها بالمادة الذي نتج عن الوهم. والناحية الفكرية مرنة جدا وتستدعي المناقشة والتحليل والنقد والتفكير والتطوير بكل حرية وبدون قيود. أي أنها ليست مجموعة عقائد جامدة ولا تشترط الإيمان المطلق، بل تحذر منه.

2.ناحية عملية:

متمثلة بالتمارين البدنية وتمارين التحكم بالتنفس وممارسات أخرى مثل الفنون الجميلة والفنون القتالية (ولها تطبيقات في المجالات الحديثة مثل الأعمال والصناعة والتجارة والتكنولوجيا). والجانب العملي يتدرج خطوة خطوة حسب قابلية الفرد في محاولة الوصول به إلى مرحلة الكمال في مجاله، وهنا يخير التلميذ بين أن يطيع معلمه إلى أقصى حد، أو أن يترك الممارسة أو أن يجد له معلماً آخر. ولا ينصح بتعلم اليوغا العملية إلا من خلال معلم متمرس، إن وجد، وإذا لم يوجد معلم يمكن للمرء أن يحاول وحده أو من خلال القراءة أو متابعة الأفلام أو الصور التعليمية. ويتحدد مضمون اليوجا في ثلاثة محاور: الطاقة الجسدية، الطاقة النفسية، الطاقة العقلية. فعند ممارسة التمارين فهى تعتمد على العمود الفقري وباقي عضلات الجسم، ومن المعروف أن خلايا المناعة تتوالد في نخاع العظام ثم يحملها الدم إلى غدة تحت عظام الصدر، وفي هذه الغدة يتم تحويل وتقوية الخلايا المناعية، وهي خط الدفاع الأول في الجسم. وهذا الجهاز مبرمج طبيعيًا لتعرف على كل الفيروسات والميكروبات

والجراثيم ويدمرها. ويمكننا بالتمارين البدنية والعقلية تنشيط هذا الجهاز ليقاوم معظم الأمراض مثل الروماتيزم والسكري والسرطان.[1]

هي مجموعة من الممارسات أو التخصصات الجسدية والعقلية والروحية التي نشأت في الهند القديمة. اليوغا هي واحدة من ست مدارس أرثوذكسية من الفلسفة الهندوسية. هناك مجموعة واسعة من مدارس اليوغا وممارساتها وأهدافها في الهندوسية والبوذية والجاينية.

وقد تم التكهن بأصول اليوغا لتعود إلى التقاليد الهندية قبل الفيدية. تم ذكره في ريجفيدا، ولكن على الأرجح تطورت في جميع أنحاء القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، في حركات الهند الزنجية والحرارية القديمة. التسلسل الزمني لأقدم النصوص التي تصف ممارسات اليوغا غير واضح، ينسب إلى الأوبنشاد. اليوجا سوترا من باتانجاليدات من النصف الأول من الألفية الأولى م، ولكن اكتسبت شهرة فقط في الغرب في القرن العشرين. ظهرت نصوص هاثا يوغا في القرن الحادي عشر مع أصول التانترا.

قدم يوجا المعلمون من الهند فيما بعد يوجا إلى الغرب، بعد نجاح سوامي فيفيكاناندا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. في الثمانينيات، أصبحت اليوغا شائعة كنظام من التمارين الرياضية للعالم الغربي. لكن اليوغا في التقاليد الهندية أكثر من ممارسة الرياضة البدنية؛ لديها جوهر تأملي وروحي. واحدة من المدارس الأرثوذكسية الرئيسية الست في الهندوسية تدعى أيضا يوجا، التي لديها نظرية المعرفة والميتافيزيقا الخاصة بها، وترتبط ارتباطا وثيقا بفلسفة سامخيا الهندوسية.

حاولت العديد من الدراسات تحديد فعالية اليوغا كتدخل تكميلي للسرطان، والفصام، والربو، وأمراض القلب. كانت نتائج هذه الدراسات مختلطة وغير حاسمة. في 1 ديسمبر 2016 ، تم إدراج اليوغا في قائمة اليونسكو باعتبارها تراثًا ثقافيًا غير ملموس.

- أطراف اليوجا الثمانية:

---

[1] يسري حسن، يوجا للجميع

قال الحكيم باتانجالي الفيلسوف ومؤسس رياضة اليوجا إن هناك ثمانية أطراف للراجا يوجا التي تشكل سلسلة من الخطوات لتنقية الجسم والعقل في رحلته تجاه الاستنارة. وهذه الخطوات هي كما يلي:

الياما: سلسلة مكونة من خمس قواعد أخلاقية تحث على الصدق وعدم العنف وعدم السرقة وعدم الأنانية والاعتدال في كل الأمور. ويقال أنها تشبه في محتواها الوصايا العشر عند اليهود والمسيحيين.

النياما: وهي مجموعة من خمس خصال يجب السعي إليه واكتسابها وهي النقاء والقناعة والاعتراف بالوجود الإلهي ودراسة النصوص الدينية.

- الأسانات:

هذه هي الأوضاع والحركات التي يقوم بها الجسم، والمصممة لمد وتقوية الجسم والحفاظ على أقصى قدرة ومرونة له.

- البرانایاما:

تلك هي الخطوة التالية على طريق التطور وهي دراسة واستخدام التنفس لمساعدة العقل والجسم.

- البراتياهارا:

هي بداية الدراسة لاكتساب السيطرة على العقل وليصبح المرء مدركا لحساسية العقل الفائقة لجميع ما حوله.

- الدارانا: هي الخطوة الأولى نحو تركيز العقل والبدء في توجيهه نحو مناطق معينة بحسب الإرادة.

- الديانا:

تلك مرحلة تالية من مراحل السيطرة على العقل مع بذل الجهد لتوسيع الوعي وزيادة حساسية العقل.

- الصامادي:

تلك هي الذروة النهائية للسيطرة على العقل والجسم والروح أي الحالة التي يكون الإنسان فيها متوحدا مع قوة عليا خارج ذاته أو

بعبارة أخرى حالة النعيم الفائق ويتجسد هذا أثناء الجلوس التأملي ولكن الطريقة المستخدمة في الغرب والدول العربية هي عن طريق استخدام الطرف الثالث «الأسانا» والطرف الرابع «البرانایاما».

أصل الكلمة:

المصطلح السنسكريتي (اللغة الهندية القديمة) يوجا يحمل عدة معاني:

- اصل كلمة اليج مشتقة من جذورها السنسكريتية أي «وصل، ربط».[1]

- مصطلح عام يتضمن «الانضمام» أو «التوحد» ومصطلحات مشابهة كالوحدة والترابط.

- مفهوم تعريفي اخر هو «المزاج، السلوك، الوسيلة».

يوجا هي كلمة سنسكريتية □□□ معناها الحرفي «التوحيد»، وهي مشتقة من نفس جذر الرقم واحد باللغة الكردية «يه ك». يوجا هو اسم عام يطلق على أي نظام عقلي - بدني متكامل يعزز التجربة الروحية ويؤدي إلى اتحاد روح الفرد بالروح الكونية.

- اليوجا في التاريخ:

عجل البحر باشوباتي:
عجل البحر من الوادي ال هندوسي،تم اكتشاف عجل بحري أثناء التنقيب الأثري في الموقع الأثري موهينجو-دارو، بالوادي الهندي، لفت الانتباه كاحتمال أنها تمثل شكل اليوجي أو البروتو شيفا، عجل البحر الباشوباتي «إله الحيوانات باللغة السنكريتية» هذا، يمثل وضعية جلوس ومحاط بالحيوانات. بعض الباحثين وصفوا الشكل بأنه وضعية تقاطع الأرجل التقليدية في اليوجا ويده تستلقي علي ركبتيه، مكتشف عجل البحر، السيد «جون مارشال» وآخرون أدعوا أن هذا الشكل هو النموذج الأصلي ل شيفا «الإله الأعلى في الهندوسية»، ووصفوا الشكل بانه: لديه ثلاثة وجوه، وجالس في «وضعية يوجا» حيث الركبتان خارجتين والأقدام ملتحمة.

---

[1] - لاروس :موسوعة القرن(2006). تونس: الدار المتوسطة للنشر

هذا الأدعاء لم يلق قبولاً لدي بعض الهيئات العلمية والكليات الحديثة، «جافين فلود» شخص هذا المنظر بأنه «تخميني ويحتاج للتأمل»، حيث يقول أنه ليس من الواضح من الشكل أن لدى عجل البحر ثلاثة وجوه، أو جالس في وضعية يوجا، أو حتى أن الشكل يمثل إنساناً، ومع ذلك محتمل أن هناك عديد من الإيقونات لشيفا بهذا الشكل، كأشكال لنصف القمر تشبه قرون الثور.

- المصادر الأدبية لليوجا:

المصادر الرئيسية النصية لاستنباط مفهوم كلمة يوجا هي الأوبانيشاد □□□□□□ الوسطية (400 ق.م)، البراهمانية بما يتضمن البهجافادا جيتا □□□□ □□□□□ (أغنية الإله) (200 ق.م) ويوجا ساتراس من بتنجالي (200 ق.م:300 ق.م- اليوجا والبوذية:

اليوجا تعتبر ركيزة في بوذية التبت، في تقاليد النايانجما، نجح الممارسون لها في زيادة الدرجات التأملية العميقة لليوجا، بدأُ من يوجا الماها، ومروراً بيوجا الأنو، ومع الأخذ بالأعتبار في الممارسة العليا يوجا الأتي، في نفس التقاليد يوجا الأوتارا مساوية في الرتبة لها. ممارسات يوجا التانترا هي الأخرى بما يتضمن نظام من 108 وضعية جسدية تمارس مع إيقاع التنفس والقلب، الوقت في التمرينات الحركية لليوجا يعرف ب ترول كور أو وحدة القمر والشمس (قناة) طاقات البراجنا، وضعية الجيم لدى ممارسي اليوجا القدماء في التبت مرسومة على حوائط معبد الدالي لاما الصيفي للوكانج.

- أهداف اليوجا:

تهدف اليوجا إلى إدراك النفس وإدراك الله وهو شيء قابل للتبادل، مع الإحساس الباطني بأن الطبيعة الحقيقية نفسها (الحقيقة، الوعي والنعمة) تنكشف خلال ممارسة اليوجا، ولديها نفس طبيعة الكون (وحدة الوجود)، حيث ليس شرطاً ان تكون هناك ذات إلهية ولكن انتفى الكل في الواحد والواحد في الكل، وهذا يعتمد على فلسفة ممارس اليوجا هو من يحدد بباطنه وجود أو عدم وجود ذات إلهية، في الغرب والبلاد

الإسلامية والعربية، هناك تأكيد دائم علي التفرد حيث لا يوجد وحدة للكون، طقوس اليوجا يمكن أن تكون امتداداً لمصطلح البحث عن الذات، ودمج العناصر المختلفة للكائن الحي.

داخل المدارس المعبدية (بأفاديات فيدانتا) والشيفية هذا الكمال يأخذ شكل: (موكشا □□□□□) حيث التحرر من المعاناة الدنيوية ودورة الحياة والموت، حيث انقطاع التفكير والدخول في حالة من نعمة التوحيد بالروح العليا (بالبراهما □□□□□□)، بالنسبة لمدارس الباخي الدواليستيكية في فيشنافيست، الباخي □□□□□ (التقوى) هي نفسها الهدف المطلق والنهائي لمداخل اليوجا. حيث يبلغ الكمال أوجه وذروته في أتصال وخلود تام مع (الفيشنو □□□□□□) أو أحد الأفتارات المتصلة به مثل (كريشنا) أو (راما).

- الاسترخاء الذهني البدني

- تدريب التحفيز الذاتي

و يُظهر التوفيق الصريح بين الأديان في المعتقد الشعبي حالة من القبول الثقافي لتقليدٍ دخيل أو سابق، لكن قد تبقى العبادة «الأخرى» أو تتغلغل دون توفيق مشروع. مثلًا، استحدث بعض المتحولين

(المسيحيين الجدد) نوعًا من العبادة على إثر شهدائهم من ضحايا محاكم التفتيش الإسبانية، وهكذا أدخلوا مقومات من الكاثوليكية رغم معارضتهم لها.

يُمثل ملوك كوش الذين حكموا مصر العليا لما يقارب القرن وكل مصر لما يقارب 57 سنة، من 721 إلى 664 قبل الميلاد، الأسرة النوبية (المصرية) الخامسة والعشرين في عمل مانيتون تاريخ مصر، أنشأوا عبادة توفيقية، مُماهين إلههم ديدان مع أوزيريس المصري. حافظوا على هذه العبادة حتى بعد اقتيادهم إلى خارج مصر. بُني معبد مكرس لهذا الإله التوفيقي، من قِبل حاكم كوش أتلانيرسا، واكتُشف في جبل البركل.

كانت التوفيقية بين الأديان شائعة خلال العصر الهلنستي، من خلال مُماهاة الحكام لمجموعة من الآلهة المحلية في أجزاء مختلفة من مناطق سيطرتهم مع الإله والإلهة المناسبة من مجموعة الآلهة الإغريقية (البانتيون)، كوسيلة لزيادة ترابط المملكة. كانت هذه الممارسة مقبولة في أغلب المناطق، ولكن مرفوضة بشدة من قِبل اليهود الذين اعتبروا مماهاة يهوه مع زيوس الإغريقي أسوا ما في التجديف.

استمرت الإمبراطورية الرومانية بهذه الممارسة، أولًا من خلال مماهاة الآلهة الرومانية التقليدية مع اليونانية، ما أنتج الوثنية اليونانية الرومانية، وبعدها مماهاة أعضاء من تلك الوثنية مع الآلهة المحلية للولايات الرومانية المختلفة. يُقال بأن هناك شكلًا غير معلن من التوفيقية وهو نقل عدة صفات من الإلهة إيزيس –التي كانت عبادتها منتشرة بشكل واسع في فترة نهايات الإمبراطورية الرومانية– إلى مريم العذراء المسيحية. عززت بعض الحركات الدينية التوفيق الصريح، مثل حالة الجمع بين معتقدات الشينتو مع البوذية أو الاندماج المزعوم لأفكار الوثنية مع المسيحية خلال انتشارها في بلاد الغال والجزر البريطانية وألمانيا واسكندنافيا. في أوقات لاحقة، ماهت البعثات التبشيرية المسيحية في أميركا الشمالية مانيتو –طاقة الحياة الروحية والجوهرية في المعتقدات التقليدية عند الجماعات الألغونكية– مع إله المسيحية

الواحد. أُجريت حالات مشابهة من قِبل المبشرين في مناطق أخرى من الأمريكيتين وأفريقيا، متى ما صادفوا معتقدًا محليًا لإله أعلى أو روح أعلى من أي نوع.

يمكن رؤية التأثيرات الهندية في الممارسة المتبعة عند الإسلام الشيعي في ترينيداد. رفضها آخرون بشدة باعتبارها تقليلًا لقيمتهم ومساسًا بتفردهم الثمين والأصيل؛

من الأمثلة على ذلك:

اليهودية في فترة الهيكل الثاني بعد السبي البابلي والإسلام ومعظم المسيحية البروتستانتية.

يميل التوفيق بين الأديان إلى تيسير التعايش المشترك والوحدة بين الثقافات المختلفة والآراء العالمية (كفاءة التفاعل بين الثقافات)، وهو عامل أُوصي به للحكام في الإمبراطوريات ذات الاثنيات المتعددة. وفي المقابل، يمكن أن يساعد رفض التوافقية بين الأديان، غالبًا باسم «التقوى» أو «الأرثوذكسية (كمُصطلح)»، على خلق أو تعزيز أو توثيق روح ثقافية واحدة غير ممسوسة عند أقلية أو أكثرية واضحة المعالم.

- التصوف اليهودي:

و"القبالاه" هي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود، وهي تتسم بطابع حلولي متطرف بحيث يمتزج الإله تماماً بمخلوقاته إلى أن يختفي تماماً. وكان "القباليون" يؤمنون بأن المعرفة، كل المعرفة، توجد في أسفار موسى الخمسة، ويذهبون إلى أنهم يعرفون أسرار الكون والمعنى الباطني للتوراة باعتبارها مخطَّط الإله للخلق كله، وكل كلمة فيها تمثل رمزاً، وكل علامة أو نقطة فيها تحوي سراً داخلياً، ومن ثم تصبح النظرة الباطنية الوسيلة الوحيدة لفهم أسرارها، خاصة أنهم يذهبون إلى أن التوراة كتبت قبل الخلق بنار سوداء على نار بيضاء، وأن النص الحقيقي هو المكتوب بالنار البيضاء، وهو ما يعني أن التوراة الحقيقية مختفية على الصفحات البيضاء، لا تدركها عيون البشر العاديين، ولا يدركها سوى العارفين بـ"القبالاه". ويقول "القباليون" إن الأبجدية العبرية لها قداسة خاصة، ولها دور في عملية الخلق، وتنطوي على قوى غريبة قوية ومعان خفية، وبالذات الأحرف الأربعة التي تكوِّن اسم يهود (تتراجرماتون)، فلكل حرف أو نقطة أو شرطة قيمة عددية. وقد أصبحت "القبالاه" في نهاية الأمر ضرباً من الصوفية الحلولية ترمي إلى محاولة معرفة الإله بهدف التأثير في الذات العلية حتى تنفذ رغبات العارف بـ"القبالاه"، وبالتالي يصبح بوسعه السيطرة على العالم والتحكم فيه. ولذا، فإن "القبالاه" تتبدى دائماً في شكل ما يسمى بـ"القبالاه العملية"، وهي أقرب إلى السحر الذي يستخدم اسم الإله والمعادل الرقمي للحروف والأرقام الأولية والاختصارات للسيطرة على العالم. ويمكن القول إن "القبالاه" وتراثها وطريقتها في تفسير النصوص اليهودية المقدَّسة، وإيمانها بالحل السحري وبالخلاص القومي، أخذت تسيطر بالتدريج على الوجدان الديني اليهودي ابتداءً من القرن الرابع عشر، وهيمنت عليه تماماً مع نهاية القرن الثامن عشر.

والصهيونية هي وريثة التراث "القبالي" في بنيتها، فهي ترى العالم من خلال رؤية حلولية تبشر بالخلاص القومي والترابط العضوي بين عناصر الثالوث الحلولي (الإله والشعب "الشعب اليهودي" والأرض "أرض الميعاد، أي فلسطين"). ولكن مع القضاء على السلطة المركزية

اليهودية ومع سقوط الهيكل تشتت اليهود، فعبرت الرؤية الحلولية عن نفسها بشكل فردي من خلال "القبالاه" (التأملية والعملية)، ولكنها عادت إلى سابق عهدها في العصر الحديث مع ظهور الصهيونية، حيث يصبح الخلاص مرة أخرى خلاصاً قومياً، فالصهيونية تؤكد ارتباط الشعب بالأرض نتيجة الحلول الإلهي أو سريان روحه المقدَّسة في كل من الشعب والأرض. و"القبالاة" العملية الحديثة (أي الصهيونية) هي الاستيلاء على الأرض ونقل اليهود إلى فلسطين (ونقل العرب منها) وتصبح الدولة هي الهيكل الذي يتعبد فيه يهود العالم ويقدمون له القرابين. هذا أحد أهم جوانب "القبالاه"، ولكن ثمة جانباً آخر له علاقة وطيدة بموضوع مادونا. إذ يرى "القباليون" أن الإله قد فاض التجليات العشر النورانية. وكان يُنظَر أحياناً إلى التجلِّيات باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من جوهر الإله، وأن مراحل التجلي تمت داخل الذات الإلهية. ويتم التعبير عن العلاقة الأساسية بين التجلِّيات المختلفة من خلال صورة مجازية أو مقولة إدراكية جنسية واضحة. فالعلاقة بين الأب والأم (التجليان النورانيان الثاني والثالث) علاقة جنسية واضحة. ويجب ألا ننسى أن الأب والأم هما النموذجان الأمثلان المتحققان. وقد حملت الأم من الأب، وأنجبت الابن والابنة، وكانا في الأصل كائناً واحداً أحادياً مخنثاً (ذكر/أنثى) يعبِّر عن الواحدية الكونية، ويظهر هذا الابن -التجلي السادس:- وهو رمز ذكري واضح، فهو يفيض بالرحمة الإلهية التي تنزل على التجلي العاشر الذي هو الملكة أو الشخيناه، أي التجلي الأنثوي للإله، وهي أيضاً "كنيست" أو جماعة يسرائيل التي يُشار إليها بتعبير "بنت صهيون" (بات تسيون). ومن خلال التفاعل بين عناصر الذكورة وعناصر الأنوثة، تفيض الرحمة على الشخيناه، وتتحد الذات الإلهية، وبذلك تصبح وحدة الإله والكون هي نفسها الوحدة الكونية. وتُستخدَم صورة الزواج المجازية للحديث عن علاقة الإله بالشعب (ونشيد الأنشاد هو نشيد زفاف الشعب إلى الإله!). وحالة "الزواج" الكوني هذه كانت مصدراً للتناسق، ولكن حدث خلل ما أدى إلى فراقهما. حينئذ يبدأ الملك في البحث عن الملكة أو الشخيناه. وتصف القبَّالاه العلاقة بينهما. وقد خلق الإله الشعب اليهودي ليُصلح الخلل ويُقرِّب

الابن والابنة. ولكن، بسبب ذنوب جماعة "يسرائيل"، هدم مخدع الشخيناه، أي الهيكل، فنُفيت الشخيناه معهم خارج فلسطين. وبذلك تصبح الصورة المجازية الجنسية المقولة الإدراكية التفسيرية الكبرى في القبالاه، فهي تبيِّن سر وحدة الكون، ومصدر الوحدة بين الإله ومخلوقاته، ومكانة الشعب المختار المتميِّزة، وهي أيضاً الطريقة التي تتوحد بها الذات الإلهية وتتحقق، إذ إن توحُّد التجلِّيات هو توحُّد الإله واكتمال وجوده. وقبل أن تهيمن القبالاه على الوجدان والخطاب الديني اليهودي، وصفها الحاخامات الأرثوذكس بأنها تخلت عن التوحيد اليهودي، وأحلت محل الإله الواحد عشر آلهة (التجليات النورانية العشر). وهم محقون تماماً في هذا، فالخلق عن طريق الفيض يفترض عشرةتجليات يحمل كل منها قداسة إلهية، كما أن كلاًّ منها منفصل عن الآخر، فهي تكاد تكون عدة آلِهَاتٍ أو إلهاً واحداً قابلاً للانقسام إلى أجزاء. كما قال حاخام آخر إن "القبالاه" جنست الإله وألهت الجنس، أي أضفت مركزية كونية على الجنس (وهذا يوضح أثر القبالاه على فرويد). هذا هو الإطار الإدراكي والمعرفي الذي يتحرك داخله أتباع "القبالاه".[1]

[1] من مقال ل :نورة الطنيجي

- شجرة القبالة.

القَبَالة أو القبلانية (بالعبرية كابالا קַבָּלָה) هي معتقدات وشروحات روحانية فلسفية تفسر الحياة والكون والربانيات. بدأت عند اليهود وبقيت حكراً عليهم لقرون طويلة حتى أتى فلاسفة غربيون وطبقوا مبادئها على الثقافة الغربية في ما يسمى العصر الجديد (new age). بشكل عام، هي فلسفة تفسر العلاقة بين الله اللامتغير والأبدي والسرمدي، ويرمز له بـإين سوف (بالعبرية אין סוף)، وبين الكون المتهالك والمحدود، أي مخلوقات الله. لا تعتبر القبالة كدين إذ أنها فلسفة تفسر الباطنية في الدين كما أن طقوسها لا تنفي القيام بالطقوس الدينية لكن معتنقيها يعتقدون أن الإرشادات والطقوس الواردة في القبالة تساعد الشخص على تطوير نفسه ليفهم بواطن الدين، وبخاصة بواطن التوراة والتقاليد اليهودية.[1]

يعتقد أتباعها أن تعاليم القبالة أقدم من التاريخ الذي نعلمه وهي سابقة لكل الأديان والطرق الروحية التي نعرفها وهي تشكل المخطط الأساسي لكل الإبداعات الإنسانية من الفلسفة والدين والعلوم والفنون والأنظمة السياسية.[2]

انبثقت القبالة كشكل بدائي للباطنية اليهودية في القرن الثاني عشر في إسبانيا وجنوب فرنسا ثم أعيد تشكيلها بعهد النهضة اليهودية في القرن السادس عشر في فلسطين العثمانية. ثم تطورت في القرن العشرين فيما يسمى بالتجديد اليهودي وانتشرت في أوساط روحانية غير يهودية كما تلقت الاهتمام من الدوائر الأكاديمية.

- تسمية القبالا:

استعملت كلمة «قبالة» العبرية بمعان مختلفة خلال فترة التاريخ اليهودي. تعود كلمة قبالة، أو كبالا، إلى الكلمة العبرية «قِبِلْ» والتي

---

[1] مشبع بالقداسة "- علاقة الباطني بالظاهر في تفسير Pardes الرباعي للتوراة والوجود

[2] - الحرية". مكتبة القبالة. تفسير يهودا ليب هاليفي اشلاق | مكتبة الكابالا - معهد بني باروخ الكابالا للتعليم والبحوث معهد بني باروخ لاب دراسات ودراسات القبالة.Kabbalah.info ."

تعني «استلام»، أو «استقبال» أو «تلقي».[1] بشكل عام، تدل على القوانين الدينية والروحانية التي استلمها الانبياء والكهنة اليهود على مر التاريخ. وللمفارقة، «قبالة» في اللغة العربية تعني «وثيقة يلتزم بها الإنسان لأداء عمل أو دين أو غير ذلك. أو عمل يلتزمه الإنسان.»[2]

وقد يبدوا ان الكلمتين العربية والعبرية لهما نفس المعنى لمشاركتهما نفس الجذور (قبل) في ما يسمى اللغات السامية. لهذا، من المستحسن تعريب المصطلح بالـ«قبالة» بدلا من الـ«كبالا». كما هناك من عرب الكلمة إلى «الكوبالة» أو «الكبّالة» أو «القوبالة».

- تاريخ استعمال المصطلح:

أول استعمال لجذر «قبل» كان في التوراة اذ وردت خمس عشر مرة. وردت مرتين في سفر الخروج للدلالة على البساط الذي كان يغطي «تابوت العهد».[3]

الا انها اخذت دلالات أخرى في اجزاء مختلفة من التوراة مثل «مراسلة» في التوراة و«معارضة» في الانبياء و«استقبال أو استلام» في الكتابات.[4]

وخارج التوراة، كانت في البدء تستعمل للدلالة على القانون الشفهي، أي التلمود، الذي «استلمه» اليهود بعد تدمير الثاني للمعبد في القرن الأول الميلادي. وانتشرت بين اعوام 150م وحتى 600م. منذ القرن الثاني عشر الميلادي، اخذت الكلمة معناها المتداول اليوم والذي تدل على التعاليم الروحية والباطنية التي استلمها الملهمون اليهود بعد ذلك ليؤلفوا «القبالة» (بالعبرية קַבָּלָה) لتعني الباطنية الروحانية اليهودية.[5]

نظرة عامة:

---

[1] **أ ب غال ايناي. "موضوعات في الفكر الصوفي اليهودي: معنى كلمة الكابالا - الجزء الأول -" التقليد المتلقى "(مواضيع حول الفكر التصوفي في التوراة: معنى كلمة - الجزء الاول - علماد المُستلم).**

[2] **- قاموس المعاني. معنى قبالة في معجم المعاني الجامع.**

[3] **غال ايناي. معنى كلمة الكابالا: الجزء 2 - الكابالا كـ "مراسلات" (معنى كلمة: الجزء الثاني).**

[4] السابق

[5] **ليف لاي. تاريخ الكابالا. تاريخ القبالة. دورية منظور مشيح يهودي. العدد 12.2. 1998.**

بحسب كتاب الزوهار، الكتاب الاساسي عند القباليين، يجب دراسة التوراة بحسب اربع مستويات في التعليل[1]:

- مستوي "البسيط" الـ«بشاط» (بالعبرية פשט أي البسيط) وهو التأويل للمعنى المباشر للكلمة.

- مستوى "الترميز" الـ«رمِز» (بالعبرية רמז أي الترميز) أي فهم رمزية النص بفهم التلميحات والاشارات.

-مستوى "البحث" ال«دراش» (بالعبرية דרש أي البحث أو الدراسة) أي فهم المعنى المدراشي للكلمات عن طريق المقارنة والمقابلة مع الكلمات الموازية الواردة في التوراة.

- مستوى "السر واللغز"" الـ«صود» (بالعبرية סוד أي الاسرار والالغاز) اى استباط المعاني الباطنية والماورائية بحسب القبالة.

قبل القبالة، اعتمد اليهود المذهب المركبي في تفسير بواطن التوراة والعلاقة مع السماء بحسب قصة مركبة حزقيال لمدة تسعة قرون بعد تدمير الهيكل. يفرق باحثوا الباطنية اليهودية الاكاديميون المعاصرون بين مذهبي «القبالة» ومذهب المركبة الاقدم.[2]

كما يعتبروا وجود مذهبين مترابطين في القبالة نفسها. الأول هو القبالة النظرية، فيما يسمونه الثيوسوفية (حكمة اللاهوت) والذي يستند إلى مجموع النصوص التي وجدت في العصور الوسطى والتي تشمل النظرية القبالية وكتابات الزوهار من القرون الوسطى واللوريانية. بينما الثاني هو القبالة التطبيقية التي تعتمد التأمل من اجل تحقيق السعادة المطلقة. وهناك من يشمل مذهب تطبيقي ثالث، مع انه مرفوض من قبل الكثير من الاكاديميين، وهو يركز على التطبيقات السحرية للمذهب

---

[1] **R. Isaiah Horowitz ،Toldot Adam ،Beit hachokhma ،14كتاب الزوهار**

[2] **الكابالا: مقدمة قصيرة جدًا ، جوزيف دان ، مطبعة جامعة أكسفورد ، فصول عن "ظهور الكابالا في القرون الوسطى" و "مذاهب الكابالا في العصور الوسطى"**

الثاني.[1] ويمكن التفريق بين هذه المذاهب الثلاثة بملاحظة تعريفهم وفهمهم لالله:

- فالقبالة النظرية تتجه للتعريف بالله وشرح ماهيته.[2]

- بينما تتجه القبالة التطبيقية للوصول إلى الله والاتحاد به.

-اما القبالة السحرواتية فتتجه لاحداث تغييرات في ملكوت الله الروحانية والمادية.

بحسب المفاهيم التقليدية للقبالة، فإن المعرفة القبالية يتلقاها شفهيا اباء الدين (أي البطاركة) والانبياء والحكماء وهم من يقومون «بحياكتها» في نسيج كتب الدين وفي المجتمع. وعليه، تشمل فكرة القبالة كل ما مورس في الدين اليهودي منذ القرن العاشر ما قبل الميلاد ومارسها أكثر من مليون شخص في زمن إسرائيل القديمة.[3] وتم طمس هذه المعرفة من قبل قادة اليهود ذلك الزمان (السنهدرين) وجعلوها سرية خوفا من اساءة استعمالها بسبب الغزوات الكثيرة التي واجهها بني إسرائيل.[4]

الفرق بين القبالة اليهودية وغير اليهودية:

مع بدء عصر النهضة في أوروبا، اهتم الفلاسفة الأوروبيون بالقبالة اليهودية وترجموا كتبها وقاموا بدراستها.[5] وقام التوفيقيون بين الاديان مثل :

---

[1] موشيه إيديل ، الحسيدية: بين النشوة والسحر ، ص. 31

[2] أ ب يهودا أشلاغ ؛ مقدمة لحكمة الحقيقة ، ص 12 ، قسم 30 ، ص 105 ، الجزء السفلي من العمود الأيسر كمقدمة لـ "تلمود إيسر هاسفيروت"

[3] ميجلا 14 أ ، شير هاشريم رباح 4:22 ، روث رباح 1: 2 ، آريه كابلان التأمل اليهودي: دليل عملي ص 44-48

[4] يهودا أشلاغ ؛ مقدمة لحكمة الحقيقة ، ص 12

[5] الكابالا: مقدمة قصيرة جدًا ، جوزيف دان ، مطبعة جامعة أكسفورد 2007. الفصول: 5 العصور الحديثة I The Christian Kabbalah -، 9بعض جوانب الكابالا المعاصرة

القباليون المسيحيون والقباليون الهرامسة، كل على حدى، بتطوير مفهومهم عن القبالة باعتبار التوراة هي مصدر شامل وقديم للحكمة. كما دمجوا الافكار القبالية مع مفاهيم الديانات والشعائر الأخرى الغير يهودية. ومع انهيار القبالية المسيحية في عصر التنوير، تحولت القبالية الهرمسية إلى حركة سرية واصبحت نواة حركة التعاليم الباطنية الغربية. واستقطبت هذه القبالة اهتماما كبيرا عند الجماعات التنجيمية الغربية لتناولها مواضيع الخيمياء والسحر والاهيات التي كانت مواضيع محظورة عند اليهود. وبسبب هذا، نجد ان معظم الكتابات حول القبالة كتبها غربيون من خارج الدائرة اليهودية.[1]

- الرمزية في التوراة:

يجد القباليون الكثير من الرمزية في التوراة، فطريقة وصف الخلق في سفر التكوين يعطي معان رمزية وعميقة تشرح اسرار الله نفسه وحقيقة ادم وحواء وجنة عدن وشجرة معرفة الخير والشر وشجرة الحياة كما تشرح طريقة تفاعل هذه القوة الفوق طبيعية مع الثعبان الذي يقود إلى التهلكة.[2] كما ان هناك العديد من كتابات التوراة التي تقدم مادة دسمة للاساطير والالغاز مثل رؤية النبي حزقيال لمركبة الله ورؤية اشعيا في المعبد ورؤية يعقوب للسلم إلى السماء ومقابلة النبي موسى لله ومركبته على جبل سيناء.

تاريخ الباطنية اليهودية:

-المنشأ والبداية:

يعتقد بعض الأكاديميين المعاصرين أن الباطنية اليهودية تطورت عبر فترات مختلفة من تاريخ اليهودية. وكل طريقة باطنية هي نتاج مزج بين الطرق الباطنية السابقة والمعرفة الادراكية للمجتمع المعاصر لكل فترة.

---

[1] - الدين اليهودي: رفيق ، لويس جاكوبس ، مطبعة جامعة أكسفورد 1995

[2] آرتسون ، برادلي شافيت. من المحيط إلى المركز: الكابالا وحركة المحافظين ، United Synagogue Review، ربيع 2005 ، المجلد. 57 رقم

وهناك صعوبة كبيرة في حصر تسلسل انتقال المعرفة والمؤثرات التاريخية في كل مرحلة من مراحل تطور الباطنية. فبحسب المفهوم التقليدي، نشاءت القبالة مع ادم من أيام جنة عدن بحسب ما كتب في كتاب ممارسات القبالة فما يسمى بسفر رازئيل الذي أُلف في العصور الوسطى. وهناك من يعتقد بان القبالة كان جزء من التوراة الشفهية التي اخذها النبي موسى من الله على جبل سيناء في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. كما اعتقد البعض ان القبالة انتقلت على فترات من أيام العصور القديمة إلى الخاصة من الصدوقيين، أي حكماء اليهودية، عن طريق الوحي والتي حافظ عليها نخبة مختارة. كما ويرى التلموديون ان سفر «حاجيجاه» (Hagigah)، سفر قرابين الاعياد) من التلمود[1] يذكر طريق محددة لتدريس هذه الحكمة. كما ذكر الحبر شنور شتيرن ان ظهور بعض الممارسات الباطنية اليهودية، بخاصة التأمل، بداء مع وصول بني إسرائيل إلى ارض كنعان.[2] وهناك من يقول ان الباطنية بداءت في سفر الخروج وفي اخبار مركبة الله المذكورة في سفر حزقيال. فالطريقة البرشيتية اشارت إلى رسالة مرمزة وردت في سفر الخروج تدل على اسرار الخلق والكون. وهي نفسها التي ذكرت في سفر حاجيجا. اما باطنية المركبة اشارت إلى رسائل مرمزة في سفر حزقيال تدل على رؤية مركبة الله.[3] من ناحية أخرى، رفضت العديد من طوائف اليهود الارثوذكس (اليهود التقليديون) فكرة تطور القبالة عبر التاريخ.

---

[1] أحمد ايبش. ترجمة الدكتور سهيل زكار. (2006). التلمود كتاب اليهود المقدس التلمود كتاب اليهود المقدس.

[2] شتيرن ، شنور. النشط مقابل التأمل السلبي. موقع كابالا اونلاين.

[3] صنع القبالة. من موقع سبارك نوت

- عناصر الباطنية في التوراة:

- يقرأ القباليون اشارات في الفصل الثالث من سفر التكوين عن أسرار حول لله نفسه وطبيعة ادم وحواء وجنات عدن وشجرة معرفة الخير من الشر وعلاقة كل هذه الكيانات الفوق طبيعية مع الثعبان والتي ادت إلى كوارث بسبب تناول الفاكهة المحرمة.[1]

وهناك أسرار باطنية أخرى وردت في رؤية المركبة في سفر حزقيال ورؤية السلم إلى الجنة في سفر اشعيا وملاقات موسى على جبل سيناء. كما ان لاسم الله المؤلف من 72 حرفا، والذي يستعمل في الخلوات والتأمل، هو ما تلقاه موسى من الملاك والذي استعمله لشق البحر عند خروجه من مصر مع بني إسرائيل.

-عصر التلمودية:

- ويعتبرالحبر اكيفا الذي قبره في طبريا. هو واحد من اربع حاخمات زاروا الجنة.

- وشيمون بن يوشع. هو معلم الباطنية في الزوهار الذي هو اساس القبالة.

في عهد الاحبار اليهود التي بدآت في القرن الأول الميلادي، كان الاعتقاد بوجود رسائل مرمزة في التوراة من اسس المدراشية ومنها ظهر مصطلحات الـ«سيتري توراه» (التوراة المستورة) والـ«رازي توراه» (اسرار التوراة) والـ«شوشماه نيستارا» (الحكمة المخفية). حرم المنهج التلمودي تدريس الباطنية للعامة كما حذرت من مخاطره كما فرض تدريس عملية الخلق إلى مريد واحد كل على حدى.[2]

- العقائد السابقة للقبال:

وفي القرن العاشر الميلادي، بدء ظهور المخطوطات القبالية. كان يسمى مبتدئي تعلم القبالة بهابطي الركبة كدلالة على الرحلة الروحانية التي

---

[1] آرتسون ، برادلي شافيت. من المحيط إلى المركز: الكابالا وحركة المحافظين ، **United Synagogue Review**، ربيع **2005** ، المجلد.

[2] اورباخ. الحكمة ، من صفحة **184**.

يقومون بها إلى عالم الروحانيات والتي تهدف إلى الوصول إلى الحضرة الاهية. بين القرنين الثامن والحادي عشر الميلادي، وصلت نصوص باطنية المركبة (هيخالوت) وباطنية الخلق (سفير يتزسيرا) إلى يهود أوروبا. وقبل شيوع القبالة، بين 1150م و1250م، كانت حركة «انصار الاشكنازي» (تشاسيدي اشكنازي، تقاة ألمانيا العصور الوسطى) منتشرة بين عائلة كالونيموس المثقفة والتي استوطنت اراضي نهر الراين بين المانيا وفرنسا.

- قبالة العصور الوسطى:

موشه بن نحمان، الحبر من القرن الثالث عشر الذي اعطى زخما لدراسة القبالة من خلال تدويناته حولة التوراة.

ظهر في القرن الثاني عشر الميلادي العديد من الاخوة الباطنية اليهودية في أوروبا التي ابقت على سريتها ولم تخرج للعلن مثل «وسط لين» (Lynn Circle) و«وسط الملاك الفريد» (Unique Cherub Circle). كما كان هناك الحكماء الكبار (ريشونيم، الرؤساء) الذين اشتهروا بعلمهم بالقبالة. منهم موشه بن نحمان (1194م - 1270م) الذي فسر التوراة بناء على المعرفة القبالية؛ وبهيا بن اشر (توفي 1340م) الذي دمج التوراة بالقبالة؛ واسحق الاعمى (1160م - 1235م) وهو يعتبر من أول من كتب كتاب «البهار» (الاشراق) أول نصوص القبالة وكان معلم موشه بن نحمان.

في القرن الثالث عشر، ظهر كتاب «الزوهار» للعامة وعندها، اخذت القبالة ترتبط بتعاليم الزوهار تحديدا بعيدا عن ما كان يعرف به من قبل كشرح لاسرار التوراة. في وقت لاحق، قام الحبر اسحق لوريا اريزال بتفسير القبالة على اسس زوهارية محضة، وهذا ما يعتبره الباحثون كنقطة بداية للقبالة المعروفة اليوم. والجدير ذكره ان بعض مذاهب

طائفة الحريديون يعتبروا ان الزوهار يمثل تعاليم التوراة الباطنية وبحسب ما ورد يالتلمود.[1]

بدايات الحقبة الحديثة: القبالة اللوريانية:

تعرض اليهود خلال العصور الوسطى إلى الاضهاد والتشرد من جراء الأعمال المناهضه لليهود وبخاصة طردهم من اسبانيا عام 1492. تدفع هذا الاضطهاد اليهود للبحث عن اشارات لمجيء المشيخ وهو المخلص الذي ذكره التوراة. وفي القرن السادس عشر، أصبح جماعة صفد اليهودية، في الجليل، هي مركز الفكر اليهودي الذي قام بتطوير تفاسير الباطنية والقوانين والطقوس اليهودية. وقامت الجماعة الصفدية، اثر الطرد من اسبانيا، بالتركيز على تفسير القبالة على اسس عودة المخلص (المقابل للمهدوية الاسلامية). وقام الحبر موسى القرطبي بانشاء مدرسة لتدريس الزوهار للعامة بعد ان كان دراسته مقتصرة على النخبة. وكان نتاج عمل الصفدي تأسيس للانظمة المهيأة للقبالة. وفي هذه الفترة، احتفظ مدرس القبالة يوسف كارو (1488م - 1575م، وهو مؤلف كتاب معيار القانون اليهودي) بمذكراته الشخصية حول الباطنية. كما قام موشي الشيش (أي موسى الشيخ) بكتابة ملاحظاته حول التوراة وكذلك كتب الحبر شلومو الكابيتز (سليمان القابص) الكثير من التعليقات والاشعار حول القبالة.

- يعتبر الحبر اسحاق لوريا (1534م - 1572م)، وهو من الاحبار الصفديين، من قدم النظرة المخلصية (المهدوية) للقبالة عبر تقديم تفاسير جديدة والتي قدمها مريديه حاييم فيتال وإسرائيل ساروغ الذين قاما بكتابة تعاليم لوريا ونشرها بين العامة. نشر ساروغ القبالة في اروبا بينما كتب فيتال الشريعة القبالية. وضاهت أعمال لوريا على

الزوهار ويعتبر هو وموسى الليوني، اعظم المؤثرين على الباطنية اليهودية.

رفع تحريم دراسة القبالة:

"لقد ترآى لي ان الحظر على دراسة حكمة الحقيقة فرض لفترة محددة تنتهي بعام 1490. لكن بعد ذلك، تم رفع الحظر وسمح بتدريس الزوهار على الملاء. ومنذ عام 1540، اصبت دراستها فرضا على كافة العوام، الشيوخ والصغار، وذلك لان ظهور المخلص المشيخ (المسيح اليهودي) يعتمد على معرفة العامة بها ولن يأتي من دونها."

مقدمة كتاب نور الشمس (اوهر هاشاما) للحبر ابراهام اولاي،

رفع الحبر أبرهام أزولاي (1570م - 1643م) الحظر على تعليم القبالة، والتي سماه «حكمة الحقيقة» وسمح بتدريسها للعامة. وذلك لانه اعتبر ان جيله هو الجيل الاخير قبل مجيء المخلص وعلى اليهود تهيئة انفسهم بطلب الحكمة.

السفرديم والمزراحي:

مفاهيم القبالة:

الله المستتر والظاهر:

اعتبر القباليون ان لله مظهرين: الأول هو المتعالي المستتر السرمدي والذي هو البساطة الالاهية ويسمونه «عين صوف»؛ والثاني هو الظاهر الذي يتصل بالإنسانية وهو خالق الكون ومديره. ويعتبر القباليون استحالة فهم أو استيعاب جزء «عين صوف» (بالعبرية: אין סוף، ويعني ذاك الذي لا نهاية له) لأنه خارج الإدراك الحسي والعقلي للانسان. اما المظهر الثاني فهو فيض عن الله ويأخذ اشكال يمكن للانسان ان يستوعبه وهو يتفاعل مع الإنسانية عبر الروحانيات والمادية. وهذه الازدواجيه لا تتناقض مع وحدانية الله اذ ان الفيض هو طريقة لاظهار الاسرار المستورة الالهية.[1]

---

[1] الزوهار الاول ، 15 أ الترجمة الإنجليزية من التصوف اليهودي - مقتطفات من الباطنية اليهودية ، دان كوهن شربوك ، حانة ون وورلد ، ص 120 – 121

فمثلا، يفسر الزوهار أول كلمات سفر التكوين التي تقول «في البدء خلق الوهيم»[1]

(ترجمة حرفية للعبرية التي تقول «بيريشيت بارا الوهيم») بأن «عين صوف» خلق الوهيم وهو فيض من الله والدال على الخلق. وبالتفصيل، يقول الزوهار ما ترجمته حول البدء:[2]

« في البدء، نقش الملك في النقاء السماوي. فانبثقت شرارة من السواد في ختم داخل الاختام، من سر من اسرار عين صوف، ضبابة من داخل المادة، مزروعه في حلقة، ليست بيضاء، ليست سوداء، ليست حمراء، ليست صفراء، ليست من اي لون. وعندما قاس بمعيار قياسي، صنع الالوان ليصبح هناك نور. ومن داخل الشرارة، وفي اعمق داخلها، انبثق مصدرا الذي منه رسمت الالوان وختمت داخل ختم داخل اختام سر عين صوف. تغلغلت، لكنها لم تتغلغل في هوائها. لم تكن معروفة ابدا حتى اشرقت نقطة واحدة مختومة وسمائية بسبب ضغط تغلغلها. ولا يمكن ادراك اي شيء فيما وراء هذه النقطة. لهذا تسمى البدء (بالعبرية ويشيت) وهي الكلمة الاولى.»

وصفت بنية الفيوض بطرق مختلفة منها الـ«سفيروت» (Sephirot أي الفيوض، أو الصفات الربانية) والـ«بارتزوفيم» (Patzufim، أي الاوجه الربانية) والـ«أوهر» (Ohr، النور الروحاني)، وأسماء الله والتوراة السماوية والـ«أولاموت» (Olamot، عوالم الارواح)، والشجرة الالهية والانسان الرباني الأول، والشجرة الربانية، والعرش والقصور الربانية، والذكر والانثى، وطبقات الحقيقة الملتبَسة، والحيوية المقدسة الداخلة والقشور الخارجية (بالعبرية: كيليبوت)، والقنوات 613، والنفس الربانية في الإنسان.

الفيوض (السفيروت) والتأنيث الرباني:

السفيروت هي الفيوض والصفات العشرة التي لله التي يستخدمها للحفاظ والتحكم على الكون. يوضح الزوهار ونصوص التكوين الأخرى

---

[1] سفر التكوين:1-1

[2] زوهار الأول ، 15 أ الترجمة الإنجليزية من التصوف اليهودي - مختارات ، دان كوهن شيربوك ، حانة ون وورلد ، ص 120-121

بتفصيل عملية بزوغها من خفائها ومكمنها من الاتحاد الالمتناهي مع عين صوف. قام القرطبي بمنهجتها كضؤ واحد صب في 10 اوعية مخلوقة. واستعملت مجازتين لتوضيح السفيروت: المجازة الاولي هي شجرة المعرفة التي تستعمل لشرح الفكرة من ناحية دينية. اما المجازة الثانية فهي استعمال ادم الاصلي لشرح الفكرة من ناحية انسانية. وهذا المنظور ثنائي الاتجاهات يجسد طبيعة التدفق الرباني الدوراني التي يصبح ظهور منظوري التجسيد الرباني والتجسيد الإنساني ممكنان. وباستعمال المجاز الإنساني، يمكن توضيح السفيروت لسهولة ربطها بالملكات النفسية للنفس الإنساني وبالتالي ربط الجنس الذكوري والجنس الانثوي في اية التكوين 1:27 التي تقول «فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرا وانثى خلقهم». فالسفيرة الاخيرة في التكوين هي سفيرة الوجود الرباني الانثوي (بالعبرية: شيخينة). وتدفق النور الرباني في التكوين يؤلف العوالم الاربعة: عالم الفيض (بالعبرية: עולם אצילות آولم اتزيلرت)، وعالم الخلق (بالعبرية עולם בריאה، اولم برياه)، وعالم التشكيل (بالعبرية: עולם יצירה، اولم يتسيراه) وعالم النشاط (أو الأعمال، بالعبرية: עולם עשיה، اولم اسيياه). والعوالم الاربعة يظهروا هيمنة السفيروت المتتابعة باتجاه الأعمال النشطة في الكون، وتجسيمهما هما التناغم المطلوب لاتمام الكون. أعمال الإنسان هي التي تجمع أو تفصل بين الصفات الانثوية أو الذكرية الربانية للسفروت. بما ان السفروت هي الاسس الروحانية للخليقة، فهي تطابق اسماء الله في اليهودية وطبيعة أي كيان.

السفروت العشرة كآلية تكوين:

بحسب الكونيات اللوريانكية، توافق كل سفروت مرحلة من مراحل الخليقة. وتداخل السفيروات في العوالم والسفيروات يجعل عدد الامكانيات لا متناهية (فهناك عشرة سفورات في كل من العوالم الاربعة، واربع عوالم في داخل كل عالم أكبر، وفي داخل كل من العوالم سفورات عشرة وهكذا لعدد لا نهائي من التداخلات بين الوالم

والسيفورات).[1] وكل هذه السفورات تشكل مستوى معين للخليقة التي تفيض من الخالق لتكوين الكون. تعتبر السفيروت هي وحي أو الهام دال على مشيئة الخالق.[2] وعليه، لا يجب اعتبارهم عشرة الهة، بل يجب النظر اليهم كعشر طرق مختلفة يعتمدها الله الواحد في اظهار ارادته عن طريق الفيض. ولهذا، ان الله لا يتغير لكن طريقة ادركه هي التي تتغير.

رسم يوضح السفروت بتسلسل تنازلي بشكل شجرة مؤلفة من ثلاث اعمدة جذورها في الاعلى وفروعها في الاسفل

أسماء السفروت بالتسلسل التنارلي:

- كتير (Keter): أي التاج السماوي وهو يمثل ارادة المافوق-وعي.

- خوشما (Chochma): اعلى امكانية فكرية.

- بيناه (Bina): ادراك الإمكانية.

- دات (Daat): عقل المعرفة.

- خسيد (Chesed): المحبة والعطف. وتسمى أيضا «كيدولا» وتعنى العظمة.

- دن (Din) : العدالة وتسمى كيفورا أي القسوة/القوة أو باشات أي الخوف).

- تفيريت (Tif'ert) أو رخميم معناهما الرحمة.

- نيتزاخ (Necah): النصر والابدية.

---

[1] لشرح قصير. الغالبية العظمى من نظام Lurianic يتعامل فقط مع التعقيدات الموجودة في عالم Atzilutكما هو موضح في مقدمات كل من Otzrot Haim و.Eitz Haim

[2] أغنية الروح ، يحيئيل بارليف ، ص 73

- هود (Hod): المجد والعظمة.

- يسود (Jesod): الاساس.

- ملخوث (Malchut): الملكوت أو المملكة الربانية.

مع ان هناك إحدى عشر اسما، الا ان القباليون يعتبروا «كتير» و«دات» هما حالتين لسفورة واحد اذ ان الأول هو حالة الوعي والثانية هي حالة اللاوعي. وهليه يك، ن العدد الكلي للسفورات هو 10.

السفيرات العشرة كعملية اخلاقية.

- اشتهرت القبالة بين العامة في القرنين السادس عشر والسابع عشر بسبب ادب الاخلاقيات المتعلق بممارسات التأمل القبالية.

ان الخلق الإلهي عن طريق السفيروت العشرة هي عملية اخلاقية. وكل سفيروت يمثل ناحية مختلفة للفضيلة. فنجد في الخسيد فكرة الحب والعطف. والدن هي تفسير وتبرير للعدالة. وتقوم الرخميم بالتوسط بين الاثنين. وتصبح ركائز الفضيلة هذه من الموبقات في حدودها القصوى. فمثلا، عند وصول الحب-العطف إلى المرحلة القصوى يؤدي لشبق جنسي فاسد يؤدي إلى فقدان العدالة عند الفاسقين. وكذلك، عند وصول العدالة إلى اقصاها قد تؤدي للتعذيب وقتل الابرياء والقصاص الغير عادل.

ترتفع اخلاقيات الصالحين (بالعبرية: تزاديكيم) بممارستهم للأعمال الصالحة. وإذا فُقد الصالحين، تختفي بركات الله وتنتهي عندها الخليقة. فأعمالنا هي اساس (بالعبرية: يسود) هذا الكون (بالعبرية: ملكوت)، ولهذا، يجب ان يصاحب الإنسان أعماله بدوافع واعية من الرحمة. وغالبا ما تكون أعمال الرحمة مستحيلة من دون الايمان (بالعبرية: ايمانوه) بان الله يسند الرحمة حتى عندما يبدوا انه غائب. ويجب على الإنسان ان يمارس الرحمة على ذاته ليستطيع ممارسة الرحمة على الاخرين. وهذه الانانية في الاستمتاع ببركات الله من اجل مساعدة الاخرين هي جانب مهم في «التقييد» فيما يماثل الوسطية الذهبية في

القبالة وهي تماثل سيفرة التيفيريت في الركيزة الوسطى من شجرة الحياة.

وكتب القرطبي كتاب حول الاخلاقيات اليهودية وعلاقتها بسيفورات القبالة العشر في كتاب سماه «تومير ديفوره» (أي بلحة ديفورا).[1]

عوالم روحية تنازلية:

اعتقد قباليوا العصور الوسطى بأن الكائنات كلها، الحية والجامدة، تتصل بالله عبرهذه الطيوف أو السيفيروت. وهكذا، فكل مستويات الخليقة تتدرج في سلسلة كينونية تنازلية (chain of being) بحيث ان أي كائن مخلوق ادنى هو انعكاس لخاصية محددة للرب السماوي. توسع الحاسيديون في مفهوم المحايثة الالهية (أي وجودية الله في الكون) بإن الله هو كل ما هو موجود وكل شيء آخر لا يمكن فصله عن الله. ويمكن اعتبار هذا الموقف نوع من الوحدانية الكلية (بالانكليزية: monistic panentheism) بمعنى ان الكون موجود في الله، لكن وجود الله يتجاوز الموجود. وهناك شرح وافي لهذه المعضلة في نصوص الشبات.[2]

اصل الشر:

تعويذة من القرن الخامس عشر.[3]

بالنسبة للقباليين اليهود، الشر هي من صفات الله لانهم يعتبروا ان كل شيء موجود، حتي السلبية، داخلة في جوهر «المطلق»، أي عين سوف أو الله. وان المطلق بحاجة للشر «ليكون ما هو»، أي لينوجد.[4]

اعتبر قباليوا العصور الوسطى ان الشر، واسمه «سيترا اشرا» (الجهة الأخرى)، هو الموازي الابليسي للمقدس والكيبوت (القشرة) (بالعبرية:

---

[1] جيه إتش لينين ، الباطنية اليهودية ، ص 164

[2] واينبرغ ، الفصل الثاني. 20-21

[3] -مستوى المبتدئين الكابالا: ما هو الكابالا العملي؟

[4] بييرو كانتوني ، "علم الشياطين والتطبيق العملي لطرد الأرواح الشريرة وصلوات التحرير" ، في فيدس كاثوليكا 1 (2006. [3]

כיפות) التي تغطي وتخفي المقدس. فالشر يتغذى من القدوس، وبنفس الوقت يحميه بتحديد اظهاره. سمى شوليم من اعتقدوا مباديء ثنائية القدرات الالهية بالغنوصيين اليهود.

ومن منظور راديكالي، اعتبر ان اساس الشر ينوجد عند فقدان الملائمة في سيفورة الدن (كيفورة) أي قدرة القوة والقرار وهي ضرورية لوجود الكون وحي لكونها المناكفة لسفورة الخسيد (الحب والعطف)، وبالتالي فانها تحدد العطاء اللامتناهي الذي يولد الخليقة. من ناحية أخرى، إذا ارتكب الإنسان معصية (أي استعمال حكم غير عادل في النفس) تقوم الحكمة السماوية بالتفوق على العطف وبالتالي تخلق عدم توازن بين كل السيفورات الالهية وتخرجه من الله وخليقته. ويبدوا العالم الشيطاني، الذي هو في الاساس وهم في الاصل المقدس، كمن شوائب الخلق الاسفل.

دور الإنسان:

للانسان، في القبالة، دورا رئيسي محوري اذ اتها تعتبر ان نفسه وجسده تُوافقا التعبير الإلهي السماوي. عمم هذا المبداء في القبالة المسيحية بتناغم الخليقة بداخل الإنسان.[1]

- وفي القبالة اليهودية أصبح للمبداء معنى روحاني يهودي عميق. اعطى التعريف القبالي للانسان بعدا جديا ابداعي مقارنة بالمفهوم التقليدي مع انه اعاد تأكيد الممارسات التقليدية.

فصلت قبالة العصور الوسطى تعليل كل وصية من وصايا الله (بالعبرية: ميتزفا) وربطتها بدورها في خلق تجانس في عملية الدفق الإلهي السماوي وكيف ان الاتحاد بين القدرات الذكرية والانثوية. فالوجود الانثوي للربانية السماوية مسلول من الخروج إلى الواح القوس الاعلى. والوصاية الـ613 التوراتية هي مبطنة في أعضاء ونفس كل انسان.

طبقات النفس:

تطرح القبالة فكرة تقسيم النفس إلى ثلاث طبقات:

[1] **جوزيف دان ، الكابالا: مقدمة قصيرة جدًا ، اكسفورد ، فصل حول "القبالة المسيحية**

- النفيش (بالعبرية נפש أي وهي النفس الحيوانية) وهي النفس الذنيا ولها علاقة بالغريزة والشهوات الجسدية.

- راوخ (רוח، الروح) وهي النفس الوسطى التي تمتلك الفضائل الاخلاقية والقدرة على التمييز بين الخير والشر

- النشامة (נשמה، النسمة) وهي النفس العليا وهي ميزة انسانية لا توجد في أي من المخلوقات ولها علاقة بالعقل والإدراك والتي تستفيد من الحياة بعد الموت. وهي ما تساعد الإنسان على ادراك بعض وجود الله.

النفيش موجودة في الإنسان وتأتي مع ولادته وهي مصدر خصائصه الجسدية والنفسية. اما الطبقتين الاخرتين فلا تأتي عند الولادة بل تنمو وتطور بحسب عادات ومعتقدات الشخص وهما يظهران بشكلهما الكاملين عند المتنورين روحيا.

اما الزوهار، فيضيف مستويين اخرين للنفس هما:

- خياه (חיה، الحياه) وهي الجزء من النفس التي تسمح للانسان ادراك الله.

- يهيدا (יחידה، الوحدة) وهي اعلى مسطحات النفس والتي يمكنها الاتحاد مع الله.

وهذان المستويان لا يدخلان الجسد مثل الثلاثة الباقية ولهذا لم يعرهما الزوهار الكثير من العناية.

يضيف القباليون والحاخاميون حالات أخرى غير دائمة للروح ولا دور لها بعد الممات. وهذه المستويات هي:

- راوه هاكوديش (بالعبرية: רוח הקודש، روح القدس) الحالة النفسية التي تفتح باب التنبؤ. ومع انتهاء عصر النبوءات، لم يعد أحد من خارج اليهودية يتلقى التنبؤ.

- ناشامة يسيرا (النفس المعززة) وهو ما يدركه اليهود في يوم الشبات (يوم الراحة، أي السبت). ولا يمكن ادراكها الا لمن يمارس طقوس السبت.

- نيشاما كودوشا (النسمة المقدسة) وهي تحل في في الإنسان عند سن البلوغ (13 سنة عند الصبيان و12 سنة عند الفتيات) وهي مرتبطة بدراسة وصايا التوراة وممارستها.

التناسخ:

دخلت فكرة التناسخ، أي هجرة النفس بعد الممات، إلى اليهودية في فترة العصور الوسطى، كفكرة تداولها النخبة.وسميت بدورة النفس (بالعبرية: غيلغول نشيمات). لا تظهر هذه الفكرة بوضوح في التوراة ولا في الادبيات الحاخامية اليهودية كما رفضها العديد من الفلاسفة اليهود. الا ان القباليون ردوا العديد من آيات التوراة إلى التناسخ. واصبحت الفكرة محورية مع اسحق لوريا عندما جعلها محورية وموازية انسانية لعملية التصحيح الكونية. واصبح التناسخ ثقافة شعبية يهودية من خلال القبالة اللورية وادبيات الحسيديم.

- الباطنية اللغوية عند اليهود:

ايمان القباليون والمدراشيون بأن الله اعتمد العبرانية كلغة لخلق الكون جعلهم يوسعون دراسة التوراة إلى لغة باطنية بحيث أصبح لكل حرف وكلمة ورقم وحتى لهجة الكلمات معاني باطنية تشرح الابعاد الروحانية الموجودة في الافكار الباطنية. وبالتالي، اسست لمنهاج تأويلي لتفسير الايات. وبما ان العبرية لا تعتمد الاعداد في لغتها، استعملو الاحرف للدلالة على الارقام (حساب الجمل) وبالتالي استعملوا علوم الترقيم والجاميترا لإيجاد معاني باطنية لكلمات التوراة.

ـ النصوص الاساسية للقبالا:

بدأت القبالة، مثل كل التراث الادبي الحاخامي، كادب شفي يحفظه ويتناقله الخاصون. ومع مرور الزمن، دونت هذه الشفهيات في نصوص مكتوبة. في البداية، اعتبرت التفسيات الباطنية غير مفيدة بحسب ما اشار اليه الحبر بن سيرا (عاش حوالي عام 170 ق.م).[1] بالرغم من هذا، درست الباطنية بشكل كبير ووا ادت لكتابة ادب باطني كان باكورته ادب الوحي (apocalyptic literature) في القرنين الاخيرين من عصر قبل الميلادي. ومع مرور الزمن، نشر العديد من الكتب حول الباطنية والقبالة من اشهرها: الباهير (الباهر)، سيفير رازيل هاملخ (كتاب رازئيل الملك)، والزوهار وهو الكتاب الاساسي في تفاسير القبالة.

ـ نقد القبالة:

يعتبر المسلمون ان القبالة هو نوع من الشرك والالحاد وهي طقوس وحشية وتعاليم جهنمية شيطانية.[2] وهي بوابة للعالم السفلي واداة للسحر المحرم في الإسلام والطريق إلى الشيطان ولها علاقة بالماسونية[3] وتعتمد على الاساطير والجهالة القديمة. وهي تحريف للتوراة. كما انها دين ابليس الذي يستعمله لتضليل الناس.[4]

هناك العديد من الباحثين يرون في القبالة دعوة لدين ثنائي مع ان اليهود يدعون للتوحيد اذ انها تقول بوجود قوة لالهية متضادة مع الله.

وعندما قام الباحثون والمؤرخون بالتنقيب عن اصل «كابالا» فوجئوا بان هذه التعاليم تستند إلى فلسفة وثنية كانت موجودة قبل التوراة ثم تسللت إلى الدين اليهودي.

---

[1] سيراش الثالث. 22 ؛ قارن التلمود والحجيقة 13 أ ؛ مدراش سفر التكوين رباح ، ثامنا.

[2] الحسيني ، معدي. القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم ـ خفايا كتاب اليهود المقدس اليهودي ـ وثيقة الرعب والارهاب اليهودي. نشر دار الكتاب العربي ، دمشق. 2007.

[3] الكابالا ـ السحر ـ وعام 2011. موقع الماسونية

[4] جمال عمر. الكابالا .. ومؤامرات إبليس (3). بوابة روز اليوسف.

وإلى هذا يشير الماسوني التركي "مراد اوزكن آيفر في كتابه "ما الماسونية؟" فيقول "لا أحد يدري على التحقيق كيف ومتى ولدت «كابالا» ولكن المعلوم انها مرتبطة بالدين اليهودي ويحمل صيغة ميتافيزيقية وتعاليم باطنية. ومع انه يذكر وكأنه باطنية يهودية، إلا أن معظم تعاليمه قديمة وكانت موجودة قبل ظهور التوراة".

اما المؤرخ اليهودي ثيودور رينخ فيصف كابالا بانه السم السري الذي دخل إلى عروق الدين اليهودي.

اما المؤرخ اليهودي الآخر شلمون رينخ فيصف كابالا بانه اسوأ انحراف للعقل الإنساني.[1]

- الصوفيــة اليهودية (القــبَّالاه):

(Jewish Mysticism (Kabbalah

يُعرف التراث الصوفي اليهودي باســم «القبَّــالاه» التي مرت بمراحــل عديدة أهمــها «قبَّــالاة الزوهار» وتُسمَّى أيضاً «القبَّالاه النبـوية»، و«القبَّالاه اللوريانية» التي يمكن أن تُسمَّى «القبَّالاه المشيحانية».أما كلمـة «الصوفية»،فلها (داخل النسق الديني اليهودي) دلالات خاصة،فهذا النسق يتَّسم بوجود طبقة جيــولوجية ذات طابع حلولي قوي تراكمت داخله،ابتداءً من العهد القديم، مروراً بالشريعة الشفوية،وقد انعكست هذه الحلوليـة من خـلال شـيوع أفكار، مثل:الشعب المختار، وأمة الروح، والأرض المقدَّسة.

وتراث القبَّالاه الصوفي تراث ضخم وضع أسس التفسيرات الصوفية الحلولية في الزوهار والباهير وغيرهما من الكتب، وحل محل التوراة والتلمود. ومن الملاحَظ أيضاً انتشار الحركات المشيحانية الصوفية الحلولية بين الجماعات اليهودية في العالم عبر التاريخ. فكان التفكير الفلسفي بين اليهود نادراً، ولم يظهر إلا تحت تأثير الحضارات الأخرى، كما أنه كان ينحو منحى حلولياً في أغلب الأحيان. ففيلون السكندري،

---

[1] الكابالا:شيليمون رينخ

مثلاً، كان واقعاً تحت تأثير الحضارة الهيلينية، ولم يكن يعرف العبرية مطلقاً، ومع هذا فإن ثمة نزعة حلولية قوية في فلسفته، ولم يترك فكره الفلسفي أي أثر في تطور اليهودية اللاحق. وكذلك موسى بن ميمون، بطل كل المفكرين العقلانيين اليهود، فقد كان متأثراً تأثراً عميقاً بحضارته العربية الإسلامية. أما في العصر الحديث، مع ظهور فكر فلسفي يهودي حديث، فإننا نجد إسبينوزا بفلسفته الحلولية على رأس المفكرين. كما أن أهم مفكر ديني يهودي، مارتن بوبر، كان مهتماً بالتصوف أشد الاهتمام، بل نجده أحد عُمُد التصوف في تاريخ الفكر الحديث في الغرب. والواقع أن الفكر الديني اليهودي الحديث ينحو، في جوهره، هذا المنحى الصوفي الحلولي، والصهيونية هي النقطة التي تظهر عندها الحلولية بدون إله.

ويمكن التمييز بين نمطين من التصوف: واحد يدور في نطاق إطار توحيدي، ويَصدُر عن الإيمان بإله يتجاوز الإنسان والطبيعة والتاريخ، ومن ثم يؤمن بالثنائيات الدينية الفضفاضة (سماء/أرض ـ إنسان/طبيعة ـ إله/إنسان). وتتبدَّى هذه الرؤية في تدريبات صوفية يقوم بها المتصوف ليكبح جماح جسده تعبيراً عن حبه للإله وعن محاولته التقرب منه وهو يعرف مسبقاً استحالة الوصول والتوحد مع الإله، فالحلول الإلهي يتنافى مع الرؤية التوحيدية، ووحدة الوجود قمة الكفر. والمتصوف الذي يدور في إطار توحيدي يعبِّر عن حبه الإلهي عن طريق فعل في التاريخ والدنيا يلتزم فيه بقيم الخير ويُعلي به من شأن القيم المطلقة المُرسَلة للإنسان من الإله ويصلح به حال الدنيا.

ـ أما النمط الثاني من التصوف فيدور في إطار حلولي يصدر عن الإيمان بالواحدية الكونية حيث يحل الإله في الطبيعة والإنسان والتاريخ ويتوحد معها ويصبح لا وجود له خارجها، فيُختزَل الواقع بأسره إلى مستوى واحد يخضع لقانون واحد. ومن ثم، يستطيع من يعرف هذا القانون (الغنوصي) أن يتحكم في العالم بأسره. وهذا هو هدف المتصوف في هذا الإطار. فبدلاً من التدريبات الصوفية التي يكبح بها الإنسان جسده ويطوع لها ذاته، يأخذ التصوف شكل التفسيرات الباطنية وصنع التمائم

والتعاويذ والبحث عن الصيغ التي يمكن من خلالها التأثير في الإرادة الإلهية، ومن ثم التحكم الإمبريالي في الكون. وحتى لو أخذ هذا التصوف شكل الزهد، فالهدف من الزهد ليس تطويع الذات وإنما الوصول إلى الإله والالتصاق به والتوحد معه والفناء فيه ليصبح المتصوف عارفاً بالأسرار الإلهية، ومن ثم يصبح هو نفسه إلهاً أو شبيهاً بالإله. والمتصوف في إطار حلولي لا يكترث إلا بذاته، ولذا فهو لا يتحرك في الزمان والمكان الإنسانيين ولا يأتي بأفعال في التاريخ ولا يهتم بإصلاح الدنيا بل يضع نفسه فوق الخير والشر وفوق كل القيم المعرفية والأخلاقية. فالتجربة الصوفية التوحيدية تطويع للذات وطاعة للخالق وإصلاح للدنيا، أما الثانية فهي تحقيق للذات وتطويع للخالق وبحث عن التحكم في الدنيا. ورغم استخدام لفظ واحد («تصوف») للإشارة إلى التجربتين، إلا أنهما مختلفتان تمام الاختلاف. والتصوف الحلولي، وخصوصاً في أشكاله المتطرفة، هو شكل من أشكال العلمنة. فإذا كان الإله أو الخالق هو مخلوقاته، فإن مخلوقاته هي هو. وإذا حل الإله في المادة، فإن الطبيعة تصبح هي الإله (كما يؤكد إسبينوزا)، كما أن صاحب العرفان يصبح قادراً على التحكم في الإله والطبيعة والكون. ويمكننا هنا أن نرى ملامح سوبرمان نيتشه، الذي لا يؤمن إلا بإرادة القوة ويتجاوز أخلاق الضعفاء.

ويمكننا القول بأن التصوف اليهودي (على وجه العموم) من النمط الحلولي وأنه ذو اتجاه غنوصي قوي. فالمتصوف اليهودي لا يتجه نحو تطويع الذات الإنسانية الفردية وخدمة الإله، وإنما يحاول الوصول إلى فَهْم طبيعة الإله من خلال التأمل والمعرفة الإشراقية الكونية (الغنوص أو العرفان) بهدف التأثير في الإله والتحكم الإمبريالي في الواقع. ومن هنا، كان ارتباط التصوف اليهودي أو القبَّالاه بالسحر، ومن هنا أيضاً كانت علاقة السحر بالعلم والغنوصية. وقد وصف العالم جيرشوم شوليم الصوفية اليهودية بأنها «ثيو صوفية»، أي أنها معرفة الإله من خلال التأمل والمعرفة الإشراقية الكونية (الغنوص) أو العرفان. ومن ثم، فهي تبتعد عن التمرينات الصوفية وعمليات الزهد ومحاولة الذوبان أو إفناء الذات الإنسانية في الذات الإلهية. ولكن هذا الوصف ليست له مقدرة

تفسيرية عالية، فالتصوف اليهودي الحلولي يتجه نحو الاتحاد مع الإله والالتصاق به (ديفيقوت)، وهو اتحاد يؤدي إلى وحدة الوجود (ووحدة الوجود يُفترض أنها تؤدي إلى الكشف الصوفي لطبيعة الإله وإمكانية التواصل معه ثم التحكم فيه!). ولعل سمة التصوف اليهودي الأساسية أنه يدور في معظمه في إطار حلولي، الأمر الذي يجعله يختلف عن التصوف الذي يدور في إطار توحيدي. ولذا، فنحن نؤثر أن نشير إلى التصوف اليهودي بكلمة «قبَّالاه»، فهي أكثر دقة وتفسيرية.[1]

- **يعتبر التصوف اليهودي، قبل أن يكون موقفا فكريا، منتوجا تاريخيا عكَس، إلى هذا الحد أو ذاك، حالة نفسية عامة، استدعاها بالضرورة، خلال القرن الثاني الهجري، ذلك التلاقح الحضاري الذي تنوعت مكوناته الثقافية ومهد له الازدهار المادي في العصر العباسي؛ واستنادا إلى كتابات سَعْدِيا گـاوُون فإن النّزَعات الأولى للتصوف اليهودي ربما واكبت انطلاقة حركة التصوف الإسلامي؛ لأن التصوف عامة، وهو ما يبدو، لم يخرج، في جوانبه التنظيمية، عن الإطار الزمني لهذا القرن.**

إن ما يهمنا الآن، ليس التأصيل للتصوف اليهودي المغربي وكيفية بدايته بقدر ما يهمنا طريقة تعبيره عن التطور التاريخي، الذي عرفته الطائفة اليهودية المغربية ضمن مجتمع الغرب الإسلامي، وكذلك مساهمة بعض الأحداث بعينها في إعطاء تأويلات قَبّالية لبعض الممارسات الدينية والثقافية التي ميزت المجتمع اليهودي في المغرب الإسلامي[2]**.**

ولما كان المتصوفة من اليهود المغاربة، كغيرهم من يهود المشرق الإسلامي، لا يملكون من الأدوات التعبيرية إلا ما أنتجه الأدب الصوفي الإسلامي، وهو بالفعل ما اقتبسوه من إخوانهم المسلمين،

---

[1] **محمد الغرايب ـ التصوف اليهودي بين العقيدة والتاريخ..**

[2] محمد الغرايب ـ التصوف اليهودي بين العقيدة والتاريخ

فإن الضرورة تدعو، وإن باختصار، إلى الإشارة إلى هذه الأدوات من جهة وتبيان حدود مساهمتهم في هذه الممارسة الروحية، وبعض ما تركوه من كتابات كإرث فكري من جهة أخرى.
اقتضت العوامل الطبيعية والاقتصادية، في الغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب خاصة، وجود بنيات اجتماعية وسياسية وفكرية متطابقة، وهو ما أسميناه في دراسات سابقة[1]، بسبب كل هذه العوامل المتميزة بالقلة وعدم الانتظام، بنمط إنتاج الندرة؛ وقد طبع هذا النمط كل مناحي الحياة في بلاد المغرب بطابعه، وانعكس بشكل واضح في كتابات المتصوفة والقبّالين، وهذا ما سنقف على بعض الجوانب فيها.
يعتقد بعض الدارسين أن "الوعي الصوفي اليهودي والتقليد القبالي يَمْتَحان من مصادر اليهودية الأكثر عمقا، ويتعلق الأمر بالتوراة وما وضع حولها من حواش، والتلمود وتفسيره والهَالاَخا والثيولوجيا والمُوسَار والمِدْراش والهاگدا"[2].
إلا أننا نرى أن مساهمة هذه العناصر جميعا لم يكن إلا عاملا واحدا ضمن عوامل ثقافية أخرى[3] وَجدت، في تربة الإسلام الخصبة والمتميزة، كل الأسباب لإبراز خصوصيتها، لكنها ظلت، كما ظل التصوف اليهودي، رافدا من روافد الثقافة الإسلامية وإحدى صورها، لذلك لم يبتعد تعريف الباحثين اليهود للتصوف اليهودي عن تعريف المسلمين للتصوف الإسلامي. بل إن التصوف اليهودي، كما سنرى الآن، أطر الجهاز المفاهيمي الصوفي الإسلامي داخل مجاله، لأن اليهودية كانت قد تهيأت، بفضل متانة البنية التحتية لمجتمع الندرة الإسلامي، لتستقبل كل المؤثرات القوية من داخل هذا المجتمع، ولاسيما التصوف الذي اعتُبر، من قبل البعض، "أهم مساهمة إسلامية

---

[1] محمد الغرايب ، يهود مجتمع المغرب الأقصى الوسيط ، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ظهر المهراز ، 2002

[2] حاييم الزعفراني. Kabbale vie mystique et magie. Maisonneuve et Larose ، باريس 1986 ، ص.

[3] - تعود أصول التصوف ، عند بعض الدارسين ، تارة إلى العرش إلى العرش وتارة إلى الزهد ، تارة إلى الزهد ، السياحة إلى الزهد ، الجذر إلى الاحتراس والقناعة التي اتسم بها علماء التلمود. ظهور الإسلام.

في الثقافة عامة[1]" .

إن التصوف في التعريف اليهودي، كما في التعريف الإسلامي، هو في التحليل الأخير سعي إلى الارتقاء بالنفس والاقتراب بها من ملكوت السماوات، والدخول في رحاب الألوهية، أو ما أطلق عليه في العبرية دِيبِيقُوت، وهو مصطلح "يتماشى وفكرة تجديد الوحدة الإلهية التي تضررت من الخطيئة الأولى وتحقيق التناغم الكوني الذي هو ذاته مرتبط بشفاعة المسيح."[2]
والمتصوف هو من دفعته حاله إلى نوع من الوجد يزهد به في الدنيا وفي النفس، ويجعل وجوده مقتصرا على تطهير روحه بواجب العبادة والتقشف والتعفف والزهد، ومجموع عناصر هذه الحالة هي أولى درجات الارتقاء في سلم التصوف اليهودي، وهو نفسه أول عتبة أمام المتصوف المسلم للدخول إلى عالم الزهد، وتشترط هذه العتبة أمورا ثلاثة يُكرِه الإنسان نفسه عليها، وهي:
- **المعرفة،**
- **والمحاسبة،**
- **والمحبة.**

لكن عنصر المعرفة الصالحة يتجلى جوهره، حسب المتصوف، في الإكثار من ذكر الله وترديد اسمه.[3]

ولما كانت اليهودية مكونا من مكونات الثقافة الإسلامية، فإن المتصوفة من اليهود اقتبسوا المصطلح الصوفي الإسلامي.[4]

---

[1] - ج. شولم ؛ قبالي. éd. القدس ، 1974 ، ص. 35
[2] حسن الزعفراني ؛ مرجع سابق سي تي ، ص. 18.
[3] ج. س. أناواتي و ل. جارديت ؛ سحر مسلمان. باريس 1976 ، ص 187 – 205
[4] - رغم أن اللغة العبرية تمتلك كثيرا من المصطلحات الصوفية التي تحمل المعنى نفسه في اللغة العربية، إلا أن العلماء من اليهود فضلوا استعمال المصطلح العربي، من ذلك مثلا: مصطلح الظاهر والباطن. فقد استعمل الفلاسفة هذين المصطلحين نفسيهما بدل حيصوني (الخارج) وبينيمي (الداخل) العبريين كما استعملها القباليون بدل: نيـﮕـلا (الظاهر) ونيستار (الباطن)، والتوراة نفسها تقوم على ثنائية متناقضة: ظاهر وباطن، وخفي سري وواضح جلي (عورانيا ستيم وثجاليا"

واستعملوه بشكل واسع، وإن كنا نعتقد أن العدد سبعة[1]، الوارد ذكره في التوراة والقرآن الكريم، والذي يعني في ما يعنيه دوما الأوج أو النهاية، قد تم وفْقَه ترتيب المستوى الثاني من سلم التصوف، ويتكون هذا المستوى من فروض ومراق تنتهي باليقين، ويمكن تقسيمها صوفيا إلى قسمين، وهما: المقامات والأحوال.

والمقامات، كما بيننا، مراتب سبع، وهي على التوالي: 1- التوبة، 2- الورع، 3- الزهد، 4- الفقر، 5- الصبر، 6- التوكل، 7- الرضى.

أما الأحوال، والتي تقتضي مرور الزاهد إلى مرحلة التصوف، فثمانية[2]، تأتي مباشرة بعد استكمال المقامات بشكل يكون قد طهر

[1] - يبين القباليون اليهود أن الله عندما خلق الكون، خلقه من سبع سماوات وسبع أراض وسبعة أيام وسبعة أنهار وسبعة أسابيع وسبع سنين وسبع مرات سبعة أعوام وسبعة آلاف سنة كعمر للوجود، واتخذ الله لعرشه السماء السابعة مكانا، وجعل في كل سماء من السماوات العلا نجوما وكواكب وملائكة يأتمرون بأمر الله. وفي هذه السماوات جميعا حَفَظَة (ملائكة) تتراكب متحملة نيره تعالى، منهم خداما لا يشبه بعضهم بعضا، فمنهم من خصه بستة أجنحة ومنهم من خصه بأربعة، ومنهم من جعل له أربعة وجوه، ومنهم من وهبه وجهين ومنهم من خصه بوجه واحد. ومنهم المخلوق من نار، ومنهم المخلوق من ماء، ومنهم من هو نفخة من نفس مصداقا لما جاء في التوراة: "يخلق رسله نفسا وخدامه نارا حارقة". تحيط كل هذه السماوات ببعضها وتلتحم كما تلتحم قشور البصل ببعضها، ولا تفتر كل سماء من رعدتها خشية من الله، فبأمره مجراها ومرساها، وبقوّته وحوْله جرى حكمه على العالمين. ويمكن الرجوع إلى "سفر يصيرا" للتوسع أكثر في علاقات الحروف الأبجدية بخلق السماوات وغيرها.

[2] - للرقم ثمانية تأويل صوفي وقبالي في الثقافة اليهودية، في اليوم الثامن يفترض وجوبا ختان كل طفل ذكر ولد قبل أسبوع، وكل طفل تجاوز يومه الثامن بعد الولادة ولم يُختن حُرِم من الوقوف في الحضرة الإلهية. وقد جاء في التكوين: "في اليوم الثامن يختن كل ذكر منكم في كل الأجيال." وفي بيراخوت ذكر الربي شمعون: "إن كل رجل يرزق بذكر، أي بابن، ينضم إلى الشِّخِينة، وهي بداية كل الأبواب العلوية، البوابة المرتبطة بالاسم المقدس. ويبقى الدم الذي يسيل من جرح الطفل المختون حاضرا إلى جواره سبحانه، وعندما يُدعى العالم للحساب والعقاب بنظر الله إلى هذا الدم فيصفح عن العالم. وإذا حدث، لأسباب قاهرة، عدم ختان الطفل في يومه الثامن، فعدة من ثمانين حولا"، فالمختون في ثمانية أيام كالمختون في الثمانين من العمر، فكلاهما سواسية في نظر العادل، ففضل هذا الدم عظيم على الناس فهذا الدم عهد بين الله وخلقه، ومن قدر هذا العهد حق قدره استحق من الله الدنيا والآخرة.

النفس، وهي كما يلي تباعا: 1- القرب، 2- المحبة، 3- المخافة، 4- الرجاء، 5- الشوق، 6- الأنس، 7- المشاهدة، 8- اليقين[1].
وعندما تكتمل هذه الأحوال يكون المتصوف، أي الإنسان الكامل، قد بلغ أقصى درجات السمو.

ولما كان التصوف الإسلامي أنموذجا يُحتذى في أوساط القباليين من الطائفة اليهودية فإن نقط التشابه لا تعدم في الأدبين لدى المجموعتين، أو لنقل إن خطوط التبعية في الأدب الصوفي اليهودي للتصوف الإسلامي تبدو واضحة في طقوس العبادة اليومية، إلا أننا سنقتصر، في ضرب المثل لذلك، على قيام الليل عند اليهود واللجوء إلى الخلوة تجنبا للقاء الخلق.

يزخر الزهّار والأدب الرباني للفترة التلمودية وما بعدها بالحديث عن مواكبة الذكر والتفكر والتعبد في الخلوة. وقد ورد في أحد نصوص التلمود أن "أتقياء الأزمنة القديمة للمَشْنا كانت عادتهم انتظار ساعة من الزمن قبل الشروع في الصلاة حتى تنْصبّ أذهانهم على أبيهم الذي في السماوات، وإذا ما انغمسوا في الصلاة وجاء ملِك مُحَيِّيا إياهم ما ردوا تحيّته حتى لا ينقطع حبل صلاتهم أو إذا ما حدث وجاءت أفعى والْتَوت على عرقوبهم ما انتبهوا إليها."[2]

ويبدو أن حالات التصوف، في الوسط اليهودي، غالبا ما ظهرت في أوقات معينة، ربما تميزت بالشدة، أو في أماكن لا تختلف في شدتها عن هذه الأوقات إلا قليلا، وهو ما سنحاول التطرق إليه إجمالا دون تدقيق، ونعتقد، كما أشرنا إلى ذلك، أن التصوف عموما لم يكن ممارسة

---

[1] يحتل اليقين المرتبة الثامنة في سلم التصوف، ورقم ثمانية في الديانة اليهودية يعني عدة أشياء ذات علاقة حميمية في عمق ثقافة اليهود، فالأيام الثمانية مرجع للسِّفِرَاه الثامنة بداية من مِلْخُوت وانتهاء بكِتِر وهي التي يطلق عليها بناه، ويلطف الختان من شدة ووقع الميناَه

[2] - نجد هذا الأمر بداية عند الغزالي في كتابه ميزان العمل (طبعة القاهرة 1923)، وقد عمد هنري لاووست إلى الإشارة إليها ثانية في تحليله لمذاهب المتصوفة في كتابه:

La Politique d’Al Ghazali. Geuthner, Paris 1970, pp. 72-73.

روحانية فوق التاريخ ولكنها كانت وستظل منتوجا تاريخيا وتعبيرا روحيا عن حاجة اجتماعية أو حتى سياسية، وهو ما جعل التصوف بدوره ينقسم، رغم غموض بعض التعبيرات لدى المتصوفة، إلى روحانية إيجابية وأخرى غير إيجابية، وهو ما سنراه في ما يلي من الفقرات.

لا يجب الاعتقاد بحياد المتصوفة وانصرافهم عن هموم الحياة الدنيا وانقطاعهم إلى العبادة لأن كل هذه الأمور نسبية في حياة الناس وهو ما لم يجعل المتصوفة عموما في مأمن من عنف الحكام، كما لم يجعل الحكام في مأمن من تحريض المتصوفة ضدهم، كما أن المتصوفة من مختلف الملل، بما فيها الإسلام، لم يحطموا بينهم الحواجز الدينية ليكوّنوا طبقة اجتماعية ذات أهداف واحدة، بل اتخذوا، أحيانا، من الآليات الدينية، وسيلة لتمتين التنافر ضمن الحضارة والمجتمع الواحد، ومحاربة كل ما يقرّب لاحقا بين مكوناته الدينية، وإن توسلوا بالسبل وبالإشارات نفسها، لأن تأويلهم للأسس الكبرى لكل ديانة يتم بشكل عقائدي، وقد يبدو الأمر جليا مع هذين المثالين التاليين ويتعلق الأمر بقراءة في الزهّار للعلاقة المتوترة بين المسلمين والمسيحيين، وما يسميه اليهود بالختان غير التام عند المسلمين.

وقد أورد الزعفراني باختصار هذين المثالين كما يلي: قال ابراهيم لربه: "رَبّ ابْقِ لي اسماعيل حيا"، فتنهد ربي حيا وبكى، وقال: "كانت ساراي عاقرا ولم يكن لها ولد". وتحسّر مرتين ونادى بالويل ولعن الساعة التي وضعت فيها هاجر إسماعيل، فسأله ربِّي يُوسِي: "لِمَ كل هذا؟ ألم تحبل ساره بعدها؟ ألم يكن لها ولد مقدَّس ميلاده وجنسه؟" فأجاب ربي حيا: "لك نظرتك ولي أخرى. إن هذا ما سمعته من ربي شمعون، وبسببه أبكي. دعوت بالويل على الساعة تلك، لأنه مر على ساراي حين من الدهر لم يكن لها فيه حمل ولا ولد، فقالت لابراهيم: دونك وخادمتي..." ناسبت تلك الساعة هاجر، وبفضلها ورثت (مزية) سارة، مولاتها.

رُزقت هاجر من إبراهيم طفلا فتوجه إلى ربه متوسلا: "ربّ ابق لي إسماعيل حيا." ورغم تبشيره سبحانه إبراهيم بمولد إسحاق، تعلق إبراهيم بإسماعيل فاستجاب الله لدعائه، وألقى إليه بالكلمات التالية: "أما إسماعيل ففيه أحببتك وباركته ... وأنا جاعل منه أمة عظيمة". اخْتُتِن إسماعيل ودخل الميثاق الحرام وقبل أن يولد إسحاق. تعال وانظر! فخلال أربعمائة عام، وقف كبير الملائكة، أميرُ يوم الدين، المكلف بقدَر أبناء إسماعيل، في وجهه سبحانه مرافعا أمامه: "أكلما اختتن أحدهم كان له حق معلوم في اسمك"؟ "نعم." "وهذا إسماعيل قد تم إعذاره فلِم لم يكن له، كما لإسحاق، حق معلوم في اسمك؟" فأجاب سبحانه: "اختتن إسحاق على الطريقة المثلى وذاك [أي إسماعيل] لم يكن ختانه كذلك". إذ يسكن هؤلاء [أبناء إسرائيل] إلي في يومهم الثامن من مولدهم وأولئك [أبناء إسماعيل] يبقون بمنأى عني". فأردف كبير الملائكة: "ولما كان [أي إسماعيل] قد تم ختانه أليس لك أن تثوب عليه. يا ويلتاه! كانت ويلا ولادة إسماعيل وكان ويلا ختانه. وما الله سبحانه بفاعل؟". أُبعد أبناء إسماعيل من الميثاق الحرام، وأعطاهم بدله في الأرض المقدسة مكانا دَنِيا جزاء ما فيهم من علامة ختان، وكان وعده لهم بحكمها مادامت خلاء، كما هو خال ختانهم وغير كامل، يُحادّون بني إسرائيل في العودة إلى أرضهم ويستمر الأمر على ما هو عليه إلى أن ينتهي الوعد. وكُتب على بني إسماعيل من الحروب أكبرها وأشدها، يتحد أبناء إيدوم (من الروم والبيزنطيين وبعدهم المسيحيين) ويتوحدون ضدهم ويُعلنون الحرب عليهم مرات عديدة، إحدى هذه الحروب ستكون في البحر والثانية في البر والثالثة قريبا من أورشليم، ينتصر بعضهم على بعض، ويؤول الأمر من بعضهم لبعض، لكن الأرض المقدسة لن ينالها أبناء إيدوم. وفي هذا الوقت ستنهض أمة وستقوم لقتال روما الكُفر والضلال. ويكون قتالها ثلاثة أشهر. وستتجمع الأمم هناك وستسقط هذه الأمم بين يديها؛ ومن كل أركان الأرض سيكون أبناء إيدوم يدا واحدة عليها، وعندها سيعلنها سبحانه حربا عليهم مصداقا لما ورد في يوشع: "مذبحة دموية تكون قربانا لله في بُصرى وقتل عظيم في أرض إيدوم"، ومصداقا لما ورد في يُوب: "ستسقط أركان الأرض لترتعد فرائص أهل الشر" ويطرد الله أبناء إسماعيل، ويكسر شوكة

الأقوياء من السماء، فلا قوة سماوية تبقى وكيلة بمصير الأمم، إلا مَن خول الله لها قدَر إسرائيل ... وبصدد هذا الزمن جاء في الكتب:
"وعندها سأبدل لغة الأمم بلغة واضحة ليذكروا اسم الله ويجعلوه شِخِيما واحدا وظهْرا واحدا، وكلاّ حركة واحدة"، "وأثناءها يُوحَّد اللهُ ويُوحَّد اسمه."

إن هذا التفسير الصوفي للتوراة، كما يبدو من محتواه، غُنوصي وسياسي بدرجة أولى أكثر مما هو ديني. وعلى هدْيه سارت باقي التفسيرات الصوفية الأخرى للحالات الاجتماعية التي عانت منها الطوائف اليهودية، سواء في الأندلس أو بلاد المغرب. فإذا كان الزهّار "خطابا حيا. فهو من جهة مُوجِّه لإبداع أدبي قبّالي باطني ومتنوع، ومن جهة أخرى تعبير عن الراهنية وديمومة الحياة الصوفية"، وانعكاس ديني لصراع اجتماعي، لذلك عكَست ملحقاته، كما رأينا في المثال الآنف الذكر، ذلك الصراع بين طوائف اليهود في عهدي ألفونس العاشر (1284-1252) وسانشو الرابع (1295-1284) ودور الأغنياء منهم في زيادة مأساة عموم الطائفة بابتعادهم عن تعاليم التوراة. وقد "صُوِّرت الخصومة بين إسرائيل وإيدوم كصراع بين عالم النور ومملكة الشيطان. إن الابتعاد عن الدين وتغييره، والعمل ضد مصلحة الشعب وقبول وعد أو الأخذ بأفكار ومعتقدات العالم غير اليهودي أو بعقلانية الفلسفة والدخول في خدمة الأمراء، والأسوأ أيضا البحث عن مرافقة نساء المشركين وموادتهن كل ذلك استسلام لإغواء الشيطان".

كان للجانب الاجتماعي قوّته في فرض نوعية الكتابة عند موسى دي ليون، فقد كان هذا المتصوف اليهودي منشغلا أشد الانشغال بالأمراض الاجتماعية التي كانت تضرب بقوة الطائفة اليهودية، وكان يحاول معالجتها جاهدا: "طوبى لشعب إسرائيل لأن الله اختاره من بين الشعوب ليخصه بعلامة العهد ... وكل أولئك الذين لا يحترمون هذا الميثاق المقدس يتسببون في القطيعة ويحفرون أخدودا عميقا بين إسرائيل وأبيهم الذي في السماء، مصداقا لما جاء في التوراة: "احذروا أن تنغوي قلوبكم، فتعبدوا من دونه آلهة أخرى ... فيستعير غضب الله

عليكم". وكل من خان هذا العهد المقدس هو قرين من يعبد إلاها غريبا".

وينتقل الزهّار من هذا المستوى الفكري إلى المستوى الاجتماعي ليهاجم الثراء وأهله من اليهود، ويُشِيد بالفقر الذي يُعتبر مدحا لطريق التصوف، فالفقراء إلى الله بهم تزكو الطائفة، وتملأهم حقيقة الألوهية، وهم أقرب للأنبياء، ومنهم يستمدون ما أُوحِي إليهم: "يقوم الناس وينظرون إلى جهة سودوم". وفي الزهّار يقول ربي ألِعَازار: "لقد تعلمنا أن الله إذا ما أحب أحدهم بعث له هدية فما هي هذه الهدية يا ترى؟ هي فقير به ينال مستحقه وإذا ما نيل المستحق فإن الله يسدل عليه قبَسا من عفوه (حسيد) عفوا وطيبوبة تفيض عن يمين العرش؛ فتنتشر على رأسه وتَسِمُه بعلامة ما، فإذا جاء يوم الدين فإن ملَك الموت يكون قد أخذ علْما، فعندما يرفع رأسه ويرى هذه العلامة يبتعد مخافة وبحذر شديد.

وقد كان للفقر، في التصوف اليهودي كما في التصوف الإسلامي، مكانة خاصة، وتُعتبر منطقة درعة، بعد الأندلس، أهم المناطق التي عرفت انتشار تصوف الفقر بشكل كبير، نظرا لتأصل اليهودية بها من جهة، ولطبيعتها الصحراوية التي تتسم بالندرة وما يمكن أن يصاحب الندرة من خوف على الأنفس من جهة أخرى. لذلك اعتُبرت درعة مشتلة متصوفي اليهودية المغربية، وهو ما عجز البعض عن إعطاء تفسير له، وإن كان من الواضح أن كتابات متوصّفة درعة لا تخرج في محتواها عن واقع الفترة التي أنتجت فيها.

وخلاصة القول إن التصوف في يهودية المغرب ظل محكوما بالأسس الفكرية، المكونة للديانة الموسوية، ومطبوعا بتطورات الثقافة المحلية، سواء في بلاد المغرب أم في بلاد الأندلس[1].

---

[1] محمد الغرايب ـ التصوف اليهودي بين العقيدة والتاريخ..

أورد صاحبا كتاب التصوف الإسلامي الميزة التي طبعت روحيا ترديد النّامْبُوتْسو (البوذية اليابانية) وهبوط المركابا والذكر والصلاة على المسيح وأضافا أيضا أن: "التأويلات اليهودية "لهبوط المركابا" التي ازدهرت بعد ذلك بكثير في القبّالة الكلاسيكية غدت بالضرورة في حاجة إلى مقارنة، يأتي هذا التأثير في إبانه ليعطي إطارا جذابا إلى كل ما نعتقد أنه أحد المضاعفات التقنية للذكر،وهي تقنية ترتبط بشكل وثيق بترديد اسم الله وتنظيم التنفس في شكل مصاحب لحركة الرأس."

وفي ملحق هذا الكتاب المذكور أعلاه ميز المؤلفان "تجربة موسى" بمكانة خاصة في التحليل، فرغم أن الله سبحانه توجه بالخطاب إلى أنبياء عديدين، إلا أنه جعل من موسى كليمه وخصه بهذا الفضل دون غيره، وقصة موسى كما هي واردة في "قصص الأنبياء" لابن كثير تبدو وكأنها "قصة نورانية" حقيقية حسب تعبير برنار سوهيلر في مقال له بمادة موسى بدائرة المعارف الإسلامية، وهكذا تم إبداع "نوع من القداسة" سيأمل موسى إلى تمثيله أكثر فأكثر في التقاليد الصوفية.

- التصوف المسيحي:

الرهبنة في اللغة:

وننتقل إلى معاجم اللغة لنرى ما فيها عن الرهبانية:

-الرهبانية في اللغة:

(رهب) رَهِبَ بالكسر يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً بالضم ورَهَباً بالتحريك أَي خاف ورَهِبَ الشيءَ رَهْباً ورَهَباً ورَهْبةً خافَه والاسم الرُّهْبُ والرُّهْبى والرَّهَبوتُ والرَّهَبُوتى ورَجلٌ رَهَبُوتٌ يقال رَهَبُوتٌ خَيرٌ مِنْ رَحَمُوتٍ أَي لأَن تُرْهَبَ خَيرٌ من أَنْ تُرْحَمَ وتَرَهَّبَ غيرَه إذا تَوَعَّدَه

رَهْباها الذي تَرْهَبُه كما يقال هالكٌ وهَلْكَى إذا تَرَهَّبا إذا تَوَعَّدا وقال الليث الرَّهْبُ جزم لغة في الرَّهَب قال والرَّهْباءُ اسم من الرَّهَبِ تقول الرَّهْباءُ من اللهِ والرَّغْباءُ إليه

وفي حديث الدُّعاءِ قال صلى الله عليه وسلم "|"رَغْبةً ورَهْبةً إليك

الرَّهْبةُ الخَوْفُ والفَزَعُ جمع بين الرَّغْبةِ

وأرْهَبَه ورَهَّبَه واستَرْهَبَه أَخافَه وفَزَّعه

واسْتَرْهَبَه اسْتَدْعَى رَهْبَتَه حتى رَهِبَه الناسُ وبذلك فسر قوله عز و جل {واسْتَرْهَبُوهُم وجاؤُوا بسحْرٍ عظيمٍ }أَي أَرْهَبُوهم

وفي حديث بَهْز بن حَكِيم إنِي لأَسمع الرَّاهِبةَ قال ابن الأَثير هي الحالة التي تُرْهِبُ أَي تُفْزِعُ وتُخَوِّفُ

وفي رواية أَسْمَعُك راهِباً أَي خائفاً
" وتَرَهَّب الرجل إِذا صار راهِباً يَخْشَى الله "
والرَّاهِبُ المُتَعَبِّدُ في الصَّوْمعةِ وأَحدُ رُهْبانِ النصارى
ومصدره الرَّهْبةُ والرَّهْبانِيّةُ والجمع الرُّهْبانُ والرَّهابِنَةُ خطأٌ وقد يكون الرُّهْبانُ واحداً وجمعاً فمن جعله واحداً جعله على بِناءِ فُعْلانٍ أَنشد ابن الأَعرابي
لو كَلَّمَتْ رُهْبانَ دَيْرٍ في القُلَلْ ... لانْحَدَرَ الرُّهْبانُ يَسْعَى فنَزَلْ
قال ووجهُ الكلام أَن يكون جمعاً بالنون قال وإِن جمعت الرُّهبانَ الواحد رَهابِينَ ورَهابِنةً جاز وإِن قلت رَهْبانِيُّون كان صواباً وقال جرير فيمن جعل رهبان جمعاً
رُهْبانُ مَدْيَنَ لو رَأَوْكَ تَنَزَّلُوا ... والعُصْمُ من شَعَفِ العقُولِ الفادِرُ
وَعِلٌ عاقِلٌ صَعِدَ الجبل
والفادِرُ المُسِنُّ من الوُعُول
والرَّهْبانيةُ مصدر الراهب والاسم الرَّهْبانِيَّةُ
وفي التنزيلِ العزيز {وجعَلْنا في قُلُوب الذين اتَّبَعُوه رَأْفةً ورَحْمةً ورَهْبانيَّةً ابْتَدَعوها ما كَتَبْناها عليهم إِلا ابتغاء رِضوانِ اللهِ }
قال الفارسي رَهْبانِيَّةً منصوب بفعل مضمر كأَنه قال وابْتَدَعُوا رَهْبانيَّةً ابْتَدَعوها ولا يكون عطفاً على ما قبله من المنصوب في الآية لأَن ما وُضِعَ في القلب لا يُبْتَدَعُ

وقد تَرَهَّبَ والتَّرَهُّبُ التَّعَبُّدُ وقيل التَّعَبُّدُ في صَوْمَعَتِه

قال وأَصلُ الرَّهْبانِيَّة من الرَّهْبةِ ثم صارت اسماً لِما فَضَل عنِ المقدارِ وأَفْرَطَ فيه ومعنى قوله تعالى {ورَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها }
قال أَبو إِسحق يَحتمل ضَرْبَيْن أَحدهما أَن يكون المعنى في قوله « ورَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها » وابتدعوا رهبانية ابتدعوها كما تقول رأَيتُ زيداً وعمراً أَكرمته قال ويكون « ما كتبناها عليهم » معناه لم تُكتب عليهم البَتَّةَ ويكون « إِلا ابتغاءَ رِضوان الله » بدلاً من الهاءِ والأَلف فيكون المعنى ما كَتَبْنا عليهم إِلا ابتغاءَ رِضوانِ اللهِ وابتغاءُ رِضوانِ الله اتِّباعُ ما أَمَرَ به فهذا والله أَعلم وجه وفيه وجه آخر ابتدعوها جاءَ في التفسير أَنهم كانوا يَرَوْن من ملوكهم ما لا يَصْبِرُون عليه فاتخذوا أَسراباً وصَوامِعَ وابتدعوا ذلك فلما أَلزموا أَنفسهم ذلك التَّطَوُّعَ ودَخَلُوا فيه لَزِمَهم تمامُه كما أَن الإِنسانَ إِذا جعل على نفسِه صَوْماً لم يُفْتَرَضْ عليه لزمه أَن يُتِمه

والرَّهْبَنَةُ فَعْلَنَةٌ منه أَو فَعْلَلَةٌ على تقديرِ أَصْلِيَّةِ النون وزيادتها قال ابن الأَثير والرَّهْبانِيَّةُ مَنْسوبة إِلى الرَّهْبَنةِ بزيادة الأَلف

وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم:"لا رَهْبانِيَّةَ في الإِسلام"

هي كالاخْتِصاءِ واعْتِناقِ السَّلاسِلِ وما أَشبه ذلك مما كانت الرَّهابِنَةُ تتَكَلَّفُه وقد وضعها الله عز و جل عن أُمة سيدنامحمد صلى الله عليه وسلم

قال ابن الأَثير هي من رَهْبَنةِ النصارى قال وأَصلها من الرَّهْبةِ الخَوْفِ كانوا يَتَرَهَّبُون بالتَّخَلي من أَشْغالِ الدنيا وتَرْكِ مَلاذِّها والزُّهْدِ فيها والعُزلةِ عن أَهلِها وتَعَهُّدِ مَشاقِّها حتى إِنَّ منهم مَن كان يَخْصِي نَفْسَه ويَضَعُ السِّلسلةَ في عُنقه وغير ذلك من أَنواع التعذيب فنفاها النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن الإِسلام ونهى المسلمين عنها وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم:"عليكم بالجهاد فإِنه رَهْبانِيَّة أُمتي "

يُريد صلى الله عليه وسلم أَنَّ الرُّهْبانَ وإِن تركوا الدنيا وزَهِدُوا فيها وتَخَلَّوْا عنها فلا تَرْكَ ولا زُهْدَ ولا تَخَلِّيَ أَكثرُ من بذل النفس في سبيل الله وكما أَنه ليس عند النصارى عَمَلٌ أَفضلُ من التَّرَهُّب ففي الإِسلام لا عَمَلَ أَفضلُ من الجهاد ولهذا قال صلى الله عليه وسلم:" ذِرْوة سَنامُ الإِسلامِ الجِهادُ في سبيل الله "

ورَهَّبَ الجَمَلُ ذَهَبَ يَنْهَضُ ثم بَرَكَ مِن ضَعْفٍ بصُلْبِه والرَّهْبَى الناقةُ المَهْزُولةُ جِدّاً قال :

ومِثْلِكِ رَهْبَى قَدْ تَرَكْتُ رَذِيَّةً ... تُقَلِّبُ عَيْنَيْها إِذا مَرَّ طائِرُ

وقيل رَهْبَى ههنا اسم ناقة وإِنما سماها بذلك والرَّهْبُ كالرَّهْبَى قال الشاعر

وأَلْواحُ رَهْبٍ كأَنَّ النُّسوعَ ... أَثْبَتْنَ في الدَّفِّ منها سِطارا

وقيل الرَّهْبُ الجمل الذي استُعْمِلَ في السَّفر وكَلَّ والأُنثى رَهْبةٌ

وأَرْهَبَ الرَّجُلُ إِذا رَكِبَ رَهْباً وهو الجَمَلُ العالي وأَما قول الشاعر

ولا بُـدَّ مِـن غَـزْوَةٍ بالمَصِـيفِ ... رَهْـبٍ تُكِـلُّ الوَقـاحَ الشَّكُورا
فـإِنَّ الرَّهْبَ مِـن نَعْت الغَزْوَةِ وهـي التـي كَـلَّ ظَهْرُهـا وهُزِلَ وحكي عن أَعرابي أَنه قال رَهِّبَتْ ناقةُ فلان فقَعَد عليها يُحابِيها أَي جَهَدَها السَّيرُ فَعَلَفَها وأَحْسَنَ إِليها حتى ثابَتْ إِليها نفْسُها وناقةٌ رَهْبٌ ضامِرٌ
وقولـه تعـالى :{واضْمُمْ إِليكَ جَناحَك من الرَّهَبِ }قال أَبو إِسحق من الرُّهْبِ والرَّهَبِ إِذا جزم الهاءَ ضمّ الراءَ وإِذا حرك الهاءَ فتح الراءَ ومعناهما واحد مثل الرُّشْدِ والرَّشَدِ قال ومعنى جَناحَك هنا يقال العَضُدُ ويقال اليدُ كلُّها جَناحٌ قال الأَزهري وقال مقاتل في قوله من الرَّهَبِ الرَّهَبُ كُمُّ مَدْرَعَتِه
والرُّهْبُ الكُمُّ .[1]

عن تاريخ الحياة الرهبانية من منظور مسيحي:
بداية ومبادئ الحياة الرهبانية:
منذ بداية المسيحية وُجدت نفوس واعية، جَهدت باستمرار للتقرّب إلى الله والاتحاد به بواسطة الاقتداء بفضائله, والتمثل بحياته, وبواسطة محبة وخدمة القريب على مثال المسيح.
لكن هذه الجهود المسيحية الأولى كانت جهوداً شخصية.وكانت هذه الجهود تُبذل ويُعمل بها وسط

[1] لسان العرب - ابن منظور - (1 / 436)

العالم،وفي عيشة مع سائر الناس.إنما،إلى جانب هؤلاء نجد أشخاصاً،رجالاً ونساءً حسبمَا تروي كتب حياة القديسين،عاشوا في الخلوة والبُعد عن الناس، ساعين وراء كمالٍ دقيق ومنتظم،في حياة فقر وعفّة كاملة،وحياة صلاة ومحبة لله لا هوادة فيها.هؤلاء هم النسّاك والمتوحّدون.وقد نسخ هؤلاء كلهم ما جاء في حياة المؤمنين الأولين:"
كان جميع المؤمنين معاً, وكان كل شيء مشتركاً بينهم. وكانوا يبيعون أملاكهم وأمتعتهم ويوزعونها على الجميع على حسب حاجة كل واحد, ويلازمون الهيكل كل يوم بنفس واحدة ويكسرون الخبز في البيوت ويتناولون الطعام بابتهاج ونقاوة قلب, مسبحين الله ونائلين حُظوة لدى جميع الشعب..."1
" فإنه لم يكن فيهم محتاج لأن كل الذين كانوا يملكون ضياعاً أو بيوتاً كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويلقونها عند أقدام الرسل, فيوزع لكل واحد على حسب احتياجه...وكان لجمهور المؤمنين قلب واحد ونفس واحدة, ولم يكن أحد يقول عن شيء يملكه أنه خاص به, بل كان لهم كل شيء مشتركاً"2
و نرى بعض ملامح الحياة الرهبانية في رسالة القديس بولس الأولى إلى الكورنثيين, عندما يُعلن

---

[1] أعمال الرسل2/ 44)

[2] أعمال الرسل 4\32)

أفضلية العفّة, وضرورة القناعة, وجمال التجرّد عن المال لأجل خدمة القريب.هكذا فهمت الكنيسة الأولى الحياة الرهبانية.

- بدء الحياة الرهبانية الجماعية.

في القرن الرابع فقط نجد بعض المؤمنين يجتمعون بطريقةٍ ثابتة ليعملوا معاً للبلوغ إلى الكمال الرهباني.فنرى من ذلك أن الحياة الرهبانية الجماعية تعقب حياة النسك والتوحّد.وكان أول من شجّع الحياة الرهبانية الجماعية القديس انطونيوس الكبير.
فالنساك المصريون الذين تمركزوا في البرية كانوا يعيشون حياة الوحدة. وقد كانوا يتنافسون في الممارسات النسكية. وان شهرة البعض منهم لم تلبث أن طرقت آذان مسيحيين آخرين متعطّشين للكمال الإنجيلي. وإذ رغب هؤلاء التشبّه بأولئك لحقوا بهم وتتلمذوا لهم.
أما انطونيوس فكان الأول في النساك الذين توغّلوا في البرية. فصار له تلاميذ. وطارت شهرته الواسعة في العالم الرهباني في مصر السفلى كما في جميع البلاد المسيحية. نذكّر أن شهرة أنطونيوس كانت مدينة لسيرة حياته التي نشرها القديس أثناسيوس.

- القديس باخوميوس مؤسس الحياة الرهبانية الجماعية في مصر

غير أن حياة النسك المنعزلة كانت تنطوي على بعض الاضطرابات وعلى كثير من الأخطار كما في الروحيات كذلك في الماديات. إن حياة العزلة التامة ليست عملياً خلاصية إلا لبعض النفوس المحفوظة الخارقة في التقوى. فالناسك في قلايته لم يكن له الفرصة ليمارس فضيلة الطاعة أو أن يتم فرض المحبة نحو القريب.
وهي فضيلة جوهرياً إنجيلية. روحٌ فرديّةٌ كانت تهيمن على تلك القلالي حيث كل واحد يدير نفسه كما يرتأي. وهكذا كان هناك متوحدون يمارسون تقشفات جسدية في إغراق غريبٍ فيتعرّضون للمجد الباطل إذ يعتبرون أنفسهم أكمل من غيرهم. فبهذه الخطة انحرفت الرهبنة عن خط الكمال الذي رسمه لها الرهبان الأولون.
إن تنظيم الحياة الرهبانية الجماعية المشتركة يعود إلى القديس باخوميوس فقد سنّ قوانين لتسعة أديرة للرهبان ولديرين للراهبات.وكانت كلها في صحراء طيبة في مصر.إنما هذه الحياة الرهبانية التي أسّسها القديس باخوميوس هي خالية من ابتداء, ومن نذور عمومية ومن ركائز الديمومة والثبات.لكن كان للرهبان زيّ خاص. وكانوا يعيشون في العفّة والفقر والطاعة, ويلتزمون بالعمل اليدوي في الصمت وبالصلاة المشتركة صباحاً ومساءً وفي الليل, ويأكلون وقعتين في النهار ويصومون يوماً واحداً في الأسبوع.وهكذا نرى أن رهبان القديس باخوميوس يؤلفون بيوتاً. ولكل بيت رئيس, وللأديرة المتجمعة رئيس عام. فقد كانوا يعيشون عيشة جماعية رهبانية,

تمتاز بالطاعة.ونجد أن قانون عقوبات كان ينظّم أيضاً حياة أولئك الرهبان.
جمع القديس باخوميوس تلاميذه في دير كبير شيّده في (Tabennesi) تبنّذي ورسم له قوانين مستوحاة من الكتاب المقدس ومن أنظمة ليّنة نسبياً وطافحة بالتسامح. وهكذا بانضمامهم في نفس الجمعية الواحدة التزم جميع الأعضاء في هذه المؤسسة الجديدة أن يعتنقوا القوانين الجديدة ويمارسوا المساواة المطلقة في اللباس والغذاء والنوم.
بالإضافة إلى الحياة في جماعة والمساواة في السلوك أرسى باخوميوس أساساً لكل نسكٍ رهباني الطاعة لمقرراته وللأب الأباتي. كانت سلطته هي الأقوى وما من أمر يتم في الدير بدون إذنه.وهكذا مع باخوميوس وُلدت الحياة النسكية في جماعة وجُهِّزت بسرعة موسّعه بما فيه الكفاية. وكان المؤسس يعتبرها أسمى من حياة العزلة التي كان يشير بها على الرهبان الخطأة كحياة توبة. غير أن الجميع لم يشاطروا باخوميوس في الرأي. وبالرغم من النجاح اللامع لمثاله الأعلى الذي سيتفوّق في المستقبل، فحياة الاستحباس لم تتوقّف عن النمو في جانب الحياة النسكية الجماعية في مصر السفلى كما في مصر العليا.ثم أتى الانبأ (Bgoul) يؤسس أولى جمعياته النسكية في ضواحي (Akhmin). وقد جهّز تلاميذه بقوانين القديس باخوميوس. إنما أقل تسامحاً, إذ انه اعتبر حياة الراهب الباخومياني أكثر رخاوة: لذا فرض على خاصته قساوة أبرز في ممارسات التقشّف.إنّ هذا الإصلاح الذي نشده لم يتحقق فعلياً إلاّ بهمّة ابن أخيه

شـــــــــــــــــنودا (Shenouda)

ذكــرت بعــض المصـــادر أن المــلاك ســلّم القــديس باخوميوس هذه القوانين:

تسامح كل واحد ليأكل ويشرب حسب قوته. وعلى قدر قوة هؤلاء مما يأكلون توضع في يدهم أعمال متناسبة. وتوضع في يد هؤلاء ممن يأكلون ما صعب وثقل من الأعمال. أما الضعيف والناسك فيُعطى ما سهل من العمل.

ابنِ قلاّية في دائرة الدير, ويسكن كل ثلاثة في قلاّية. ومن جهة الطعام فعلى الجميع أن يذهبوا إلى مكان واحد لطلبها.

وليكن في نومهم غير مستلقين على ظهرهم. بل ليكن لهم كراسي, مائلة إلى الوراء, ثم يضعوا على أجسامهم غطاءً ويناموا جالسين.

يكون لباسهم في الليل من ثياب وأوساطهم مشدودة؛ وفي النهار فليتّشح كل واحد منهم بوشاح من سلوخ الغنم والمعزى مدبوغة، ويأكلون وهم لابسون هذه الثياب. وفي الليل تكون غطاؤهم.

وإذا أرادوا أخذ البشائر المقدّسة(المناولة) في يوم السبت ويوم الأحد, فيجب أن يحلّوا رباطات القفوليون التي عليهم, ويخلعوها ويضعوا على رؤوسهم القفولويون.

ورتّب جماعتهم أربعة وعشرين رتبة, وسِمِ كل رتبة منهم باسم حرف من الحروف الموضوعة لكتابة اليونانية التي أولها الألفا وغمّا. والرئيس يسأل عن كل رتبة باسم الحرف.

ولا تقبل في ديرك أخاً من دير غيرك, لاسيما إذا كان

له غير رسمك (قانونك) واقبل المسافر كضيفٍ.
أدخل الطالب إلى الدير بعد ثلاث سنوات اختبار واجعله في خدمة الدير.
أما الأكل, فليأكل الإخوة وهم لابسون القفوليون.
كل أخٍ يصلي 12 ساعة: ثلاث ساعات صباحاً , وعند النوم ست , وبعد الأكل ثلاث.
وصف بلاديوس ديراً للقديس باخوميوس فقال "انه بالحقيقة مستعمرة زراعية وصناعية نشيطة، منظمة جداً وكتيبة بذاتها. وفيها تتمازج وتتناوب التمارين الروحية مع العمل والشغل, إذ أن الشغل هو عامل مهم وأساس في هذه الحياة ".

- القديس باسيليوس مصلح الحياة الرهبانية:

من شواطئ النيل انتقلت الحياة الرهبانية المصرية إلى الشرق كله , بالرغم من أن كثيراً من النفوس المأخوذة بالكمال المسيحي, كانت منذ المبادىء الأولى المسيحية تحيا حياة الزهد والعزلة. غير أنه منذ النصف الأول من القرن الرابع ابتدأت تلك النفوس تعيش حياة الرهبنة الحقّة.
رجلان, في تلك الحقبة ساعدا على نقل غرسة الرهبنة:
1- القديس خاريطون وليد إيقونيوم, نظم حياة الرهبنة في ضواحي أورشليم .
2- و القديس ايلاريون تلميذ انطونيوس في ضواحي غزة. و في فلسطين كانت الحياة النسكية الجماعية معتبرة كنقطة انطلاق و استعداد إلى حياة في العزلة

أفضل. و بالواقع لم يكن يقبل في الصوامع إلاّ الرهبان الذين قضوا سنين عديدة في الدير.
ونقرأ في حياة القديسين العظام أن الحياة الرهبانية ازدهرت جدا في صحارى فلسطين و جبال سوريا وسهولها, وعلى شواطئ دجلة والفرات في العراق وخصوصا في ضواحي الرها, و في ضواحي أنطاكية وفي إقليم البنطس وكبادوكية.
وكانت الأديرة في فلسطين خصوصا تتبع النظام الاتحادي حيث الأديرة والصوامع تخضع لإدارة مركزية.
وقد حفلت بالعظيم والجليل من الأعمال, إذ أصبحت القفار جناتٍ يسكنها رهبان هدفوا فقط إلى تسبيح الله وعبادته و العيشة في حياة تشبه حياة الملائكة.وكانت بعض الأديرة في فلسطين تعج بالمئات من الرهبان, الذين فُصِلوا حسب أجناسهم و بلدانهم,وفي البعض الآخر قُسَّم الرهبان حسب عملهم. نقرأ أن الصلاة كانت تقام في بعض الأديرة دون انقطاع, ولذلك سميت بأديرة الرهبان الذين لا ينامون.ومن أئمّة الحياة الرهبانية في الشرق الآباء العِظام سابا المتقدّس, وأفتيموس و أفرام السرياني. ولايمكننا ذكر كل أولئك النساك و المتوحدين الذين امتازوا بحياة النسك و الكفر بالنفس ومحبة الله. هؤلاء كلهم أسسوا الحياة الرهبانية الجماعية في فلسطين وسوريا.
واستمرت الحياة الرهبانية في هذا النهج حتى قام عظيم من الشرق هو القديس باسيليوس فنظّم من جديد الحياة الرهبانية وأصلحها ووضع لذلك القوانين المطوّلة والمختصرة. و قد تأثر كثيرا بأوسابيوس

السيبستاني (Sebaste). قبل القديس باسيليوس ظهرت الرهبنة في آسيا الصغرى. وإنما في القرن الرابع فقط ومع ايستاش قد تمت هذه الحركة و انتشرت في هذا الجزء من الشرق. وأما تأثير تلك الشخصية النسكية بباسيليوس فلا يمكن أن يرقى إليها ريب.

الراهب في نظر باسيليوس,هو قبل أي شيء هو مسيحي حقيقي,انه يبحث عن ممارسة شريعة المحبة المسيحية في مظهريها حب الله و حب القريب, وأن يحيا حياة الإنجيل قانونه الوحيد الأوحد, بالطريقة الأكمل. توصلاً للهدف يشير باسيليوس إلى نظام النسك الجماعي, كصورة وصيغة مثلى لحياة الرهبنة. قال: ألاحظ أن الحياة وسط جماعة عديدة هي مع كثير من الاحترام أفضل من حياة العزلة.إن الحياة بين الجماعة هي أفضل واسطة لممارسة الإنجيل على الوجه الأكمل. و يُعتبر القديس باسيليوس مؤسس الحياة الرهبانية في الشرق و الغرب أيضا. ففي سنة 360 أسس ديراً في قيصرية الجديدة في مقاطعة البنطس. و سنّ قوانين تختلف عن قوانين القديس باخوميوس, فقد رتّب جيداً معالم الحياة المشتركة والحياة النسكية. و هو ينادي بأفضلية الحياة المشتركة على الحياة النسكية و المتوحدة, وهو لا يحبّذ النسك الزائد فالشغل في نظره هو أهم الإماتات, ولذلك حسب قانونه لا يجب الصوم إذا تعارض مع العمل. وقد أمر في قوانينه أيضا بخدمة الآخرين, ولذلك ضمّ إلى أديرةه مستشفيات و مستوصفات و مياتم وبيوتاً للضيافة وجعلها تحت إدارة الرهبان

أنفسهم, كما أنه أوصى بأن يقبل شبان ليس فقط ليصيروا رهباناً بل ليتربّوا تربية مسيحية صالحة."إن القديس باسيليوس في تخطيطه للحياة الرهبانية أراد بعث روح جديدة فيها, ودفق الإصلاح الضروري في بعض أنظمتها. ولذلك اتّبع نهجاً فلسفياً, متدرجاً استوحاه من تفهّمه لحالة الإنسان ومن معرفته لطرق الحياة الرهبانية المختلفة ومن تعمّقه في درس أساليب الفلسفة اليونانية ليضع خطّة عريضة متكاملة للحياة الرهبانية التي هي أيضاً في نظره تتويج لحياة مسيحية و لرغبة ملحّة عند الإنسان للاتحاد بالله عز و جل. فليست هي طفرة عابرة, وليست هي نداءً عارضاً, بل هي اختيار منطقي،توصل إليها الإنسان بعد أن تفهم حسناً جمال الحياة الرهبانية وعرف ميزاتها الأساسية ورأى سمّوها على حياة الكمال الاعتيادية. إن الراغب في الحياة الرهبانية حسب القديس باسيليوس إنما هو فيلسوف باحث, ومكتشف أصيل لنداء الرب, وليس هو إنسان تعرّض لحماس أو خضع لتأثير حادث أو عامل خارجي."

- الحياة الرهبانية في الغرب:

نقل الحياة الرهبانية إلى الغرب القديس كاسيانوس. فقد كتب: "رسوم و محاضرات " وهو يحوي أصول الحياة الرهبانية مع الإلحاح على ضرورة التبحّر والدرس في العلوم اللاهوتية قصد التبشير والجدال والتعليم.والقديس كاسيانوس استقى كثيرا من القديس باسيليوس الكبير. و قد ترجم قوانينه المطوّلة

والمختصرة إلى اللغة اللاتينية. وهذه الترجمة هي التي عرفها القديس بنادكتوس.وفي الغرب بدأت الحياة الرهبانية كما في الشرق حياةً توحدية ونسكية أولا ثم حياة رهبانية حقّة في مجموعات صغيرة نسكية.عندما جاء القديس أثناسيوس الكبير إلى روما سنة 339 منفياً ومعه راهبان, عرّف الغرب على حياة القديس انطونيوس التي كتبها هو نفسه والتي نشرت سنة 380 وعلى قوانين القديس باخوميوس, فأخذت تزدهر الحياة الرهبانية الجماعية منذ ذلك الوقت. وتروي حياة القديس أثناسيوس أن الراهبين اللذين اصطحبهما القديس معه, كان لهما تأثير كبير على أشراف ومؤمني روما, فكثيرون بينهم, أرادوا أن يقتدوا بهما في حياة الرهبنة.بعد ذلك نرى بعض الأديرة في روما سنة 382 بإدارة القديس إيرنيموس؛ ثم في أنحاء أخرى من ايطاليا ما بين سنة 384-461 وكانت للجنسين معا. وكل هذه الأديرة كانت تتبع قوانين القديس باخوميوس مع التعديلات التي أدخلها القديس كاسيانوس تحت تأثير قوانين القديس باسيليوس.ومن ايطاليا انتقلت الحياة الرهبانية إلى بلاد غاليا (Gaule). ويخبر التاريخ أن أول دير ظهر في بلاد غاليا هو دير (Lijuge) الذي أسسه القديس مرتينوس حوالي 360. إنما بعد انتشار كتب القديس كاسيانوس تقرّرت الحياة الرهبانية في دير أسسه هو نفسه. في مرسيليا, ومنه خرج رؤوساء أديرة كثيرون عملوا على تثبيت دعائم الحياة الرهبانية و توضيح نظامها الأصيل. ثم أسس القديس مرتينوس نفسه ديراً في نواحي (Marmautier).

وتبعه القديس إيلاريون أسقف مدينة تور (Tours) الذي أسس ديراً سنة 360. ثم إن مجمع مدينة أجد (Agde) سنة 506 يطلب لتأسيس الأديرة موافقة الأسقف ومجمع مدينة أرل (Arles) سنة 554 يقرّر بأن كل أسقفٍ في أبرشيته له الحق أن يلزم الأديرة بقانون معيّن.ومن أوروبا عبر اسبانيا انتقلت الحياة الرهبانية وانتشرت في إفريقيا مع القديس أغوسطينوس.

- القديس بنادكتوس مؤسس الحياة الرهبانية في الغرب

أما منظّم الحياة الرهبانية في الغرب, فهو دون منازع القديس بنادكتوس الذي عاش من 480 الى 567. ففي سنة 545 سنَّ قانوناً أخضع له دير كاسّينو (Mont Cassin) و دير سوبياكو (Subiaco) اللذين أسسهما, الأول للرجال والثاني للنساء. ثم شاعت قوانين القديس بنادكتوس بسبب الحماس الديني في انكلترا و فرنسا وغيرها من البلدان. و نراها في عهد القديس البابا غريغوريوس الكبير (590 – 604) إلى عهد شارلمان (608 – 811) تعمّ كل الغرب و تطغى على كل قانون.نلخّص مبادئ الحياة الرهبانية حسب القديس بنادكتوس بما يلي:
الحياة الرهبانية هي مدرسة خدمة الله. وهو لا يريد أن يكون فيها شيء صعب و شاق. و فعلاً هكذا ظهرت الحياة البندكتية بالنسبة إلى الحياة الرهبانية الشرقية.

كان يُهمّ القديس بنادكتوس الارتداد (Conversion) ثم العمل اليدوي و القراءة الروحية (Lectio Divina) ثم الصلاة المشتركة في الخورص (Office) و هي ما يدعوها (Opus Dei).
ثم حتّم استقلال كل ديرٍ برئاسة رئيس دعاة الأباتي (Abbe) ويجب أن يكون في كل دير كاهن أو كاهنان بالأكثر لخدمة الأسرار.
أهم إصلاح في الأديرة البندكتية هو إدخال الحياة الاكليريكية اليها.
ثم كانت أديرة القديس بنادكتوس النسائية خاضعة لأخته القديسة سكولستيكا ومستقلة استقلالا تاماً عن أديرة الرهبان .
نلخص أفكار القديس بنادكتوس عن الحياة الرهبانية بما يلي: "انه يريد جماعة رهبان يعيشون عيشة مشتركة حتى الممات، في ديرٍ،تابعين لقانون، مبتغين بذلك ارتداداً في الأخلاق، والثبات والطاعة. وبهذا يؤلفون عائلة بقيادة رئيس وأب". صرّح أحد الكتبة في قاموس العمارة المسيحية[1] " بأنّ قانون القديس بنادكتوس هو أعظم إنجازٍ تاريخي في القرون الوسطى".

[1] قاموس العمارة المسيحية (صفحة 242)

- الاشتياقات الأولى للرهبنة.

"العشـرة(الحياة) مـع ربنـا" أو بتعبيـر لاهـوتي "الشركة مع اللَّه".

طريق الراهب والراهبة للرهبنة هو الطريق الذي يؤكد بـداخلهما الثقـة إنهمـا يسـيران فـي طريـق ملكـوت السموات. وهو الوسيلة التـي بهـا ينفذان وصـايا ربنـا أكمل تنفيذ للوصية.

ويقول لـه: يا رب "وَصاياكَ هي دَرسي، ناموسك هوَ درسي، مصباحٌ لرجلـيَّ كلامكَ ونـورٌ لسَبيلي، أخفيت أقوالك في قَلبي لكي لا أَخْطئُ إليكَ"[1].

يشعر أن العالم أحيانًا يجعل قدرته علـى سماع صوت اللَّه ضعيفةً، وأحيانًا يضغط العالم على الإنسـان ويُعطل انطلاقه في طريق تنفيذ الوصية.

تنفيذ الوصايا:

وصايا ربنا بالنسبة إليه هي شهوة قلبه، وهي مصدر حياتـه. وهـي علامـة محبتـه؛ لأن السيد المسيح قـال:

---

[1] (مز 119 (118) : 11، 77، 99، 105

"الـذي عِنْـدَهُ وَصَـايَايَ وَيَحْفَظُهَـا فَهُـوَ الـذِي يُحِبُّنِـي والذي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَـهُ ذَاتِـي"[1]. ولا يطيق إطلاقًا أن يوضع في وضع يكسر فيـه وصية ربنا.

الراهب \ الرهبة تركا العالم لكي يزدادا كمالًا في تنفيذ الوصية. لم يتركا العالم لأنهما يريدا أن يصيرا راهبا \راهبة، ولا لكي يتزيَّا بزى الرهبنـة، أو لأنـهم يريدان أن ينضما إلـى مجمع الرهبـان، ولكنهما تركا العـالم؛ لكي يجدا الله في الدير ولكي يجدا وصية المسيح نافذة في حياتهما.

يقـول سيدنا داوود: "انْتَهَـرْتَ الْمُتَكَبِّـرِينَ الْمَلاَعِـينَ الذين حادوا عَنْ وَصَايَاكَ" [2]

"طُوبَـاهم الـذين بـلا عيـبٍ فـي الطَّرِيـق السَّـالِكِينَ فـي ناموس الـرَّبّ"[3] أنـا أريـد أن أسلك بـلا عيب، "بِمَـاذا يُقَوِّمِ الشَّابُّ طَرِيقَهُ؟ بِحِفْظِهِ أقوالكَ" [4] كيف أسلك بـلا عيب إلا إذا حافظت على حقوقك وناموسك ووصاياك.

"الـذي عِنْـدَهُ وَصَـايَايَ وَيَحْفَظُهَـا فَهُـوَ الـذِي يُحِبُّنِـي والذي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَـهُ ذَاتِـي" [5] وهنا تبدأ العشرة مع ربنا.

النسـك ا لا يمكـن أن يكـون وسـيلةً تـؤدي إلـى رؤية السيد المسيح إذا كان يُمارَّس بطريقة فيها كسر للوصية.

---

[1] **يو14: 21**

[2] **(مز119 (118) : 21).**

[3] **مز 119 (118) :1).**

[4] **(مز 119 (118): 9).**

[5] **(يو14: 21).**

كثيــر مــن النـــاس اعتقــدوا أن النســك يمكــن أن يوصلهم للسيد المسيح، لكنهم تعبوا وذهب كل تعبهم سُدى، مثل شعب بني إسرائيل ظنوا أن الناموس الحرفي سوف يوصلهم. ومعلمنا بولس الرسول قال: "أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطَلْبَتِي إِلَى اللهِ لأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هي لِلْخَلاَصِ. لأني أَشْهَدُ لَهُمْ أَنَّ لَهُمْ غَيْرَةً لِلَّهِ وَلَكِنْ لَيْسَ حَسَبَ الْمَعْرِفَةِ. لأَنَّهُمْ إِذْ كَانُوا يَجْهَلُونَ بِرَّ اللهِ وَيَطْلُبُونَ أَنْ يُثْبِتُوا بِرَّ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يُخْضَعُوا لِبِرِّ اللهِ. لأَنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ هي: الْمَسِيحُ لِلْبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ" [1]

فالإنسان في الطريق الروحي لابد أن يعرف إنه لكي يرى السيد المسيح يجب أن ينفذ وصاياه.

وصية المحبة:

من ضمن وصايا ربنا المحبة "وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ" [2]. المحبة التي"تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ وَتُصَدِّقُ كُلَّ شيء وَتَرْجُو كُلَّ شيء وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شيء"[3] . فمطلوب من الإنسان الذي ترك حياة العالم وجاء ليحيا في الدير أن يسلك في طريق المحبة ويُنفذ وصايا ربنا، المحبة التي تبحث عن خلاص الآخرين، المحبة التي "لاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا" [4]. بل تطلب ما هو للآخرين أيضًا،

---

[1] (رو10:1-4

[2] (يو13: 34)

[3] (1كو13: 7)

[4] (1كو13: 5)

المحبـة التـي "تَتَـأَنَّى وَتَرْفُـقُ" [1]. ويقـول: "الْمَحَبَّـةَ تَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا" [2]

لـذلك الإنسـان الـذي يعيش فـي الـدير لكـي يسـير فـي طريق ربنا لابد أن يَستُر على خطايا الآخرين، لا بُد أن يطيل أناته عليهم، ويحتمل ضعفاتهم، ولا بُد أن يلوم نفسه قبل أن يلوم غيره لأنه [لا يوجد شيء أفضل من أن أرجع بالملامة على نفسـي في كل أمر]__(2)__. ينظر للآخرين بعين الرجاء، المحبة التي ترجو كل شيء.

الراهب الـذي يريـد أن يحيـا فـي عشـرة مـع ربنـا يبـدأ بتنفيذ الوصايا، وبعدما يعيش فـي حيـاة تنفيذ الوصية يبتدئ السيد المسيح أن يظهر في حياته، ثم يكون هـو نفسـه صـورة مشـرقة للسـيد المسـيح. إذا جلـس فـي القلاية يمتلئ من فرح الروح؛ لأن "ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّـةٌ فَـرَحٌ سَـلاَمٌ" [3]، فـإذا سـلك فـي وصـية المحبـة يمتلئ من الفرح ويغمر سلام الله قلبه "سَلاَمُ اللهِ الـذي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ" [4]

- شفتاكِ يا عروس:

فـي أثنـاء جلـوس الراهب فـي القلايـة يشـعر بـأفراح السـمائيين ويصـير صـديقًا للملائكـة، وتسـابيحه تفـرح بهـا الملائكـة وأحشـاء القديسـين. كمـا يقـول: "لأَنَّ

---

[1] (1كو13: 4)
[2] (1بط4: 8).
[3] (غل 5: 22)
[4] (في4: 7)

أَحْشَاءَ الْقِدِّيسِينَ قَدِ اسْتَرَاحَتْ بِكَ أَيُّهَا الأَخُ" [1]اللسان الذي يملأه اللَّه تسابيح هو اللسان أيضًا الذي يقدم كلمات الحب واللطف والوداعة، كما يقول في سفر نشيد الأنشاد: "شَفَتَاكِ يَا عَرُوسُ تَقْطُرَانِ شَهْدًا" [2]. لسانٌ يقول كلام مثل الشهد يُفرِّح قلب ربنا ويُفرِّح قلوب القديسين ويستفيد وينتفع الناس من كلماته ومن أسلوبه ومن معاملته، هذه الشخصية يحب الله أن يسمع صوتها وعندما يقف ليصلي، ربنا يقول لهذه النفس: "أَسْمِعِينِي صَوْتَكِ لأَنَّ صَوْتَكِ لَطِيفٌ" [3]ويحب أن يراها "أَرِينِي وَجْهَك"[4] وبعد أن يشعر الراهب بحضور ربنا في القلاية يقول اللَّه له: "وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي" [5]. ويقول أيضًا: "وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا" [6]، "أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي" [7]. ما هو هذا العشاء الذي مع السيد المسيح؟ وما هو شكله؟ الذي يدعوه السيد المسيح على العشاء، تُرى ماذا يُعِد له على المائدة؟ طبعًا من المعروف أن من الدرجة الأولى شركة الإفخارستيا وعشاء الرب -جسده ودمه- هذا هو قمة الاتحاد بالسيد المسيح بلا شك.

- عشاء العريس وشركة الإفخارستيا

---

[1] (فل1: 7)
[2] (نش4: 11)
[3] (نش2: 14)
[4] (نش2: 14)
[5] (يو14: 21)
[6] (يو14: 23)
[7] (رؤ3: 20)

الذي يعيش حياة تنفيذ الوصية عندما يتناول من جسد الرب ودمه يعرف أن هذا هو عشاء العريس الذي قُدِّم للعروس، هذا هو الخبز الحي النازل من السماء، لكن أيضًا إلى جوار هذا (الذي يعتبر قمة العشاء)، في القلاية يمكن أيضًا أن يكون للسيد المسيح حضور دائم ويقدم العشاء الذي له ويُشبع النفس من خيراته الروحية، يشبعها من المعرفة، ليست المعرفة العقلية التي تثير الغرور والكبرياء في النفس ولكن كما نقول في القداس الإلهي (أعطيتني علم معرفتك ، أظهرت لي شجرة الحياة) شجرة الحياة التي لا يموت آكلوها.

يُفهمه مقاصده وتدابيره وأسراره الإلهية، وأيضًا العطايا الإلهية "كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هي مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ" (يع1: 17).

وعندما يقول: "أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي" (رؤ3: 20)، مثلما يجهز الإنسان مائدة ملآنة أصنافًا شهية يقول له مثلًا: ماذا تشتهي أنت اليوم؟ أتريد أن تتعزى وتتذوق حلاوة التسبيح بالمزامير؟... أعطيك. أتريد أن تفرح بالتسبحة؟... أفرحك. أتريد أن تشعر بقوة كلمات الكتاب المقدس وترى إله العهد القديم والعهد الجديد وتسمع صوته وهو يتمشَّى في الفردوس مثلما كان أبونا آدم يسمعه قديمًا؟ وترى ربنا وهو يمشي ما بين العهدين ويُعلن مقاصده للإنسان كما يقول: "ظَهَرَ إِلَهُ الْمَجْدِ لأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ... وَقَالَ لَهُ: أَنَا اللَّهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلًا" [1]

[1] (أع7: 2)، (تك17: 1).

- بابٌ مفتوحٌ في السماء:

معاملات ربنا مع الإنسان من البداية للنهاية يعيشها الإنسان وكأنه هو هو إبراهيم وإسحق ويعقوب، هو أخنوخ وايليا وهو يعقوب ويوحنا وبطرس هو كل هذه الشخصيات من خلال ربنا الذي كان يتعامل مع الإنسان، عِشرة عميقة ومفاهيم تتبلور وتنمو وتزداد عمقًا وقوةً مدى الأيام.

عندما قال القديس يوحنا في سفر الرؤيا: "كُنْتُ فِي الرُّوحِ فِي يَوْمِ الرَّبِّ"[1] ، يقف الإنسان أمام هذه العبارةَ ويقول: القديس يوحنا عندما كان في الروح؛ رأى كل ما رآه، لقد تعشى ورأى مائدة الرب فذهب ليعاين أسرار الحياة الآتية، وأيضا يقول: "بَعْدَ هَذَا نَظَرْتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ، وَالصَّوْتُ الأَوَّلُ الذي سَمِعْتُهُ كَبُوقٍ يَتَكَلَّمُ مَعِي قَائِلًا: «اصْعَدْ إِلَى هُنَا فَأُرِيَكَ مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَصِيرَ بَعْدَ هَذَا». وَلِلْوَقْتِ صِرْتُ فِي الرُّوحِ، وَإِذَا عَرْشٌ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَعَلَى الْعَرْشِ جَالِسٌ"[2]

بابٌ مفتوحٌ في السماء، من القلاية إلى باب السماء .

الذي يريد أن يحيا في عشرة مع ربنا سوف يجد أمامه أبوابًا كثيرةً مفتوحةً ليس ضروريًا أن تكون بالرؤى مثل الناس التي تحب المناظر، لكن القلب

---

[1] **(رؤ1: 10)**

[2] **(رؤ4: 1، 2).**

نفسه يتطلع نحو الأبدية وتنسكب فيه أنوار سماوية وربنا يُعزيه "كَإِنْسَانٍ تُعَزِّيهِ أُمُّهُ"[1] إحساسه بحضور ربنا معه يجعله لا يقلق على أي شيء ولا يخاف من أي شيء، حياته كلها في يدي ربنا مثلما قال السيد المسيح: "وَلاَ يَضُرُّكُمْ شيء" [2].

حياة العشرة مع ربنا لا تأتي بحربٍ ومعاركٍ ولا بغضبٍ ولا تأتي بِشَّدٍ ولا بصراعاتٍ، ولكن تأتي من يدي ربنا كعطية يأخذها الإنسان ويقول: "يُعْطِيكَ الرب حَسَبَ قَلْبِكَ وَيُتَمِّمْ كُلَّ مَشورَتكَ" [3] .

طالما أن الإنسان مشتاق إلى اللّه يقول له: أنا يا رب حياتي بين يديك، أنت الذي تدبّرها فيأخذ هذه الأمور من يدي ربنا لكن المهم أن يكون هو أمينًا، لأن: "اَلأَمِينُ فِي الْقَلِيلِ أَمِينٌ أَيْضًا فِي الْكَثِيرِ" [4]. فحياة العشرة مع الله تأتي كعطيةٍ صالحةٍ نازلةٍ من فوق يأخذها الإنسان من يديه.

- السيدة العذراء مثال للعشرة مع ربنا:

-السيدة العذراء كانت جالسة في غرفتها في سلام اللّه وفي عشرة معه "فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: سَلاَمٌ لَكِ

[1] إش 66 : 13
[2] (لو10: 19)
[3] (مز20: 4)
[4] (لو16: 10)

أَيَّتُهَا الْمُمتلئة نعمة اَلرَّبُّ مَعَكِ" [1]. وابتدأ يكلِّمها عن العطية الفائقة التي من الله إليها، "فَقَالَتْ مَرْيَمُ: هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لي كَقَوْلِكَ. فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلاَكُ" [2]

وعاشت حياتها كلها يقودها صوت الرب، يقودها روح الرب، يقودها ملاك الرب حتى إلى الجلجثة.

وأيضًا هناك مع أفراح القيامة ومع ألسنة النار وشركة الروح القدس، هكذا يُصعدنا الروح إلى الجبال؛ لكي تنسكب فينا نعمة اللَّه بغزارة ولكن يشترط أن نُسلِّم حياتنا بين يدي القدير.

عندما نتأمل في سيرة السيدة العذراء نرى كيف بدأت وإلى أين انتهت ، سِجل حافل طويل، به الكثير من المتغيرات، ما بين الناصرة وبيت لحم وجبل صهيون، والنزول إلى مصر والعودة إلى الجلجثة وعند جبل الصعود. محطات عجيبة جدًا، صاعد ونازل، منير ومظلم. من يستطيع أن يُخرج من كل هذه المتغيرات هذه السيمفونية الرائعة في النهاية إلا ربنا نفسه!

أنتم (كرهبان) أكثر الناس قدرةً على أن تعيشوا هذه الأمور وهذه المعاني وأن تتمتعوا بحياة العشرة مع ربنا، فهل انتفعتم من وجودكم في الدير؟ وهل انتفعتم من خروجكم إلى البراري؟ هذا هو السؤال. أرجو أن تتذكروا هذا الطريق وتتذكروا سبب خروجكم من العالم، لكي تنالوا هذه المواعيد الثمينة وهذه العطايا الفائقة... فليكن لضعفي ذكرًا في صلواتكم.

ولربنا المجد دائمًا أبديًا. آمين3.

---

[1] **(لو1: 28)**

[2] **(لو1: 38)**

[3] **بستان الرهبان، مطرانية بني سويف، الطبعة الثانية، ص321.**

-أهم وأشهر المصطلحات الرهبانية:

أولاً: وظائف الآباء

1- رئيس الدير:

وهو الأب الروحي للدير ومدبر الدير، ويتم اختياره بالتزكية من الآباء الرهبان، وكان قديماً لا تتعدى رتبته درجة (القمص)، ولكن الآن كل دير له رئيس برتبة (أسقف).

2-الأب الربيته (أمين الدير):

كلمة (ربيته) تتكون من مقطعين (رب – بيت) وهذه الكلمة هى مصطلح رهبانى، وقد اعتادت المجتمعات الرهبانية إطلاقه على الأب المسئول عن تدبير أمور الدير، مثلما يدبر رب الأسرة بيته .

3-الأب الكنائسى:

وهـو الأب المسـئول عـن قيـادة خـورس الألحـان فـى الدير، وهو الذى يقوم بتسليم الألحان والتسبحة للآباء والإخوة، كما أنه مسئول عن دق الأجراس فى مواعيد الصلوات المختلفة، ويقوم بقيـادة تسبحة نصف الليـل يومياً.

4-الأب القندلفت:

وهـو الأب المسـئول عـن تعمبـر القناديـل، ومـن هنـا تكونت كلمة (قندلفت)، وهو الذى يهتم بالمحافظة على نظافـة الكنـائس، ويقـوم بإعـداد الكنـائس والمـذابح للصلوات والقداسات.

5-الأخ تحت الاختبار :

حينما يقبل رئيس الدير شخصاً مقبلاً للرهبنة، فإنه يتم إلباسـه الملابـس الزرقـاء إلـى فتـرة، ثـم يـتم إلباسـه الملابس البيضاء قبل رهبنته بفترة قصيرة، وكل هذه الفترة تسمى فترة الاختبار، وهذا الشخص يُسمى (أخاً تحـت الاختبـار)، إذ يختبـره الـدير مـن جهـة صـلاحيته للرهبنـة، وهـو يختبـر الـدير هل سيسـتطيع أن يقضـى باقى حياته فى الدير أم لا، وبعد ذلك إذا تم التوافق تتم رهبنته.

6-راهب المجمع:

بعد تزكية الأخ تحت الاختبار تتم رهبنتـه كمـا أوضـحنا سابقاً، ويبدأ حياته الرهبانيـة فـى مجمـع الـدير، ويقـوم بالأعمـال التـى يكلفـه بهـا الـدير، وهـو يسـمى (راهـب مجمع) .

7-الراهب المتوحد:

يعيش الراهب أولاً حياة مشتركة داخل الدير ،وبعد ذلك إذا كمُل فى العبادة يخرج إلى الوحدة الكاملة منفرداً فى مكان منعزل عن الجميع، ساكناً فى مغارة بالجبل، ولا يذهب إلى الدير إلا للتناول من الأسرار المقدسة على فترات متباعدة أو يذهب للدير لأجل سبب ضرورى، ويسمى فى هذه الحالة (راهب متوحد).

8-راهب حبيس:

هو الراهب الذى يمكث داخل قلايته، ويبدأ أولاً فى حبس الأيام ثم حبس الأسابيع أى لا يخرج من قلايته إلا فى نهاية الأسبوع إلى أن يصل إلى الحبس الكامل داخل قلايته.

9-الراهب الإسكيمى:

حينما ينمو الراهب فى حياته الروحية، وإذا تولدت لديه الرغبة والاشتياق لتتميم طقس الإسكيم المقدس، حيث أن الإسكيم له نظام خاص وشديد فى الحياة الروحية وتتميم قوانين غاية فى النسك، وتتم تزكيته من جهة أب اعترافه ورئيس الدير، فيقوم رئيس الدير بصلوات طقس الإسكيم المقدس، ويصبح هكذا راهباً إسكيمياً.

10-السائح :

هى درجة عالية من درجات الحياة الروحية، فبعد أن يعيش الراهب المتوحد فى المغارة، قد يتوحد سائحاً بين الجبال ويصير متوحداً لا مغارة له، إلى أن يصل أخيراً الراهب محب الوحدة إلى درجة سائح،.وهذه الطغمة هى أعلى درجات الروحانية، وفيها يتنقل الآباء السواح من مكان إلى مكان بسهولة جداً وبلا إحتياج إلى وسيلة للنقل، ويجتمعون معاً للصلاة

والتناول من الأسرار الإلهية، ومما سمعنا عنه أنهم قد يأتون إلى الأديرة لكى يأخذوا قربانه لتتميم صلوات القداس الإلهى، ولا تعوقهم الأبواب المغلقة عن الدخول إلى الأماكن التى يقصدونها، وقد يصلون فى إحدى الكنائس، ويتركون على المذبح بعض الماء كعلامة على أنهم قاموا بصلوات القداس الإلهى، حتى لا يصلَّى على المذبح مرة ثانية فى ذلك اليوم.

ثانياً: الأماكن

1-الرباتيه:

هى المكتب الخاص بالأب الربيته (أمين الدير)، ومنه يقوم بإدارة سائر الأعمال المختلفة بالدير.

2-الجو:

هى كلمة من أصل سريانى، وتعنى المخزن الذى يحوى الاحتياجات التى تُوزع على الرهبان، كما أنها تعنى المكان الذى يوضع فيه نصيب كل راهب مما يوزع عليهم.

3-الميرس:

هى كلمة من أصل يونانى وتعنى نصيب (Meroc) ويقصد بها فى المجمع الرهبانى نصيب كل راهب من الاحتياجات التى يوزعها الدير عليهم، والتى توزع عليهم بالتساوى.

4- المائدة:

يوجد فى كل دير أثرى مائدة أثرية غرب الكنيسة مباشرة، وقد كان الآباء قديماً يقضون الأسبوع بمغاراتهم فى الجبال، ثم يجتمعون يومى السبت والأحد فى الدير للصلاة، وأثناء تواجدهم يتناولون الطعام معاً (الآغابى) بعد انتهاء الصلاة، ثم يعودون

إلى مغاراتهم، وحالياً تقوم بعض الأديرة بنظام شبيه بهذا.

5-القلاية :

تتكون قلاية الراهب من حجرتين، حجرة خارجية وتسمى (المضيَفة) إذ يستقبل فيها الراهب إخوته الرهبان، الذين يأتون لزيارته وأخذ بركته.

أما الحجرة الداخلية فتسمى (المحبسة).وهى خاصة بالراهب فقط، ولا يدخلها أى أحد حتى إخوته الرهبان وهى الحجرة التى يحبس فيها ذاته للصلاة والصوم وممارسة الجهادات الروحية، من ميطانيات وقراءة وتأمل .....إلخ، وهى بمثابة قدس الأقداس فى القلاية.

6-الطافوس:

هى كلمة يونانية معناها (مدفن)، وهو المكان الذى يتم فيه دفن الآباء المتنيحين بعد الصلاة عليهم،.وفى الغالب يوجد الطافوس غرب الكنيسة.

7-الحصن :

هو عبارة عن بناء مرتفع من الحجارة الضخمة مكون من عدة طوابق،وليس له باب فى الدور الأرضى، بل يعلو بابه عن الأرض بمقدار ستة أمتار، وهى مسافة تتفاوت بين حصون الأديرة، ومن باب الحصن يمتد عادة ممر خشبى متحرك، ويرتكز فى نهايته على بناء مقابل يتم الصعود إليه بسلم من الأرض إلى بداية القنطرة، وكان عند الخطر يتم رفع الممر من داخل الحصن بسلاسل حديدية حتى يقوم عمودياً أمام فتحة الباب فيتعذر على البربر اقتحامه.

والحصن من الداخل يكون مجهزاً للمعيشة لفترات، فبه حجرات تستخدم كقلالى للرهبان، وبه أيضاً فى

الدور الأرضى بعض فتحات للطافوس، وذلك لاحتمال إنتقال أحد الآباء فى فترة الاحتماء بالجصن، ويوجد بالحصن كنائس للصلاة، وغالباً ما يكون فى أعلى كل حصن كنيسة باسم الملاك ميخائيل (الملاك الحارس)،.وبعدما يزول الخطر يخرج الآباء ليمارسوا حياتهم الطبيعية فى الدير.

وينسب السنكسار القبطى بناء الحصون فى الأديرة، إلى الملك زينون عاهل الدولة الرومانية الشرقية (474- 491 م)، وذلك إكراماً لإبنته إيلارية التى ترهبت فى دير القديس مكاريوس باسم الراهب إيلارى، دون أن تكشف أمرها لأحد .

أما التاريخ الكنسى فيقول أن البابا شنودة الأول (859 – 880 م)، عندما ذهب مع أراخنة الأمة لقضاء أسبوع الآلام فى دير القديس مكاريوس، ورأى بنفسه المتاعب التى يقاسيها الرهبان من البدو، الذين يهاجمونهم من حين لآخر، شيَّد فى كل دير حصناً يلجأ إليه الآباء الرهبان عند الضرورة (تاريخ الكنيسة القبطية ص 472 – الخريدة النفيسة ج2 ص 199).

8- بيت لحم :

هو المكان الذى يتم خبز القربان فيه، وذلك إشارة إلى (بيت لحم) أى المكان الذى وُلد فيه رب المجد يسوع، إذ أنه هو الذى قدم ذاته قرباناً لله الآب عن جميع البشر.

ثالثاً: الملابس الرهبانية:

1-القلنسوة :

كان يلبسها القديس الأنبا أنطونيوس أبو الرهبان، وهى تغطى الرأس كلها ثم تتدلى خلف الرأس وعلى الكتفين فقط، وهى تشبه (غطاء رأس الأطفال تماماً)، وهى بذلك تشير إلى روح البساطة التى يجب أن يتحلى بها الراهب.

والجزء الذى يغطى الرأس يوجد عليه اثنا عشر صليباً، ستة صلبان من كل جهة، وهى تشير إلى عدد تلاميذ السيد المسيح الاثنا عشر، أما فى وسط القلنسوة فيوجد فرق (قطع) يبدأ من أولها فوق الجبهة مباشرة ويصل إلى ثلثها تقريباً، وهذا الفرق (القطع) فتتم خياطته بطريقة عمل الشبكة (بعرض 1سم تقريباً)، بحيث يظهر الفرق (القطع) واضحاً وقطعتا القلنسوة متباعدتان عن بعضهما قليلاً، وفى نهاية الفرق (القطع) يتم عمل صليب مطرز يكون خلف الرأس مباشرة، وهو يشير إلى السيد المسيح، وتربط القلنسوة أسفل الرقبة من الأمام بشريطين رفيعين.

وقد أعاد قداسة البابا شنودة الثالث البابا 117 من باباوات الكرازة المرقسية إستعمال هذه القلنسوة بين الرهبان فى الأديرة، وهو أول من إستعملها فى عصرنا الحديث.

ويرجع تصميم هذه القلنسوة بالشكل الذى وصفناه سابقاً خصوصاً الفرق (القطع) الواضح الموجود فى وسطها، إلى القصة المتواترة بين الرهبان، والتى تروى أن الشيطان عندما اغتاظ من القلنسوة التى كان

يرتـديها الأنبـا أنطونيـوس أب الرهبـان فـوق رأسـه، وأراد الشيطان أن ينـزعها من على رأسه بالقوة، فإنه عنـدما أمسـكها ليخطفهـا تمسـك بهـا القـديس الأنبـا أنطونيوس بقـوة حتـى لا يخطفهـا منـه الشيطان، ولمـا جذبها الشيطان بعنف لخطفهـا مـن بين يـدى القديس، فإنهـا تمزقـت مـن الوسط وهـى بـين أيـديهما، ولمـا استغاث القديس الأنبا أنطونيوس بالرب يسوع ورشم ذاتـه بعلامـة الصـليب، فـإن الشـيطان أصـبح كالـدخان وولى هارباً إذ قد انحلت قوته، وهكذا رغمـاً عنـه تـرك للقديس قلنسوتـه الممزقة من الوسط، فأخذها القديس وخاطهـا بـالإبرة الغليظـة التـى يخـيط بهـا الضـفائر (المسلة) ثم لبسها، وهكذا صار هذا هو طقس وشكل القلنسوة حتـى وقتنـا الحـالى (سمو الرهبنـة ص153-ص156).

2- المنطقة:-

وهى عبارة عن حزام Belt أوSash، يصنع من الجلد أو مـن الكتـان، يتمنطـق بهـا الراهـب علـى خصـره، وتُدعى فـى القبطيـة ZOUNARION (زونـاريون) أى زنـار أو حـزام، وهـى تشـير إلـى القـوة واليقظـة والاستعداد الدائم للجهاد.

3- الإسكيم :-

هو وشاح يتشح به النساك الذين وصلوا إلى درجات عالية من النسك والتقشف، وهو عبارة عن سيور من الجلـد الطبيعـى مجدولـه علـى شـكل حـرفx،يتخللهـا صليب كبير فى المنتصف من الجهة الأمامية وآخر من الجهة الخلفية، وفـى منتصف كـل طرف مـن الأطـراف

الأربعة للسيور الواصلة بين زوايا الصليبين الرئيسيين، يوجد صليب صغير أيضاً من الجهتين.

رابعاً: رهبانيات:

1- ناموس الدير:
أى القانون الذى يضعه أب الدير، ويلتزم به جميع الآباء الرهبان، وهو يشمل الموافقة على بعض الأمور فى الحياة الرهبانية، ويكون هذا الناموس أو القانون ملزماً للجميع.
2-القانون الرهبانى :
هو قانون ونظام الصلوات والتسابيح، التى يلتزم بها كل راهب فى حياته الروحية، بناءً على إرشادات أب الاعتراف وتدبيره الروحى .
3-الميطانية :
هى كلمة يونانية تدل على تغيير الفكر فى كل من العقل والقلب، وتحويله عن الأهواء والشهوات وتوجيهه إلى الله، وكلمة (ميطانية) فى اللغة العربية تعنى توبة، أى الرجوع إلى الله وترك المعصية، وتكون الميطانية بالسجود الكامل إلى الأرض، أى انحناء الشخص كاملاً حتى تلامس جبهته الأرض.
4-بستان الرهبان :
هو كتاب يحوى أروع القصص عن الآباء النساك والمتوحدين ورهبان الأديرة الذين عاشوا فى برارى مصر، ويشتمل على أقوالهم الحية، وقد وضعه

القديس بلاديوس (Palladius) بناءً على طلب أو تكليف من شخص يدعى لوساس (Lausas) لذا عرف بالتاريخ اللوزياكى.

وهو أروع الكتب الرهبانية التى تُحدثنا عن الرهبنة القبطية فى أوج نهضتها، حتى أن معظم القراء لهذا الكتاب أطلقوا عليه اسم "فردوس الآباء"، وقد تمت ترجمته إلى العربية باسم "بستان الرهبان"، وقد كان الآباء الرهبان فى هذا الكتاب هم نبراساً للأجيال الآتية ولكل من يحب أن يسلك فى طريق الفضيلة، إذ أنهم كانوا أزهاراً مشرقة فى بستان الرهبانية القبطية .

والقديس بلاديوس يُعتبر من أهم مؤرخى الرهبنة القبطية، فهو قد عاش فى سنة 363م أو 364م فى غلاطية بآسيا الصغرى، وتثقف ثقافة عالية وعندما بلغ عامه الثالث والعشرين التحق بالحياة الديرية فى جبل الزيتون بأورشليم، وفى حوالى سنة 388م أراد أن يلتقى بمتوحدى مصر من الآباء النساك ويتتلمذ على أيديهم، وبالفعل جاء إلى مصر وأمضى هناك قرابة العشر سنوات وكتب فيها هذا الكتاب الثمين الذى يحتوى على كنوز من أقوال آباء البرية.

5-التحية الرهبانية (آغابى) :

هى كلمة يونانية تعنى المحبة، وهى تشمل كل أنواع المحبة : بين أقانيم الثالوث القدوس، أو بين الله والإنسان، أو بين الإنسان والله،، أو بين الإنسان ونفسه، أو بين الإنسان وأهل بيته أو أقربائه، أو حتى محبة الإنسان لأعدائه.

وكلمة آغابى هى التحية المعتادة فى جميع الأديرة القبطية، إذ أنها تقال حينما يتقابل الرهبان معاً، أو تقال عندما يطرق راهب باب قلاية راهب آخر.

6-الهذيذ :

هو دوام تذكار بعض الصلوات القصيرة، مثل صلاة يسوع (ياربى يسوع المسيح ارحمنى)، أو دوام التفكير فى آية من آيات الكتاب المقدس، أو دوام الصلوات بالمزامير، وبهذا تتم المحافظة على الفكر منشغلاً على الدوام بالسماويات، والحفاظ على الروح مشتعلة بالحرارة الإلهية.

7- الثاؤريا :

هى درجة روحانية عالية، فيها يتم اختطاف العقل لمعاينة مناظر سماوية فائقة، وبالتالى يصبح صاحبها مشغولاً بالتمام عن الأرضيات، كما قرأنا عن القديس يوحنا القصير، الذى حضر إليه الجمال (راكب الجمل)، لك

ى يأخذ منه القفف التى هى عمل يديه، فإذ كان عقله مختطَفاً، فإنه كان ينسى طلب الرجل، ولذلك فقد أخذ يذكر نفسه قائلاً (القفف للجمَّال)، ورغم ذلك لم يتذكر أيضاً، وفى النهاية أخذ الرجل من يده إلى الداخل وقال له (خذ ما تشاء)، كل هذا لأن عقله كان منشغلاً بالسماويات.[1]

St Mary Al Sourian Monastery 2022 [1]

ـ شروطً قبول الرهبان الجدد بالأديرة القبطية:
تضع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، وفقا لنظام محكم يخضع لعدد من القواعد والشروط.[1]
المرحلة الأولى التردد
وهو قيام طالب الرهبنة بالتردد على الدير ليتعرف على الرهبان ويتعرفون عليه لمدة لا تقل عن عام، وتحت إشراف مشرف الدير للمتقدمين وطالبى الرهبنة أو المسئول عن بيت الخلوة، ويتم تسجيل اسمه فى سجل المترددين على الدير.

---
[1] سارة علام : من مقال في شبكة المعلومات

ويجب أن تنطبق عليه الشروط التالية:
1_ "ان يكون مسيحيا أرثوذكسيا
2_ لـه أب اعتـراف ومنـتظم فـى ممارسـة الأسـرار الكنسية ووسائط النعمة (الصلاة والكتاب المقدس) بشهادة رسمية من أب اعترافه.
3_ محب للطقوس والتسبحة والألحان، ولـه درايـة بعقائد الكنيسة وتاريخها.
4_ لايزيد سن المتردد عن 30 سنة ولا يقل عن 23 .
5_ لا يقل مؤهله عن التعليم الجامعى أو إتمام دراسة الإكليريكية"، ولكن يسمح بالاستثناءات لشرطى السن والمؤهل بعد موافقة رئيس الدير.

المرحلة الثانية الالتحاق كطالب رهبنة

بعد استيفاء الشروط السابقة يلتحق الشاب بالدير كطالب رهبنة والذى يرتدى اللون الأزرق، نص القانون الكنسية على أن مرحلة طالب الرهبنة والتلمذة داخل الدير ولتجربة الحياة الرهبانية بعد مطابقته للشروط ويكون الطالب تحت الاختبار والإرشاد الروحى من الأب مشرف شئون طلاب الرهبنة وتحت إرشاد أب اعتراف معروف لدى الأب الرئيس.

ويفتح لطالب الرهبنة ملف يحتوى: "على نموذج طلب الرهبنة وتزكية واضحة حديثة من أب الاعتراف وتشمل الحالة الاجتماعية من جهة الخطبة أو الزواج، والأوراق الرسمية (صورة بطاقة رقم قومى وشهادة ميلاد وشهادة تخرج، وإجازة من العمل أو خلو طرف، وصحيفة الحالة الجنائية، والموقف من الخدمة العسكرية)، والتقرير الطبى من الجهة المتعاقد معها

الدير للتأكد من الخلو من الأمراض المزمنة والمعدية التى تعوقه عن الحياة الرهبانية، وتقرير الحالة النفسية من الطبيب النفسى المتعاقد معه الدير، وتقرير متابعته كل 3 شهور والمقدم من مشرفين الدير وتحت إشراف مشرف الدير لشئون طالبى الرهبنة والذى يراعى فيه أن يتم تغيير العمل المسند لطالب الرهبنة كل 3 شهور حسب ظروف كل دير والمرور على جميع أنشطة الدير وخدماته مع جميع مشرفين الدير، وتوصيفه الوظيفى إن كان يقوم بمسئولية خاصة بالدير، ومتابعة حالته الصحية، و أى عقوبات أو تأديبات إن وجدت"، وتلك المرحلة تستمر لمدة عام.

المرحلة الثالثة ما قبل الرهبنة:

ويرتدى خلالها طالب الرهبنة زيا باللون الأبيض أو البيج، وهى المرحلة التى يقوم خلالها رئيس الدير مع أمين الدير ومشرف الدير لشئون طلاب الرهبنة بالاشتراك مع أب الاعتراف بتقييم عام لطالب الرهبنة من خلال تقارير المتابعة الربع سنوية المقدمة من جميع المشرفين بحد أقصى 3 سنوات من تاريخ التحاقه بالدير وألا تقل عن سنتين بالنظر فى قرار سيامته (تعيينه) كراهب.

وأشارت لائحة اختيار الراهب إلى أنه فى حال إخلاء سبيل طالب الرهبنة فى أى وقت يتم ذلك بمحبة عملية ومساعدته بقدر المستطاع على مواصلة الحياة بحكمة وإقناع، ويتم إخطار بقية الأديرة من خلال لجنة شئون الأديرة وسكرتارية المجمع المقدس بأسماء غير

المقبولين والأسباب، كما يفضل عدم قبول طالب رهبنة سبق له الخطوبة.[1]

- خلاف مسيحي مسيحي حول الرهبنة:

يؤسفنا أن يكون هناك في زماننا الحاضر من يقول بجسارة وتبجح أن:
"من أكبر وأخطر البدع التي عرفتها الكنيسة الأرثوذكسية هي بدعة الرهبنة التي لم تعرفها المسيحية قبل القرن الرابع وقد خرجت من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وانتقلت إلى باقي الكنائس الأرثوذكسية بل والكاثوليكية أيضًا ولم يسلم منها ومن مبادئها الهدامة وتعاليمها المضللة إلا الكنيسة البروتستانتية (الإنجيلية) التي تمسكت بتعاليم الإنجيل واتخذت منه سراجًا ونورًا لسبيلها."
ونفس الكاتب يضيف أن مبادئ الرهبنة مبادئ هدامة، وأنها أضرت بالكنيسة، وأن هناك تناقض بين الفكر الرهباني السقيم والفكر المسيحي المستنير في نظرة كل منهما تجاه: المرأة - العالم- الجسد - الزواج - الخلاص.

---
[1] السابق

وأنهـا تنـاقض تعـاليم الكتـاب المقـدس. وأن تعـاليم الرهبنة متطرفة، وسير آباء ومعلمي الرهبنة منحرفة، ومليئـة بالكبت والشذوذ والأمـراض النفسـية وأحيانًـا العقليـة أيضًـا ابتـداء مـن أنطونيـوس مؤسـس بدعـة الرهبنة، على حد قوله!!!

يؤسفنا أنـه قد جـاء اليوم الـذي تتعرض فيـه الرهبنـة لهذا النقض اللاذع، والادعاء الباطل الكاذب، والهجوم علـى آبـاء الرهبنـة العظـام الـذين كـانوا سـبب بركـة للكنيسة ولكل العالم.

فلينّج الرب كنيسته المقدسة من هذا الهراء والضلال ببركة آباء الرهبنة القديسين، وبصلوات رئيس رهبنـة الكنيسـة القبطيـة فـي زمانـنـا: قداسـة البابـا شـنودة الثالـث، أطـال الـرب حياتـه ومتعـه بموفـور الصـحة والعافية.[1]

[1] الأنبا بيشوي مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري (قبل وفاة البابا شنودة)

- كمـا أن مصـر هـى أم الحضـارات (حضـارة 7000 سنة)، فكنيستنا القبطية الأرثوذكسية فى مصر، هى أم الرهبنــة المســيحية فــى العــالم. والقــديس الأنبــا أنطونيـوس المصـرى (251-356م)، هـو أب جميـع الرهبان.[1]

والسبب فى ذلك أن القديس أنطونيوس الذى عاش فى القرن الرابع الميلادى، هو مؤسس الرهبنة فى مصر، حيث كانت الرهبنـة تقتصر قبل ذلـك علـى متوحدين يسـكنون الصـحراء فـرادى، يعبـدون الله آنــاء الليـل وأطراف النهار، إلى أن جاء الأنبا (الأب) أنطونيوس، وعاش مثلهم: فاجتمع حوله الآلاف، ولذلك أسس لهم ديراً، وكان الأنبا أنطونيوس يتنقل بين المتوحدين فى البرارى، يسألهم ويستمع إليهم، ويشبع من تعاليمهم وروحيـاتهم، إلـى أن اعتكف فـى الميمـون، ثـم وضـع لتلاميذه أسس «الديرية»، والحياة الرهبانية.

ولما نفى البابا أثناسيوس الرسولى إلى أوروبا، (وهو البطريـرك العشـرون فـى سلسـلة بطاركـة الكنيسـة القبطية)، نشر سيرة الأنبـا أنطونيـوس فى كتـاب، ذاع صـيته، وقـرأه الكثيـرون، فتـأثروا بحيـاة الرهبنــة، وأسسوا جماعات رهبانيـة مشـابهة، فـى أرجـاء العـالم المسيحى على غرار رهبنـة أنطونيـوس. ولـهذا دعيت مصـر «أم الرهبنــة»، ودعـى الأنبـا أنطونيـوس «أب جميع الرهبان.»

سان أنطونيو:

[1] الأنبا موسى :الرهبنة جوهرة الكنيسة القبطية

وأذكر أننى فى أثناء حضور مؤتمر دولى كنسى فى سان أنطونيو بأمريكا، بتكليف من قداسة البابا شنودة الثالث، سألتهم هناك: «من تقصدون بـ«سان أنطونيو»؟ فقالوا: القديس أنطونيوس المصرى.

وبعد عودتى من المؤتمر قلت لقداسة البابا شنودة الثالث، إن هناك مدينة يقال لها «سان أنطونيو» وهم يقصدون الأنبا أنطونيوس المصرى، فقرر قداسته بناء كنيسة باسم الأنبا أنطونيوس هناك، ورسم كاهنا باسم «القس أنطونيوس»، ثم دشنها فى إحدى رحلاته الرعوية.

مجموعة أسئلة:

1 -من هو القديس أنطونيوس؟

2 -وكيف يتم اختيار الرهبان؟

3 -يوم فى حياة راهب

4 -جوهر الرهبنة: البتولية - الوحدة - الفقر الاختيارى - العفة - الطاعة.

5 -ما هى أنواع الرهبنة؟: (التوحدية - الجماعات الرهبانية - الشركة الرهبانية(

6 -كيف انتشرت الرهبنة القبطية فى العالم؟

7 -ما هو دور الرهبنة الآن؟

8 -النهضة الرهبانية المعاصرة.

1 -من هو القديس أنطونيوس؟

هو شاب قبطى (مصرى) غنى، من قمن العروس (الواسطى - بنى سويف)، كانت له أخت شقيقة، ومات والداه، وتركا له مساحة شاسعة من الأرض الزراعية المثمرة. ولكنه فى يوم ممات والده، نظر إلى الجثمان المسجى على الأرض، وقال فى نفسه مخاطباً أباه: «ها أنت يا أبى تخرج من هذا العالم بغير إرادتك، أما أنا فسوف أخرج منه بإرادتى». ووزع كل ماله على الفقراء، وأودع أخته فى بيت للعذارى، ومضى ليتوحد فى الصحراء الشرقية.

ويذكر تاريخ الكنيسة أن الأنبا أنطونيوس بدأ نسكياته (أصوامه، وصلواته، وسجداته) على شاطئ النيل، فى قرية دير الميمون (حيث سميت كذلك تيمنا «بالميمون» أى «المغبوط» أنطونيوس). وبينما هو يصلى ويقرأ فى الكتاب المقدس، جاءت امرأة لتغسل قدميها فى النهر، فعاتبها قائلاً: «كيف تفعلين ذلك أمام راهب؟». فأجابته قائلة: «راهب !! الراهب لا يسكن فى المدن، بل يذهب إلى عمق الصحراء». فاعتبر هذا صوتاً من الله، ودخل حتى إلى شاطئ البحر الأحمر، فى «البرية الجوانية» حيث ديره المقدس القابع هناك.

وبدأ كثيرون يجتمعون إليه، يطلبون إرشاده الروحى.. ومن هنا صار المكان ديراً يضم المئات من عابدى الرب، ومسبحى اسمه القدوس. وبعدها جاء الأنبا بولا ليكون مجموعة من الرهبان ثم ديراً، وانتشرت الرهبنة فى كل مكان بعد ذلك.

منهج الصلاة والعمل

حينما بدأ أنطونيوس حياة الصلاة الدائمة، شعر بالملل، فظهر له ملاك من الله، يلبس الرداء الأسود،

والقلنسوة (غطاء الرأس للرهبان)، يصلى قليلاً، ثم يضفر الخوص بيديه قليلاً. وقال له الملاك: افعل هذا فتطرد الملل. ومن وقتها صار الرهبان يلتزمون بالحياتين معاً: التأمل والصلوات الكثيرة، وعمل اليدين، ليعيشوا منه، ويتصدقوا بالباقى على الفقراء.

وطبعاً كان أهم عمل يدين ممكن فى ذلك الوقت، هو ضفر الخوص (سعف النخل) المتواجد فى البرية، وصنع السلال. وكان أحد العلمانيين (أى المدنيين) يتعهد بالمجىء إلى الدير كل أسبوع، ليأخذ السلال، ويبيعها، ويشترى للرهبان حاجاتهم الأساسية من غذاء وكساء ودواء.

وقد تطور عمل اليدين الآن إلى زراعة مساحات ضخمة من الصحراء، أصبحت تنتج إنتاجاً وفيراً ومتميزاً، حيث يتم استخدام أحدث الأساليب العلمية فى رعايتها، وإنمائها، وتصنيع منتجاتها، وذلك وفاء لاحتياجات الرهبان الذين صاروا بالمئات، وكذلك لخدمة المنطقة المحيطة بالدير، وكانت تضم الكثير من الفقراء.

2 -كيف يتم اختيار الرهبان؟

أ- يتردد الشاب المحب للرهبنة (وينطبق هذا على الراهبات أيضاً)، على الدير، لفترة مناسبة، بعد أن يكون قد أنهى دراسته (غالباً الجامعة) وفترة تجنيده، واستلم عملاً... وذلك لكى يتأكد أن طريق الرهبنة يناسبه، وأن الرهبنة هى دعوته الخاصة من الله فعلاً.. وذلك بإرشاد أبيه الروحى، أى الكاهن.

ب- حين يتم اتخاذ قرار دخول الدير، ويشترك فى ذلك الكاهن الذى يعترف لديه الشاب، ورئيس الدير، ومسؤول طالبى الرهبنة بالدير، والشاب نفسه.. يترك الشاب عمله وأسرته. ولا يجوز الرهبنة بعد سن 35 عاماً إلا باستثناء خاص كضرورة رعاية الوالدة المريضة، ثم يأتى للإقامة الدائمة فى الدير.

ج- يستمر طالب الرهبنة ثلاث سنوات فى ملابس بيضاء، يمتحن فيها نفسه، ويمتحنه فيها الدير.. فإذا ما استراح هو، واستراح رئيس ومجمع الدير له، تتم رهبنته، ويلبس الملابس السوداء، والقلنسوة التى تحمل 13 صليباً تمثل السيد المسيح والأثنى عشر تلميذاً، إشارة إلى أنه متشبع بفكر المسيح والرسل، وحياتهم المقدسة. وتتلى فى الصلوات طلبة الراقدين (أى الموتى)، علامة أن هذا الإنسان «مات» عن العالم والمادة والأرضيات، ليحيا لله والملكوت السماوى.

د- بعد الرهبنة يكون الراهب تحت إرشاد مباشر من أب روحى مختبر، وتحت ملاحظة مستمرة من إدارة الدير، سواء فى حياته الدينية، أو فى خدمته بالدير، أو فى المسؤوليات التى تسند إليه، أو فى سلوكياته العامة مع الرهبان والزائرين، أو فى نزوله إلى المدينة بتكليف من رئاسة الدير لبعض المهام...

هـ- القاعدة العريضة من الرهبان - بنعمة الله - تسلك السلوك الحسن، أما الأقلية الصغيرة التى تميل نحو الخطأ، فيتم توجيهها ونصحها وتحذيرها وتقويمها. فإن أصر أحد على الانحراف عن السلوك الرهبانى، تتم محاسبته عن طريق لجنة شؤون الرهبان، المنبثقة

عن لجنة شؤون الأديرة، وكلها من الآباء الأساقفة رؤساء الأديرة.. وذلك لاتخاذ اللازم نحو إجراءات روحية أو ربما تجريد كامل، حسب نوع وحجم الخطأ فيتخذ نحوه الإجراءات. وحتى فى هذه الحالة تتم مراعاة الأخ إنسانياً ومادياً، ليستقر فى حياة جديدة مدنية، إذ تتم مساعدته فى الحصول على عمل أو بدء مشروع يعيش منه. وبالطبع يبقى القرار فى يده، أن يحيا بطريقة مقدسة، أو أن ينحرف!

3 -يوم فى حياة راهب

يبدأ يوم الراهب - حالياً - قبل الثالثة صباحاً، حيث يؤدى صلواته الخاصة. وفى تمام الثالثة يدق «جرس نصف الليل»، فيجتمع الرهبان فى كنيسة الدير يصلون:

أ- صلاة نصف الليل: بخدماتها الثلاثة (حوالى ساعة)

ب- التسبحة اليومية بألحانها الجميلة: (حوالى ساعتين)

ج- القداس الإلهى: (حوالى ساعتين)

يخرج بعد ذلك الرهبان إلى العمل اليومى مثل:

1 -رعاية الأرض الزراعية من استصلاح إلى استزراع إلى تنمية...

2 -رعاية تصنيع المنتجات الزراعية...

3 -تخليل كميات الزيتون الضخمة...

4 -ملاحظة العمال فى كل ذلك...

5 -قيادة الجرارات والسيارات...

6 -ماكينات الكهرباء والمياه...

-7رعاية مكتبة الدير...
8- شرح معالم الدير للأسر الزائرة، وكثيراً ما يكونون من الأجانب، فيتم الشرح لهم بالإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية، بواسطة آباء رهبان يكلفون بذلك.
9 -أماكن التسمين أو الدواجن أو مزرعة الأرانب.
10 -المبانى، حيث تزداد باستمرار نتيجة النهضة الرهبانية المعاصرة...
11 -المشتروات من القاهرة والإسكندرية وغيرها.
12 -صيانة المبانى الأثرية بالدير بأحدث الأساليب العلمية...
-13 إجراء دراسات وحفريات تحت إشراف هيئة الآثار، وقد تمت اكتشافات هامة كثيرة فى هذا الميدان.
-14 لقاءات مستمرة للرهبان على المائدة أو أثناء صناعة الخبز، وفى أثنائها تتم قراءة «بستان الرهبان» حتى لا ينشغل الرهبان بالطعام أو العمل، بل يمزجوا كل شىء بالتأمل الرهبانى، وروح الصلاة.

ويجتمع الرهبان بعد الظهر فى الكنيسة فى حوالى الرابعة لصلوات مسائية جماعية، ويصافحون فى نهايتها أحدهم الآخر فى روح المحبة

وبعد الغروب، ينطلق الرهبان فى البرية (الصحراء)، يتمشون فرادى، يتلون صلواتهم، ويقرأون الكتاب المقدس، والكتب الروحية والرهبانية المناسبة.

ومن قواعد الرهبنة عدم الزيارة فى القلاية (مسكن الراهب)، أو الجلوس فى طرقات الدير، أو المزاح

والرخاوة، فالراهب إنسان مات عن العالم، ويسلك فى توبة وانسحاق أمام الله والناس.
وما نقوله عن الرهبان ينطبق على الراهبات أيضاً.

4 - جوهر الرهبنة:
إن الرهبنة فى جوهرها هى «الانحلال من الكل، للارتباط بالواحد»أى الابتعاد عن البشر جميعاً، حباً فى الله، واكتفاء به تعالى.

وتعتمد الرهبنة على أساسيات هامة مثل:
1 - البتولية: أى عدم الزواج، ليس انتقاصًا من قدسيته وكرامته، فالزواج فى الكنيسة أحد الأسرار السبعة المقدسة، إذ فيها يتحد العروسان معاً، ليصيراً واحداً بالروح القدس، ويكونان أسرة مقدسة مع أبنائهما وبناتهما.أما البتولية فهى دعوة إلهية يخص بها الرب بعض أبنائه وبناته، فيشعر الواحد منهم أنه لا يحتاج إلى زواج، بل يحس بالسعادة الغامرة فى التسامى بطاقاته المختلفة، لتصير طاقة حب لله والإنسان، وليتفرغ نهائياً للصلوات والعبادة، طلباً لحياة القداسة والكمال، متشبهاً بالملائكة، الذين لا يكفون عن العبادة والتسبيح، أمام إلهنا العظيم. فالرهبنة - إذن - هى سبق تذوق للخلود.

2- الوحـدة والانفـراد: فالراهـب الأمـين، كثيـر الاختلاء والصلوات، فى البرارى والجبال، قال معلمنا بولس الرسول عن الرهبان:

"وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقّاً لَهُمْ. تَائِهِينَ فِى بَرَارِىَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ"[1].

حيـث كانـت الرهبنـة الانفراديـة موجـودة فـى أيـام يوحنا المعمدان (قبل ميلاد السيد المسيح مباشرة)، فى طائفة تدعى «الاسينيين".

ولما جاءت المسيحية، تم تعميد هذا الاتجاه، ليصير «الرهبنة المسيحية"

3 -العفة والتجرد: بمعنى أن يتعفف الراهب حتى عن المقبول، فينسى المال والمقتنيات والأرضيات، ويضع العالم وراء ظهره، رافعاً قلبه إلى السماء، وممتداً ببصره نحو الخلود. وما ينطبق على المادة ينطبق على الجسد والحسيات والشهوات الأرضية المختلفة، كما ينطبق على كل ما فيه تضخيم للذات الإنسانية من مناصب وأمجاد عالمية زائفة.

3- الطاعـــة: فالهدف الأساسى للرهبنة هو «قطع المشيئة»، أى ألا يكون للإنسان مشيئة خاصة ذاتية، فهو لا يريد شيئاً سوى الله. حتى ميراث الملكوت وأمجاد السماء ليست هدفه فى الحياة، فما قيمة هذه الأمجاد بدون الله؟

---

[1] (عب 38:11)

إنــه لا يجاهـد ضـد الخطيئــة خوفــاً مـن عقــاب، ولا يتطلع إلى الخلود طمعاً فى ثواب، بل هو يطلـب الله، والله وحده!!

وحيث إن الله هـو غيـر المحـدود، إذن... فهـو النصـيب الصالح، الذى لن ينزع منا إلى الأبد!!

لهـذا يطيـع الراهـب تعليمـات أبيــه الروحــى، وتكليفـات وإرشــادات ونظــام الــدير الإدارى، فــى روح التواضــع الجميل، الذى يرى فى الطاعة كل البركة[1].

كتاب لمـاذا يقبـل شـباب الأقبـاط علـى الرهبنــة؟ - الأنبـا مكاريوس الأسقف العام

فكرة الرهبنة وكيف نشأت بين الشباب المسيحي

تبـدأ الفكـرة عنـدما يرغـب شـخص مــا معنــى بخلاصــه بالبحث عن طريقة مثلى يخلص من خلالها، فهو يعتبر أن خلاص نفسه (شخصيًا) هو القضية الأهم والأخطر في حياتـه، من أجلهـا يضحى بكل شـيء وفـي سبيلها يقدم على أي قرار، ويرى أنه لن يتسنى له ذلك إلا من خلال حياة هادئة بعيدا عن العالم، ومن ثم يقرر الشاب أن يحيـا حيـاة إنجيليـة مثاليـة، وإذ يتعذر عليـه (هـو) إتمام ذلك وهو بين الآخرين في العالم فهو يتجه من ثم

[1] أسقف الشباب بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية

نحـو أطـراف المـدن (قبـل أن تكـون هنــاك جماعــات رهبانية) حيث يصنع لـه كوخـا مـن الخـوص يحيـا فيـه في هدوء وتأمل يلـتمس المنفعـة مـن الإنجيـل ثـم ممـن يتقابل معه مـن الأشـخاص الـروحيين المختبـرين، هـذه مـن جهة ومن جهة أخرى فإنه يعمل كذلك لينفـق علـى نفسـه ثـم علـى المحتـاجين حتـى يتسـنى لـه بـذلك إتمـام وصـية محبـة القريـب بجانـب محبـة الله (أروع تسـجيد للمحبة هو الصليب، والصليب له بعدان رأسي وأفقـي، هكذا المحبة فالبعد الرأسـي فيهـا يمثـل محبتنـا لله وأمـا الأفقي فهو محبتنـا لمـن حولنـا مـن النـاس) ولـذلك فقـد كــان عمــل اليــد ركنــا أساسـيا فــي تــدابير الراهــب منــذ البداية.

كمـا أن الرهبنــة هـي شـهادة للمسيح بـين المسـيحيين، لأن الراهب يعطى ذاته مثـالًا سـليمًا للمسيح مـن خـلال جهاده وتشبهه بسيده، وبالتـالي فهـو مقيـاس للنـاس، تـدينون أسباط إسرائيل الاثنـيّ عشر [1] أو بمعنـى آخـر فـإن الراهـب هـو شـخص مسـيحي، يحـاول أن يـذهب بمسيحيته إلى حدودها القصوى

(لقـد كـان شـعارمؤتمر الرهبنــة الأرثوذكسـية المنعقـد بدير الأنبا بيشوي ببرية شهيت، خلال الفترة من 30 / 4 إلى 4/ 5 / 1979 م هو مكـان الحيـاة الرهبانيـة فـي الشـهادة للمسيح، وقد اشتركت في هذا المؤتمر كنائس القسـطنطينية واليونــان وروسـيا وأنطاكيــة وأمريكــا ورومـانيا وبلغاريا وقبرص وفنلندا وأراجواى وإثيوبيا

---

[1] مت 19: 28

وأرمينيـا وانتيليـاس والهنـد وجورجيـا والكنيسـة القبطية [1]

أو يحـاول بمعنـى آخـر أن يصـل إلـى ملـئ قيـاس قامة المسيح، أن يحقق الكمال الذي رسمه لنا الرب يســوع (أســعى لعلــى أدرك الــذي لأجلــه أدركني المسيح..)

وهكذا وبعدما أصبح الاستشهاد شهوة كل إنسان تقي يعرف يسوع المسيح، توقف الاستشهاد بينما ما تزال الحميـة الروحيـة قائمـة بـين المسـيحيين ومـن ثـم ظهرت الرهبنـة كبديل، وهكذا جاءت الرهبنـة وليدة لبــذرة الاستشــهاد، والــذي هــو قمــة الحــب الإلهـي للمحبـوب يسـوع المسـيح، وكمـا يسـجل لنـا التاريخ أنه ومنذ استشهاد القديس مرقس الإنجيلي في العصر المسيحي الأول، حتى اشتعلت نار الحب في القلـوب لتقـديم الحيـاة كلهـا بالكامـل لله، فلمـا توقـف الاستشهاد ظهرت الحياة النسكية (أي الرهبنة) عندما تصل إلى آخر درجة لها، هي استشهاد يومي بدون سـفك دم، وهـذا مـا كـان آبـاء الرهبنـة يريـدون أن يقدمونه في بداية خوضهم في هذا الطريق.

ويقـول القـديس أثناسـيوس الرسـولي فـي كتابـه عـن القــديس انطونيــوس، أنــه لمــا حــل الاضطهاد بالكنيسـة فـي عهـد مكسـيميانوس (303-311 م.) تـرك القـديس أنطونيـوس مغارتـه ودخـل إلـى مدينـة الإسكندرية، آمـلا أن ينـال إكليـل الشـهادة، ولكن الله لم يشأ له ذلك بل أبقاه لرسالة أخرى، لا تقل كثيرا عن الاستشهاد، ولكنه راح يشجع المقبلين على

[1] (راجع مجلة الكرازة / عدد 18 بتاريخ 4/ 5/ 1979 م)

الاستشهاد حتى أن الحاكم عندما رأى جسارته أمر بألا يظهر راهب في المدينة، ولكن القديس لم يبال بذلك حتى أنه غسل ثيابه ووقف في اليوم التالي في مكان مرتفع أمام الرؤساء، ورآه الوالي في ثيابه الحسنة شجاعا.. وكان يصلى لكي يكون هو شهيدا ولذلك فقد كان يبدو عليه الحزن بسبب عدم نواله هذا الإكليل، ولكن الله أبقاه لمنفعة الكثيرين في الطريق النسكية، ولما انقضى زمن الاضطهاد عاد أدراجه إلى المغارة يجاهد بأشد صرامة.[1]

ونقرأ في الكتابات الرهبانية الأولى كيف أن الراهب كان يحيا على أطراف القرى وبجوار الأنهار والترع، يعمل في صناعة القفف والسلال ثم يدفعها (يسلمها) إلى الجمالين (البدو الرحل) حتى يبيعونها له ويشترون له ما يحتاج إليه من خبز وبقول وخضروات، ثم يتصدقون له بالباقي على المساكين.
وفي وقت آخر كان يتردد (أي الراهب) على الكنائس القريبة للتقرب من الأسرار الإلهية، حيث كان مألوفا لدى عامة الشعب أن يروا راهبا أو بعض الرهبان عند التناول، وبذلك كان الراهب يمارس حياة الشركة والجسد الواحد مع الكنيسة.
(وورد في كتاب الرهبنة الديرية في مصر للدكتور رءوف حبيب: أن رهبان القديس آمون كسبوا معيشتهم من استخراج النطرون وبيعه للقوافل، كما عمل الرهبان في الإسقيط في الأفران واشتغل البعض

[1] (سيرة القديس أنطونيوس بقلم القديس أثناسيوس الرسولي / جمعية الأصدقاء المركزية ص 65، 66).

منهم في الغزل ونسيج الكتان اللازم لصناعة ملابسهم ومنهم من عمل اسكافيا، وأصبح لزامًا على الرهبان أن يحملوا عمل أياديهم أسبوعيًا إلى رؤسائهم، كما كانوا يخرجون جماعات في مواسم الحصاد في اقليمي برفا وغرب الدلتا، وكانت أجرتهم قمحا يوضع في مخازن الدير، كما كانت الأديرة تتصدق بالطعام والأقمشة التي تنسجها على فقراء البلاد القريبة منهم، كما أرسلوا سنويا سفنا إلى الإسكندرية مشحونة بالقمح تتوزع على المسيحيين السجناء والغرباء كذلك، ويقرر روفينوس أنه في النصف الثاني من القرن الرابع انتعشت الأديرة حتى أصبحت الجماعات الرهبانية تعطى الكنيسة بسخاء، وبالجملة فقد كان هناك اكتفاء ذاتي بحيث لا تزيد مصروفات الجماعة على إيراداتها، مع الحرص بدقة في الوقت ذاته على تخصيص جزء من هذه الإيرادات للتصدق على الفقراء [1].

كان ذلك قبل أن تتحول هذه الحالات الفردية إلى جماعات رهبانية تحت إمرة وإرشاد أب كبير مختبر مثلما حدث مع القديس أنطونيوس إذ دخل البرية الجوانية عقب انتهار إحدى الفتيات له بسبب سكناه بالقرب من العالم، هناك تجمع حول القديس شبان كثيرون فبنى لهم كنيسة حيث صار ذلك نواة لأول جماعة رهبانية مسيحية عرفها التاريخ وذلك في سنة 305 م.

---

[1] الرهبنة الديرية في مصر للدكتور رءوف حبيب ص89-93

ولعل أول راهب عرفه التاريخ هو إيليا النبي الذي عاش في جبل الكرمل قبل الميلاد بسبعة قرون ومن بعده يوحنا المعمدان، ويرى الرهبان الكرمليون (جماعة رهبانية عاشت في جبل الكرمل) أن رهبنتهم هي الأقدم من نوعها في الكنيسة، لأنها تنتمي إلى إيليا النبي.[1]

وعاش الآباء مجاهدين من أجل الوصية ويقول البابا أثناسيوس الرسولي في كتاب عن القديس أنطونيوس أن الرهبنة هي جهاد ضد قوى الشر في سبيل تحقيق الوصية، إذا فقد كانت فكرة الرهبنة هي تقديم حياة مثالية حسبما رسم الرب يسوع المسيح.

ويرى بعض الآباء أن الرهبنة تحولت في بعض الأوقات – وفق مفاهيم خاصة متطرفة – إلى ما يمكن أن يطلق عليه تطرفات نسكية، بمعنى أن يتخذ شخص ما من الصمت هدفا وحيدا فيمعن فيه ويوقف كل إمكانياته الذهنية والروحية على هذا الهدف، ويجرى آخر بالنسك الشديد تجاه الطعام في اتجاه آخر ويتبارى فيه مع آخرين، وثالث في البعد عن العالم وهكذا رابع في إتعاب جسده – الخ، الرهبنة.

وحقيقي أن الرهبنة هي حياة مُغايرة ودعوة لها خصوصيتها، ونمط غير تقليدي، إلا أنها أيضا حياة إنجيلية بالدرجة الأولى يحيا فيها الراهب بموجب الوصية مستخدما في ذلك الوسائط التي تركها له الشيوخ الذين سبقوا فاختبروا تلك الحياة وعرفوا دروبها وذاقوا طعم ثمارها وتجاربها وأمجادها حتى

---

[1] (رهبنة الكرمل / مطبوعات رسالة القديسة تريزا ليسوع الطفل – شبرا / ص 11.)

ليقال أنها مهنة (صنعة) مثل كل المهن التي لها أسرارها وخبرتها وشيوخها (شيوخ المهنة).[1]

- طقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية:
قاموس المصطلحات الكنسية | معاني المصطلحات | معنى كلمة
الرهبنة | الرهبانية

- تقوم الرهبنة على محبة التفرغ للعبادة.
أنظمة الرهبنة:
1- التوحيد: يعيش الراهب في قلاية أو منارة بمفرده.
2- الشركة: يعيش الرهبان معًا في الدير، ولكل راهب قلايته بالطبع، ويشتركون في بعض الصلوات وفي الطعام.
3- الجماعات: يعيش مجموعة من الرهبان حول أب لهم كل واحد في مغارته ويجتمعون أسبوعيًا يومي السبت والأحد، حسب نظام كل دير.
أول مَنْ أسَّس الرهبنة في العالم أجمع هو القديس أنطونيوس المصري، ويُطلق عليه لقب "أب الرهبان". وله ديرًا من عهده مازال موجودًا وعامرًا

[1] بستان الرهبان لبيلاديوس، **لماذا يقبل شباب الأقباط على الرهبنة؟**
كتب الأنبا مكاريوس الأسقف العام ، الحركة الرهبانية بين الماضي والحاضر

بالرهبان حتى هذا اليوم في صحراء البحر الأحمر، مصر.

رهبانية:

الرهبنة والرهبانية في اللغة العربية تعني التخلي عن الدنيا والزهد فيها والابتعاد عن البشر والتفرغ للعبادة.[1]

الأدلة الكتابية:
الرهبانية المسيحية هي تعبّد المسيحيين الذين يعيشون حياة زاهدة ومعزولةً عادة، مكرّسة للعبادة المسيحية. بدأ تطور الرهبانية مبكّرًا في تاريخ الكنيسة المسيحية، متّخذًا نماذج ومُثُلًا من الكتب المقدسة، منها نماذج من العهد القديم، لكنها لم تكن مؤسسة في النص المقدس. ثمّ قُنّنت بالشِّرَع الدينية (منها شرعة القديس أوغسطين، وشرعة أنطونيوس الكبير، وشرعة القديس باخوم، وشرعة القديس باسيل، وشرعة القديس بيندكت)، وفي العصر الحديث، بالشرع القانونية للطوائف المسيحية التي تحوي أحكام الحياة الرهبانية. يسمى الذين يعيشون حياة رهبانيّة رهبانًا وراهبات. كلمة

[1] معنى رهبنة في معجم المعاني الجامع

راهب monk في الإنكليزية مشتقة من الإغريقية μοναχός (موناكس، «راهب») وهي مشتقة من μόνος (مونس) أي وحيد. [1]

لم يكن الرهبان يعيشون في أديرة أول الأمر، بل كانوا يعيشون وحيدين، وهو ما توحي به كلمة مونس. فلمّا ازداد عدد الرهبان الذين يعيشون في البرية، بدؤوا يتجمعون وينظمون أنفسهم حسب تنظيمات تجمعات الرهبان القريبة. سريعًا، شكّل الرهبان مجتمعات لتوسيع قدرتهم على المحافظة على حياة زاهدة. [2] **يقول مؤرخ المسيحية روبرت لويس ولكن، «أسس الرهبان مؤسسة من أثبَت المؤسسات المسيحية، بتشكيلهم بنية اجتماعية بديلة في الكنيسة»[3]. يسكن الرهبان عمومًا في أديرة، فبعضهم يعيش في مجتمع، وبعضهم منعزلًا.**

حياة الرهبان:

الفكرة الأساسية للرهبانية باختلاف أشكالها هي العزلة أو الانسحاب من العالم أو من المجتمع.

الحياة الرهبانية مستقلة عن «الأنظمة الدينية» كالإخوان friars ورجال الدين النظاميين والتجمعات الدينية الأحدث. تختص هذه الأخيرة بأعمال خاصة لأجل هدف معين، كالتبشير أو التعليم أو تحرير

---

[1] هاربر ، دوغلاس. "راهب". قاموس علم اشتقاق الألفاظ، كوربيشلي ، مايك. عاش الرهبان حياة صارمة ومنظمة للغاية. اشتملت الحياة في الدير على الصلاة والعمل اليدوي ، وهذا عزز فكرة الكرامة والعمل. أطلس ثقافي للشباب في العصور الوسطى طبعة منقحة. نيويورك: حقائق في ملف ، شركة 2004 ، صفحة 38.

[2] رولينج ، مارجوري. الحياة اليومية في العصور الوسطى. لندن: Jarrold and Sons Ltd، 1968 ، الصفحة 125

[3] . ويلكن ، روبرت لويس (27 نوفمبر 2012). الألف سنة الأولى: تاريخ عالمي للمسيحية. نيو هيفن ولندن: مطبعة جامعة ييل. ص. 100

الأسرى، وهي أشغال تحوز على حصة كبيرة من أنشطتهم. وإن كان الرهبان انخرطوا في أعمال متنوعة في طبيعتها، فإن العمل على كل حال ليس من جوهر الحالة الرهبانية.[1] للرهبان والإخوان أدوار مستقلة تمامًا. في القرن الثالث عشر، «...تأسست أنظمة جديدة لتعليم الدين المسيحي» لأن الأديرة تراجعت.[2]

كلا الطريقتين لعيش الحياة المسيحية منظمة بالقوانين الكنسية حسب كل طائفة (كالكنيسة الرومانية الكاثوليكية، والأرثوذكسية الشرقية، والأنغليكانية، واللوثرية). لا تشمل الحياة الرهبانية المسيحية دائمًا الحياة المجتمعية مع مسيحيين من نفس العقلية. تنوعت الرهبانية المسيحية كثيرًا في أشكالها الظاهرية، لكن بالعموم لها نوعان:

(أ) المنعزلة أو الناسكة

(ب) المجتمعية أو المدنية. يمكن أن نقول إن القديس أنطونيوس الأب هو مؤسس النوع الأول والقديس باخوم هو مؤسس الثاني.[3]

تقوم الحياة الرهبانية على دعوة السيد المسيح:«كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في

---

1 هادلستون ، جيلبرت. "الرهبنة". الموسوعة الكاثوليكية. المجلد. 10. نيويورك

2 ماكدونالد ، فيونا. كيف ستعيش في العصور الوسطى ؟. نيويورك: فرانكلين واتس ، 1995 ، صفحة 37.

3 الرهبنة المبكرة" ، دير الروح القدس 2013-07-

السماوات هو كامل.»[1]. هذا المثال، الذي يسمى أيضًا حالة الكمال، يمكن أن نراه في الفيلوكاليا، وهو كتاب يجمع أقوالًا رهبانية. وطريقة الرهبان في إنكار الذات لها ثلاثة عناصر قائمة على ثلاث وصايا إنجيلية:

-الفقر
- والعفة
- والطاعة.

الأدلة الكتابية:

عاشت مجموعات القرن الأول كالأسينيين والثيرابوطيين أساليب حياة يمكن أن تكون مقدمات للرهبانية المسيحية.[2]

استلهمت الرهبانية المسيحية المبكرة نماذج النبي إيليا ويوحنا المعمدان، اللذين عاشا وحيدين في الصحراء، وفوق هذا كله على قصة صراع يسوع للشيطان في الصحراء، قبل خدمته العامة.

المسيحية المبكرة

لم يترك الزهّاد المسيحيون الأوائل أي آثار أركيولوجية مؤكدة، إلا تلميحات في الوثائق المكتوبة. مجتمعات العذارى اللاتي ركزن حياتهن على المسيح موجودة على الأقل منذ القرن الثاني. وكان أيضًا زهّاد

---

[1] (متّى 5:48)

[2] يوسابيوس القيصري ، في كتابه التاريخ الكنسي ، يصف Therapeutae فيلو كأول رهبان مسيحيين ، محددًا تنازلهم عن الملكية والعفة والصوم والحياة المنعزلة مع المثل الأعلى للرهبان المسيحيين. الأستاذ قسطنطين Scouteris ، 2021-01-

منفـردون، يسـمّون «العبّـاد»، وقـد عاشـوا لا فـي الصحراء لكن على أطراف الأماكن المسكونة، فهم لـم يزالوا في العالم لكنهم زاهدون ويحاولون الاتحاد مع الله. كان الرجل من زهّاد ما قبل مجمع نيقية، يعيش حياة مفردة، ويصوم صيامًا طويلًا وكثيرًا، ويترك استهلاك اللحم والخمر، ولا يعول نفسه إلا بحرفة صغيرة، ولا يبقي من ماله إلا الضروري الضروري لبقائه، ويعطي الباقي للفقراء.[1]

ظهر شكل من «الرهبانية المبكرة» في القرن الثالث عشر بين مجموعة من المسيحيين السريان الذين شكلوا حركة «أبناء العهد». يرى باسيل القيصري أن الأرثوذكسية الشرقية مشرّع رهباني مؤسس، ومثال على حياة آباء الصحراء.

الرهبانية المنعزلة:

ناسك

الرهبانية المنعزلة أو رهبانية العزلة، هي الانسحاب التام من المجتمع. كلمة المنعزل **eremitic** مشتقة من الكلمة الإغريقية إرموس وتعني الصحراء.[2] أطلَق هذا الاسم القديس أنطونيوس المصري، الذي ترك الحضارة خلفه وعاش على جبل مصري منعزل في القرن الثالث. ولئن لم يكن هو أول ناسك مسيحي، فهو يعتبر هكذا لأنه أول واحد معروف.[3]

---

[1] باخوس ، فرانسيس جوزيف. "الرهبنة الشرقية قبل خلقيدونية (451 م)". الموسوعة الكاثوليكية. المجلد. 10. نيويورك

[2] "الرهبنة المثلثية". **Encyclopædia Britannica**

[3] . بتلر ، إدوارد كوثبرت. "القديس أنتوني". الموسوعة الكاثوليكية المجلد. 1. شركة روبرت أبليتون

بول الناسك، هو أول راهب مسيحي معروف في التاريخ. في القرن الثالث، عاش أنطونيوس المصري (252–356) ناسكًا في الصحراء واكتسب أتباعًا عاشوا ناسكين أيضًا قريبًا منه لكن ليس في مجتمع واحد معه. هذا النوع من الرهبانية يسمى نسكيًّا.
وطريقةٌ أخرى ليصبح المرء راهبًا منعزلًا هي الاعتزال. بدأ هذا لأن نساءً أردن أن يعشن حياة منعزلة ولكن لم يكن قادرات على العيش وحدهن في البرية. لذا يذهبن إلى أسقف ليستأذنّه حتى يقيم لهن بعد ذلك شعيرة التطويق أو التسييج. بعد إكمال التسييج تعيش المعتزلة وحدها في غربة لها عادة نافذة تنفتح على الكنيسة حتى تتلقّى التناول أو القربان المقدس وتشارك في خدمات الكنيسة. وكان في الغرفة نافذتان أخريان يمرّر منهما الطعام ويطلب من ورائهما الناس النصيحة. [1]
كانت جوليانا النورويتشية أشهر معتزلة، وقد عاش آباء الصحراء الأوائل ناسكين، لكنهم لم يكونوا منعزلين ولدت في إنكلترا 1342.[2]
الرهبانية المجتمعية.
تمامًا، بل كانوا يعيشون قريبًا بعضهم من بعض، ثم نشأت مجتمعات قليلة الترابط في هذه الأماكن، كصحراء نيتريا وصحراء سكيت.

1 "مرساة". موقع العصور الوسطى
2 غاردنر ، إدموند. "جوليانا نورويتش". الموسوعة الكاثوليكية المجلد. 8. شركة روبرت أبليتون

أسس القديس ماكاريوس مجموعات مفردة من الخلايا كالتي في كيليا، عام 328. كان هؤلاء الرهبان معتزلين، يتبعون مثال القديس أنطونيوس الرهباني. عاشوا كل واحد على حدته، وكانوا يجتمعون للعبادة الجماعية في السبت والأحد فقط.[1]
في عام 346 أسس القديس باخوم أول دير مجتمعي مسيحية في مصر.

في دير الدبة في مصر العليا، قريبًا من عام 323 للميلاد، قرر باخوم أن يجمع تلاميذه في مجتمع منظم يعيش فيه الرهبان في أكواخ أو غرف مفردة، ولكن يعملون ويأكلون ويعبدون في مجال مشترك. كانت النية جمع زهّاد أفراد أتقياء معًا، ولكنهم غير قادرين على العيش وحيدين في الصحراء، كالقديس أنطونيوس. سميت هذه الطريقة التنظيمية الرهبانية «مجتمعية». في اللاهوت الكاثوليكي، تعتبر هذه الطريقة المجتمعية أرقى بسبب الطاعة والمسؤولية فيها. يسمى رأس الدير «الأب»، من السريانية «آبا»، وبالإنكليزية Abbot.
ثمّ تشكلت قواعد للحياة العامة، وتأسست أديرة مستقلة للنساء وللرجال. قدّم القديس باخوم شرعته الرهبانية للحياة المجتمعية بإعطاء كل راهب الغذاء والكساء نفسه. أطاع رهبان الأديرة الأوامر الموجهة إليهم لخير الدير العام. ومن هذه الأوامر نسخ الكتب.

[1] "Monasticism" ، كنيسة البشارة للروم الأرثوذكس ، ناسو ، جزر الباهاما 25 أكتوبر

وصف القديس باخوم هذه الطاعة بأن تقواها أعظم من تقوى الصيام والصلاة.[1]

نيافة الأنبا مكاريوس الأسقف العام :كتاب شبابنا وفكر الرهبنة

- **كتاب لماذا يقبل شباب الأقباط على الرهبنة لنفس المؤلف**
- **دليل الأديرة، دليل الرهبان، دليل رئيسات أديرة الراهبات.**

ومن المدافعين عن الرهبنة:

"الرهبنة حياة ملائكية وطريق الكمال المسيحى ، قوامها البتولية والطاعة والفقرالاختيار ،وهدفها خلاص النفس والاتحاد بالمسيح فى البتولية ،سمو بالغرائز والعواطف نحو الخالق الفادى ، وتكريس للحواس لمحبة القدوس وتفرغ للعبادة والتامل والتسبيح كطقس الملائكة فى الطاعة اتضاع ومسكنة لاذلال الكبرياء الذى للذات المتعالية وتدريب على طاعة الله والانقياد للروح القدس بتدريب النفس على طاعة أب الاعتراف والاستماع الى كلامه فى تلمذة روحية صادقة

[1] **"الموقر باخوميوس الكبير ، مؤسس الرهبنة Coenobitic" ، الكنيسة الأرثوذكسية في أمريكا**

وفى الفقر الاختيارى زهد فى امجاد الدنيا ،وتذوق لحلاوة المسكنة بالروح وتجرد عن الامور المحسوسة وانطلاق الى العالم الروحانى ،وتجرد من سلطان المادة

- الرهبنة هى على مستوى انجيلى هى طريق واضح المعالم للكمال المسيحى حيث يتفرغ العابد لتقويم اعوجاج النفس وللتعمق فى معرفة حق الانجيل والتدريب على السلوك حسب الوصية الانجيلية .
- والرهبنة هى حلقة الاتصال بين الكنيسة المجاهدة والكنيسة المنتصرة اذ يعيش الرهبان كبشر سمائيين او كملائكة أرضيين "اعطيت الذين على الأرض تسبيح السيرافيم"[1]

- ما هي الرهبنات الكاثوليكيّة؟ وما هي أهمّ رهبنة بينها؟
الجواب: منذ بداية المسيحيّة، عاش مسيحيّون الإنجيل باشدّ تركيزٍ ممكنٍ، وأرادوا أن يكونوا بكلّيّتهم لله. ومن هنا ولِدَت الرهبنات.
الرهبنة الكاثوليكيّة هي حالة حياةٍ تقرّ بها الكنيسة من أجل الرجال (نسّاك، كهنة، رهبان) أو النساء (ناسكات، راهبات) الّذين يلزمون أنفسهم أمام رؤسائهم الشرعيّين بأن يتبعوا المسيح جذريًّا من خلال «النصائح الإنجيليّة» في مسألة الفقر، أي التخلّي عن كلّ امتلاكٍ شخصيّ (الملكيّة الجماعيّة)، والعزوبيّة أي التخلّي عن الزواج والإنجاب (العفّة)، والطاعة للرؤساء في الرهبنة.
شاع في اللغة العربيّة إطلاق لقب راهب أو راهبة على مَن يعيش هذه الحياة. ولكن الكنيسة بعد المجمع الفاتيكاني الثاني صارت تفضّل التعبير «الحياة المكرّسة». وبدل أن تتكلّم على مفهوم الحالة، صارت تتكلّم على المؤسّسة(ات)؛ وهكذا تمكن الإشارة

[1] شبكة المعلومات الدولية

إلـى مختلـف الرهبنــات (نسّــاك، رهبنــات تســوّليّة، مؤسّســات رهبانيّــة، مؤسّســات علمانيّــة، حبســاء) بـالتعبير نفســه والتعامـل معها بنفس التعبير.

والتصـريح الأساســيّ للمجمــع الفاتيكــانيّ الثــاني هــو «دســتور عقائـديّ فــي الكنيســة» (نــور الأمــم 43-47): الحيــاة بحســب الرهبنــات هــي «حيــاة مكرّســة». والتكــريس لله يــتمّ بــالالتزامٍ بالنصائح الإنجيليّة الثلاثة ويتمّ من خلال إبراز ثلاثة نذور علانيّةً، وقضاء الحياة في مؤسّسةٍ مشهّرة بأنّها حياة مكرّسة.
إنّ تكـريس الحيــاة هـو جـواب علـى دعـوةٍ خاصّــة، وكـذلك فـإنّ التكريس هو عمـل الله، ومـن حيث هو عمـل بشـريّ، فإنّـه جواب على دعوةٍ تمّ نَيلها.

والـهدف هـو الحـبّ الكامـل. وأصـل العنصـر البنّــاء الأساسـيّ لكـلّ روحـانيّـةٍ رهبانيّـة هـو السـعي إلـى الله فـي جماعـةٍ روحيّـة تتميّـز بالزهـد وقـراءة الكتــاب المقـدّس وتفسـيره، وكـذلك تسـبيح الله جماعيًّا.
ويُعطى الإرشاد، بالإضافة إلى الإنجيل ومثـال الجماعات الأولـى، من خلال إنتاجٍ أدبيّ ينبع من حياة الرهبنة نفسها:
قواعد، رسائل، مقالات، إلخ.
وتتأثّر روحانيّة كلّ رهبنة تأثّرًا شديدًا بشخصيّة مؤسّسـها وأيّام التأسيس.

ينتمـي إلـى الرهبنــات أو مجموعــات الرهبنــات الأثــر أهمّيّــةً فــي الكنيسة الكاثوليكيّة:
الرهبنــات التأمّليّــة: البنــديكتان، السيسترســيان، الأغســطينيّون، الترابيست، الشارترو، الرهبنات الإسعافيّة.

الرهبنـــات التســـوّليّة: الـــدومينيكان، الفرنسيســـكان، الكرمليّـــون، النسّاك الأوغسطينيّون.
المجامع الإكليريكيّة: اليسوعيّون، إخوة المدارس المسيحيّة لجان باتيست دو لا سال، الباسيونيّون، الريدمبتوريّون.
والرهبنة الأرسالية : رهبان وكهنة كومبوني المرسلين وراهبات كومبوني المرسلات وهم رهبنة عالمية.
جماعات الكهنة بدون نذورٍ علنيّة:

العازريّون، السلبيسيّون، الآباء البيض، البالّوتين، جمعيّة الكلمة الإلهيّ. المؤسّسات العلمانيّة.
إلى جانب كثير من الرهبنـات الرجاليّـة هنـاك مكـافئ نسـائيّ مثـل البنـــديكتيّات والترابيســـتين والـــدومينيكانيات والفرنسيســـكانيات وراهبات مار منصور وراهبات ماريّا وارد، إلخ.
فـــي الســـنة 2000، بلـــغ عـــدد أعضـــاء الرهبنـــة فـــي الكنيســـة الكاثوليكيّة نسبة 0,21 % من عدد الكاثوليك، أي أكثر من مليون شخص، ومن بين المؤسّسات الدينيّة الكاثوليكيّة بأشكالها هنـاك 75% من الرهبنات نسائيّة.
وكمثالٍ على نصّ النذور:
"أنـا الأخـت (فلانـة)، أعـد الله القـدير، أمـام الإخـوة والأخـوات الحاضـرين هنـا، بـأن أعـيش دومًـا فـي العفّـة المكرّسـة والفقـر والطاعة، بحسب قوانين رهبنة (كذا) ... وأضع نفسي بكلّ قلبي تحت تصرّف هذه الجماعة الرهبانيّة من أجل رسالتها في الرسالة والمحبّة لخدمة الله والكنيسة. فليقبل الله الثالوث نذري، واجعلني يا ربّ قادرة ومستعدّة على أن أحبّك أفضل دومًا".

- قصة حياة المصلح الانجيلي مارتن لوثر:

انقسم الجميع بين من هم ضده ويطلبون موته وبين من هم معه وأرادوا مساعدته حيث التفوا حوله واختطفوه إلى قلعة فارتبورج أما المجلس الإمبراطوري فقد قرر قتله وإدانته وكان لوثر هنا يسطر سطرا جديدا في تاريخ الكنيسة لكن وجوده في القلعة كان يقييد حركه ونشاطه ولم يجد سوى الله معينا له فبدا بترجمة العهد الجديد إلى الألمانية وسميت ترجمة (سبتمبر 1522(
والعهد القديم لأنه يريد لكل الشعب أن يقرا الكتاب المقدس وخرج ليستعين بالناس العاديين وألفاظهم لتكون الترجمة مألوفة للجميع وكان يحب الموسيقى والترنيم لذا كتب عدة ترانيم ،من أشهرها المبنية على مزمور 46(حصن منيع إلهنا لنا)لان قناعته أن الله هو حصنه المنيع و ملجأه الحقيقي .ذاعت تعالمه وانتشر مذهبه في ألمانيا وسويسرا رغم محاربة الكنيسة الكاثوليكية له والحكام له ..الذين حاولوا وضع قوانين تحد حركة الإنجيليين وتعوق أفكارهم ولكن زعماء ونبلاء الإنجيليين قالوا كلمتهم الشهيرة
((we protestأي أننا نحتج على الظلم والقوانين الجائرة وهنا ظهرت كلمة البروتستانتية التي تهدف لنشر حرية الفكر الديني وبعدها اخذ لوثر خطوة جريئة لأنه تزوج من راهبة تركت الرهبنة واعتنقت المذهب البروتستانتي وهنا حاولوا استغلال هذه النقطة لمحاربته وتشويه سمعته ولكنه دافع عن نفسه بأنه هذا الزواج علاقة شرعية لا تشوبها شائبة وهو أفضل من العلاقات المشبوهة التي كان يعيشها بعض الرهبان والراهبات في ذلك الوقت وقال قولته(تزوجت لأجعل الملائكة تضحك والشياطين تبكي)..عاش لوثر آخر سنواته بهدوء حتى مات في 18فبراير 1546/

وكان شرارة الإصلاح في الفكر والكنيسة والتاريخ وهنا لابد من التركيز على مبادئ الفكر الإنجيلي الأربع المعروفة لدينا وهي

1.سمو سلطان الكتاب المقدس وحق كل مؤمن في قراءته وتفسيره

2.الخلاص بالإيمان وحده

3.كهنوت جميع المؤمنين

4.حرية الضمير المسيحي

وبجدر بنا القول أننا نحن الإنجيليين لانقدس لوثر ولا نعتبره ملكا بل هو مفكر وكل الكنائس تدرّس أفكاره ورسالته لتجديد الكنيسة من خلال الإنجيل وترى أن آثارها تتخطى الحواجز والفوارق بين الطوائف

وأننا لانعتبر لوثر سلاح نحارب من خلاله الطوائف الأخرى بل نحن جزء من مجتمع كبير نسعى لننمو إذ نكتشف أعماق ابعد لحياتنا معا...

لوثر كان إنسانا يعترف بخطيئته ويتقبل الانتقادات ويتحمس كإنسان ويتطرف كانسان هناك ظروف ساعدته وظروف أعاقته أو دفعته للتطرف

كما ألف مارتن لوثر كتاب حرية المسيحي وتحدث فيه عن عقيدة التبرير بالإيمان ..وان الله خلقنا بالنعمة أحرار وليس عبيد للشريعة ونحن كذلك يجب أن لانقع في خطا أننا معصومون عن الخطأ والكنيسة المصلحة يجب أن تصلح دائما من ذاتها وتنفتح وتقبل وتمتلك الفكر الخلاق دائم التجدد لان إلهنا مبدع خلاق له المجد إلى الأبد آمين"[1]

---

[1] من كتاب أضواء على الإصلاح الإنجيلي..
د.ق فايز فارس

- سلسة تفسير قانون الرهبنة الثالثة العلمانية الفرنسيسكانية التي وضعها القديس فرنسيس عام 1221

- بند 2 :
داخل هذه الأسرة تحتل المنظمة الفرنسيسكانية العلمانية مكانة خاصة , وهي عبارة عن اتحاد عضوي لكل الأخويات الكاثوليكية المنتشرة فى العالم والمفتوحة لكل أنواع المؤمنين والتي فيها الأخوة والأخوات مدفوعين من الروح القدس لبلوغ كمال المحبة فى حالتهم العلمانية , يتعهدون بالنذور أن يعيشوا الإنجيل حسب طريقة القديس فرنسيس وبواسطة هذا القانون المعتمد من الكنيسة.

التفسير:
مكانة خاصة لرهبنة العلمانيين :
لقد فكر القديس فرنسيس فى تكوين تيار علماني في الكنيسة منذ حوالي 800 عاماً قبل المجمع الفاتيكانى الثاني , وبإلهام الروح القدس لم يكن هدف فرنسيس مجرد تأسيس رهبانيات في الكنيسة بل إعطاء شكل عملي فعّال لجموع العلمانيين المؤمنين ليستطيعوا الوصول إلى نفس هدف الرهبان والراهبات فى ظروفهم المهنية والمدنية بذلك نقل القديس فرنسيس حياة القداسة من داخل الأديرة إلي المنازل والطرقات , فالله فى كل مكان وكل إنسان

ما هي الرهبنة الفرنسيسكانية العلمانية ؟

الأخوية الفرنسيسكانية العلمانية , أو الرهبنة الثالثة تتكون من أخويات منتشرة في كل أنحاء العالم .
القانون يعرفها بقوله :" وحدة تنظيمية لكل الأخويات المنتشرة فى كافة أنحاء العالم والمترابطة معاً بشكل رئاسي ويقال "الأخويات الكاثوليكية" لتمييزها عن الرهبنة الرهبنة الثالثة الفرنسيسكانية الإنجليكانية فى انجلترا , إننا نتكلم عن أخويات لا أشخاص وأفراد , فالقانون لا يتحدث عن ثالثيين منعزلين بل عن أخويات ذات أعضاء يسعون بنعمة الروح القدس للوصول إلى كمال المحبة.
ما هي الدعوة ؟
يسعون بنعمة الروح القدس أي إلي تلبية نداء الدعوة الإلهية ومن يدخل الرهبنة الثالثة لهدف غير هذا يفتقد إلى الروحانية الفرنسيسكانية ولا يفهمها.
فالدعوة نداء من الله لا اعتناق شكل معين من الحياة وكل فرد يتجاوب مع هذا النداء يكون مدعو إلي الحياة الإنجيلية وفى تاريخ الخلاص يعني نداء الله عماداً خاصاً فى المخطط الإلهي فهناك الدعوة النبوية كدعوة داوود , والدعوة للحياة المسيحية أي لمهمة خاصة في الكنيسة كدعوة الرسل والقديس بولس , وهناك دعوة عامة للجميع إلي الخلاص بالمعمودية , ودعوة خاصة للتكريس على المستوى الروحي الشخصي .
كيفية ادراك الدعوة:
ادراك الدعوة يعني التوصل إلي معرفة ما يريده الله من شخص ما.

ـ العلاقة الأولى هي الميل إلي مهمة أو وظيفة ما فالله يتكلم بواسطة الظروف الصادقة للحياة التي تتحد في أي شخص (دعوة

داخلية) لذلك لابد من ممارسة الصلاة وطلب الارشاد من أشخاص يتصفون بالحكمة والخبرة لادراك هذه الدعوة.

- العلاقة الثانية هي الشعور بالفرح الداخلي والراحة والاطمئنان , فهذا يعني أن الله هو الذي يدعو.
- هناك علامات خارجية للدعوة وهي تقدير أعضاء الأخوية وحكمهم ثم الموافقة الرسمية على الانضمام للأخوية التي تعطي اللمسة الأخيرة للدعوة .

- الدعوة الفرنسيسكانية-
-هي الاجابة "بنعم" علي نداء الله لحياة إنجيلية على الطريقة الفرنسيسكانية , ومنذ تلك اللحظة يحسب للمدعو المجهود الذي يبذله وكله ثقة بأن الله يساعده للوصول إلي الأهداف التي تحمل مسئولية الوصول إليها في حياته.
-ونجد هنا فرحاً متبادلاً بين الله الذي يحقق إرادته في حياة المدعو , والمدعو الذي يشعر بعناية الله الخاصة به.
- الوصول إلي كمال المحبة-:
-إن هدف تجمع المؤمنين في الأخويات الفرنسيسكانية أو غيرها هو الوصول إلي جوهر الإنجيل وروحه في حياتنا الخاصة.
-هدف العلمانيين الفرنسيسكان هو تقديس الذات , ولكن أين؟؟؟ ,, وكيف ؟؟؟
1 - في الحياة الشخصية ,, أي أن كل مؤمن كاثوليكي لا يمنع من تحقيق رغبته في الانضمام إلي الرهبنة الثالثة للاستفادة من فرصها الروحية المتعددة.
-الحالة الشخصية يقصد بها :
الحياة المدنية , المهنة أو الوظيفة , المتزوجون وغير المتزوجين , الأمراء , والبرلمانيون , الكهنة , والساسة ,

والرجال , والنساء , والشباب والبالغون , إلخ,لإنه ليس من المستحيل لهؤلاء جميعاً الوصول إلي حياة القداسة.

2 -بواسطة المهنة ,,,, فالحرفي , العامل ,, الطبيب , والمعلم , والمحامي ,والتاجر , و السائق , وغيرهم من الذين يمارسون هذه المهن والوظائف يكرسون مهنتهم لله تعالي.

من ينذر حياته على طريقة القديس فرنسيس يحيا حياة فرنسيسكانية أي حياة الإنجيل والنذور هي تجديد مستمر لوعود المعمودية وتكريس دائم لله ,فبالنذور يتعهد المؤمن الذي يحيا في العالم باستعمال الوسائل التي يحددها القانون ليطبق تعاليم الإنجيل في حياته علي مثال فرنسيس.

- مسئولية علنية ، ليس بالنذر وعداً شخصياً مستتراً , بل هو وعد علني أمام أناس لهم سلطة كنسية ممثلين في الكاهن ، والكنيسة تقدم المساعدة الروحية والأدبية للوصل إلي الأهداف الموعودة.

- مسئولية من طرف الله تجاه من يعتنق هذه الحياة لا يتحدث عن التزامات متبادلة فهناك كرم الله ورحمته لمن يلبي النداء كما قال الله : " سأكون معك " لموسى والرسل

-الإيمان والثقة في محبة الله الذي أحبنا أولاً واختار البعض منّا من خلال طريقة القديس فرنسيس هذه الثقة يجب أن تدفع الفرنسيسكاني العلماني إلي تجديد وعوده التي هي عمل إيمان ومحبة ونعمة .

قانون معتمد من قبل الكنيسة-:

- جميع صيغ القانون الفرنسيسكاني للعلمانيين تم اعتمادها منذ عام 1221 على يد أكثر من 40 باب.[1]

[1] صيغ القانون الفرنسيسكاني للعلمانيين تم اعتمادها منذ عام 1221 على يد أكثر من 40 باب

وقد تحدثنا في عن نشأة التيار الصوفيّ داخل المسيحيّة في مقابل الروحانيّة الكتابيّة أو الحياة الروحيّة التي يقدمها لنا الكتاب المُقدّس. ولكن قبل تناول أهم أوجه الاختلاف بين التصوّف المسيحيّ والروحانيّة الكتابيّة، لننظر إلى أوجه التشابه بينهما. فما أيسر الإشارة إلى نقاط ضعف الصوفيّة الآن، ولكن قد يُساعدنا النظر إلى التشابه بينهما، على الأقل، على فَهم لماذا ينجرف البعض بعيدًا عن الروحانية الكتابيّة نحو التصوّف. فقد نجد الإجابة في التشابه بينهما والذي قد يظن معه البسطاء أنه الشيء ذاته.

- ما هي بعض أوجه التشابه بين التصوّف المسيحيّ والروحانيَّة الكتابيّة؟

أولًا: يشترك المتصوّفة المسيحيون مع سائر المؤمنين بعقيدة الثالوث. فبخلاف سعي بعض التيارات الأخرى التي تدّعي المسيحيّة (مثل المورمون وشهود يهوه) إلى أنها تَتَبنى إما الآريوسية أو تعدد الآلهة، علينا أن نُقَدر التزام التيارات الصوفيّة المسيحيّة بعقيدة الثالوث. فهم يؤمنون بالآب صاحب المبادرة والسُلطان، والابن مُتمم الخلاص، والروح القُدُس مُطبق الفداء.

- يدرك المسيحيّ الصوفيّ أن الله مُتسامٍ جدًا وقريب في آن واحد. بالرغم مِن انتقادنا لعدم اتزان بعض معتقداتهم اللاهوتيّة، إلا أنهم يؤمنون بأن الله المتسامي له مُطلق السلطان على كل شيء، وأنه كذلك دائم الحضور وسط شعب عهده.

- يدرك المسيحيّ الصوفيّ أن رؤية الله هي الخير الأعظم. فجميعنا نشتاق إلى يومٍ سنرى فيه الله كما هو. [1]، وجهًا لوجه بدلًا مِن أن نراه كما في مرآة، وسنعرفه معرفة كاملة، تمامًا كما عُرِفنا[2]. لا يكتفي المسيحيّ الصوفيّ بانتظار حدوث ذلك في المستقبل، لكنهُ يرغب بشدة في اختبار كل ملء الله .[3] والعمق الأبدي لبهجة الوجود في محضره الآن.[4].

كما يشتاق المسيحيّ الصوفيّ بحق أن يكون في اتحاد مع الله وأن يصير مع إخوته "شُرَكاءَ الطَّبيعَةِ الإلهيَّةِ" [5]ولا يُمكن لأحد أن يلومه على سعيُه باجتهاد لنوال الخير الأعظم في كل الأرض.

- يدرك المسيحيّ الصوفيّ ضرورة المقابلات الشخصية والخاصة مع الله باعتبارها عنصُرًا أساسيًا مِن عناصر الحياة المسيحية. وعلى الرغم مِن نقد الذي سنقدمه لاحقًا لمعتقداتهم، يجب أن نمتدح جديتهم تجاه وصية يسوع: "وأمّا أنتَ فمَتَى صَلَّيتَ فادخُلْ إلَى مِخدَعِكَ وأغلِقْ بابَكَ، وصَلِّ إلَى أبيكَ الّذي في الخَفاءِ"، ويؤمنون بوعده: "فأبوكَ الّذي يَرَى في الخَفاءِ يُجازيكَ عَلانيَةً" [6]

- يشترك معنا المسيحيّ الصوفيّ في إدراك أهمية التشديد على القلب. فقد نمتلك المعرفة والتصديق، دون الثقة. قد نمتلك معتقدات عظيمة ونؤمن بأشياء عظيمة عن الله، ولكن سنظل في حالة نقص روحيّ ما لم نتقدم إليه بثقة كاملة، ساعيين إلى أن نُحبه مِن كل كياننا، وعقلنا، وروحنا، وقوتنا، وقلبنا.

---

[1] **(يوحنا الأولى 3: 2)**
[2] **.(كورنثوس الأولى 13: 12)**
[3] **(أفسس 3: 19)**
[4] **(مزمور 16: 11)**
[5] **(بطرس الثانية 1: 4).**
[6] **(متى 6: 6).**

- يؤمن المسيحيّ الصوفيّ أنه يوجد عناصر سرائرية في اللقاء مع الله قد تتحدى التفسير العقليّ. وهو يبتهج بما لا يمكن استيعابه بالكامل، ويقف في اندهاش أمام "غِنَى المَسيحِ الّذي لا يُستَقصَى" [1]ومحبة الله "الفائقَةَ المَعرِفَةِ" [2]وطُرقه التي لا يُمكن استقصائها.[3]. كما يفرح بحقيقة أنه لا يقدر أحد أن يعرف فكر الرب بالكامل. [4]

- يؤمن المسيحيّ الصوفيّ أن مقابلته مع الله لا يُمكن أن تنبع مِن ذاته. فالأمر لا يقع تلقائيًا، بل أن هناك جهد عليه القيام به. فالمسيحيّ الصوفيّ، حتى وإن كان تطبيقه ناقصًا، يؤمن أنه يجب أن تحدث له استنارة أو يقظة حتى يتسنى له إدراك الحقيقة الإلهيّة. كما أنه يسعى نحو بهجة الاستنارة، ويفعل كل هذا ليعرف الله ويكون معه – حتى ولو ضحى بالكثير من وقته، وموهبته، وأثمن ما لديه.

في ضوء ذلك، يوجد العديد مِن الجوانب الجديرة بالثناء في التصوّف المسيحيّ، خاصة فيما يتعلق بالاشتياق والجوع نحو الله. ولكن لسوء الحظ، يوجد الكثير مِن القصور في الممارسات والمعتقدات اللاهوتية مما يُظهر أن المسيحية الصوفية لا ترتقي إلى الصورة الكتابية للروحانية. وهذا ما
إن الهدف من ايجاد وتأسيس هيئة ائتلاف الإنجيل هو إعداد وتجهيز الجيل القادم من المؤمنين والرعاة وقادة الكنيسة لصياغة حياة وخدمة عملية مركزها الإنجيل.

التصوف المسيحي يشير إلى تطور الممارسات والنظريات الصوفية داخل المسيحية.[5] كثيرًا ما كان متصلًا مع اللاهوت التصوفي،

---

[1] **(أفسس 3: 8)**
[2] **(أفسس 3: 19)**
[3] **(رومية 11: 33)**
[4] **.(رومية 11: 34).**
[5] **جيلمان ، جيروم ، "التصوف" ، موسوعة ستانفورد للفلسفة (إصدار صيف 2011)**

وخاصًة في التقاليد الكاثوليكية والأرثوذكسية الشرقية. السمات والوسائل التي يتم دراسة التصوف المسيحي فيه تمارس عن طريق مجموعة متنوعة من الرؤى ومنتشي اتحاد الروح الصوفية مع الله مع التأمل من الكتاب المقدس (أي القراءة الإلهية).

سنتتناولها من خلال ممارسة الحياة الداخلية والروحية داخل التقاليد المسيحية.

يعود التصوف المسيحي إلى القرون الميلادية الخمسة الأولى، عندما ظهرت مجموعة من الروحانيين المسيحيين ذكرهم التاريخ المسيحي بعد ذلك على أنهم معلمو اللاهوت الروحي وهم أوريغانوس، وأنطونيوس، وباسيليوس الكبير، وغريغوريوس أسقف نيصص، وغريغوريوس الثيؤلوغوس، وأمبروز وأوغسطينوس. هؤلاء السبعة هم أصحاب أغلب نصوص العبادة اللاهوتية والشروحات الروحية، وهم أول من بدأ التصوف المسيحي من خلال القراءة الروحية والتأويل الرمزي والمجازي للنص المقدس.[1]

شهدت العصور الوسطى ازدهارًا للتصوف المسيحي والتنظير الموافق له رافقه ازدهار الرهبانيات الجديدة في العالم المسيحي، مع شخصيات بارزة مثل هايدغارد بنجين وبرنارد من كليرفو، تطوّر في العصور الوسطى التصوف الألماني بشكل خاص على يد الدومينيكان تتوج مع اللاهوت التصوفي ومن أبرز منظريه ميستر إكهرت. في عصر النهضة خلال الإصلاح الكاثوليكي أو الإحياء الكاثوليكي ازدهر التصوف الإسباني رافقه كتابات حول التصوف المسيحي، وتعتبر هذه الفترة عصر النهضة الأدبية للتصوف في التقاليد والثقافة الكاثوليكية. أبرز أعلام هذه الفترة القديسة تريزا الأفيلية، القديس يوحنا الصليب وفرنسيس بورجيا وإغناطيوس دي لويولا. كما وتعد أديرة جبل آثوس من مراكز التصوف المسيحي الشرقي.

المعالم والطقوس:

---

[1] التصوّف المسيحي ... العشق الإلهي على طريقة المسيح ؛ موقع رصيف 2

للتصوف المسيحي أربعة معالم رئيسية أولها التركيز على جوهر العبادة لا على شكلها، مع توجيه القلب لله وحده؛ وثانياً مركزية شخص المسيح كطريق يأتي من الله ليحمل الإنسان إليه ولا ينطلق من الإنسان ليتحرك ناحية الله؛ ثالثاً، محورية لاهوت الخلاص إذ تبدأ منه الروحانية، ورابعاً وأخيراً، ممارسة العبادة بفرح بسبب حضور المسيح بنفسه وسط العابدين كقائد وموجه لهم. ولا تختلف ممارسات الصوفية المسيحية كثيراً عن ممارسات الصوفية الإسلامية إذ إنها عبارة عن إبداع حبي لله وتعبير عن هذا الحب بكل الطرق والوسائل بداية من التعبير بالشعر، أو بحركات الجسد أو من خلال استخدام الموسيقى، على أن يكون هذا التعبير تحت إشراف شيخ متقدم وهو، في المسيحية، شخص له خبرات واسعة في التصوّف ويقود الصوفيين ويعلمهم الزهد في العالم، والاتكال على الله والصبر له. وتكون الخلوات التعبدية بالصوم والمجاهدة الطوعية تقرباً لله، وجميعها ممارسات ذكرت في كتب الصوفية وتناقلتها الأجيال المسيحية عبر العصور.

تنقسم الصوفية المسيحية إلى مدرستين غربية وشرقية، ويضيف أن الثانية منهما تتميّز عن الأولى بابتعادها عن أية بهجة دنيوية أكانت بهجة الحب أو بهجة الجنس أو المال وغيرها، كما تدعو إلى الزهد في الدنيا والتفرغ فقط لحب الله، ويأتي على رأس رواد هذه المدرسة متى المسكين.

في التصوف المسيحي يتم التواصل المباشر لله مع الإنسان، حسبما أعلن الوحي في المسيحية عن تجسد الله وظهوره كإنسان أو اتحاده بالإنسان، وفي التصوف المسيحي، يتم التواصل بين الإنسان والله عبر «الكلمة المتجسد» كعنصر التجلي الظاهر للباطن الإلهي المنزّه عن التواصل بذاته حسب علم اللاهوت المسيحي. ومن أشكال التصوف المسيحي «العبادة الحبية» والذي يتمثل بإبداعات الشعر والموسيقى في التصوف المسيحي، يشكّل في المسيحية بشكل عام «فقه العبادة الأكبر»، وهو متجذّر في طريقة العبادة عند المسيحيين الذين نرى في طقوسهم التسبيح والترنيم بالشعر واللحن بمصاحبة الحركات الطقسية، وعند الحركات الروحية الحرة يضاف الرقص، كما

عند الأرثوذكس في إثيوبيا. ويلتقي التصوف المسيحي من نواحٍ أخرى بنظيره الإسلامي في الإبداع الإنساني الأدبي والفني والفكري.

مدارس التصوف:

التصوف الإسباني:

إزدهر التصوف الإسباني مع حركة الإصلاح الكاثوليكي في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر في إسبانيا؛ وتعتبر هذه الفترة عصر النهضة الأدبية للتصوف في التقاليد والثقافة الكاثوليكية. وكان الهدف من هذه الحركة إصلاح الكنيسة هيكليًا وتجديد الكنيسة روحيًا. حاول الصوفيون الإسبان للتعبير عن أفكارهم عن طريق مجموعة متنوعة من الرؤى والكتابات والتأمل الروحي من الكتاب المقدس (أي القراءة الإلهية).[1]

كان لهؤلاء الكتّاب تأثير قوي على تطور اللغة الإسبانية خصوصًا في «العصر الذهبي للأدب الإسبانية». في بداية الفترة الأولى للعصر الذهبي الإسباني، كان ينظر إلى هذه المؤلفات باعتبارها خشنة اللغة. لكن بحلول نهاية العصر الذهبي الإسباني، حققت لغة التصوف الإسباني إلى ما يسمى «بأسلوب الباروك العالي الإسباني»، ولا يزال تأثير التصوف الإسباني في بعض أشكال الأدب الإسباني حتى الوقت الحاضر. تعد مؤلفات التصوف الإسباني أبرز أمثلة من للأدب الإسباني الديني، إذ كان كتاب التصوف الإسباني من الشخصيات المسيحية الأدبية الرئيسية، كما لعب الصوفيون الإسبان أيضًا أدورًا مهمة حركة الإصلاح الكاثوليكي. ألهمت كتاباتهم السعي في سبيل الله بدلاً من الالتزام بقانون القرون الوسطى، أدى إلى تأسيس أو إصلاح الجماعات الدينية.

المدرسة كالفرنسية للروحانية:

المدرسة الفرنسية للروحانيّة (بالفرنسيّة: **École française de spiritualité**) هي تيار تصوفي ذات تأثير عبادي روحاني رئيسي داخل الكنيسة الكاثوليكية من منتصف القرن السابع عشر حتى منتصف القرن العشرين ليس فقط في فرنسا بل في جميع أنحاء الكنيسة

[1] كتابات الأدب الأسباني الصوفية ، Encyclopædia B

الكاثوليكية في معظم أنحاء العالم. تطورت ثمار هذه المدرسة نتيجة الإصلاح الكاثوليكية مثل التصوف الإسباني واليسوعيون، وتركز مدرسة الروحانية الفرنسية على الحياة التعبدية وعلى تجربة شخصية مع يسوع والسعي من أجل القداسة الشخصية.[1] وكان لهذه الحركة في الروحانية الكاثوليكية العديد من الشخصيات الهامة على مر القرون، أبرزهم مؤسسها، الكاردينال بيير دي بيروللي (1575-1629).

التراث الثقافي:

في المسيحية تراث كبير من التصوف. ومن الكتب التي توضحه وتشرحه :

- "خلاصة التصوف المسيحي": للكاتب أدولف ، الصادر عام 1956،
- «بحث في اللاهوت الصوفي لكنيسة الشرق» لفلاديمير لوسكي
- «الرؤية الأرثوذكسية للإنسان/ الأنثروبولوجيا الصوفية» لعدنان الطرابلسي.
- «مقاربات في التصوف» لتيريزا الأفيلية.
- «الرياضات الروحية»: للأب فاضل سيداروس اليسوعي،
- «النشيد الروحي» للقديس يوحنا الصليب الملقب بـ«أمير التصوف المسيحي» نظراً لدوره الكبير في إثراء التصوف المسيحي بكلماته ومؤلفاته.
- «المعرفة الباطنية في الأرثوذكسية الشرقية» لبوريس مورافييف، --
- «إنجيل يوحنا/ قراءة صوفية» لمظهر الملوحي،

- «حياة الصلاة الأرثوذكسية» للأب متى المسكين وهو كتاب يجمع بين اللاهوت النسكي الرهباني والتصوف الروحاني العام،

---

[1] Deville, R. "The French School of Spirituality," Jesus Living in Mary: Handbool of the Spirituality of St. Louis de Montfort, pp. 437-457, (Montfort Publications, Litchfield, Connecticut, 1994)

- «موسوعة التصوف» لجون فرغسون، وتذكر هذه الموسوعة كل أعلام التصوف المسيحي، وتؤرخ لأهم الحركات والكتابات فيه.

التصوف والإسلام ،ومعنى التصوف:

إن الإسلام الحقيقي هو اتباع لما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الله سبحانه وتعالى والإيمان به مع الإذعان وقد نقلت إلينا تعاليم الإسلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق صحابته الذين أخذوا عنه الشريعة وكذلك أخذها عنهم الذين تبعوهم وسموا باسم التابعين وهم الذين صحبوا من صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد نقلت عنهم الوراثة النبوية العلمية فأخذ عنهم تابعو التابعين ودنوا الشريعة وتفرد بها العلماء فمنهم من تخصص بالحديث النبوي الشريف وأصبح من الحفاظ، وكذلك تفرد أناس بعلوم الآلة (النحو والصرف والبلاغة).

وتفرد بعضهم بعلم التفسير وتفرد بعضهم بعلم الفقه ، وتفرد بعضهم بعلم التربية السلوك والعمل، وقد دوت العلوم المنقولة وسميت بأسماء ومصطلحات: فسمي من اشتغل بالحديث الشريف (محدثا) ومن اشتغل بالنحو (نحويا)، ومن اشتغل بالتفسير (مفسرا)، ومن اشتغل بالفقه (فقيها)، ومن اشتغل بالتربية والسلوك في طريق الله (صوفيا).[1]

كل هذه الأسماء لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما هي إلا مصطلحات لأسماء العلوم الشرعية التي اء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكل من تسمى بواحد من هذه الأسماء وغيرها لا يخرج عن تسميته مسلما، وليس كل اسم أو وصف لم يأت في القرآن الكريم أو السنة الشريفة يحرم التسمي به بل جائز شرعا فقد سمى الله سبحانه وتعلاى المسلمين بأسماء عديدة (السابقين ، المقربين ، الصادقين ، الشهداء ، الصالحين ، الأولين ، الآخرين ، المخبتين..) فكل اسم ذكر له اشتقاق.

---

[1] الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية - (2 / 1)

فالشهداء (من الاستشهاد في سبيل الله) والمخبتين (من التواضع) والصادقين (من الصدق في أعمالهم وأقوالهم وسرائرهم مع الله) وكذلك في مجال المهن في جميع الأزمنة والعصور (كالمهندس والطبيب والحداد والنجار.. الخ) وكل واحد منهم سمي بذلك نسبة لعمله وكذلك نسبة إلى القبائل والأوطان مثل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (القرشي المكي) وسيدنا أبي ذرك (الغفاري المكي) وسيدنا بلال (الحبشي) وسيدنا سلمان(الفارسي) وسيدنا صهيب (الرومي) وكذلك فإن اسم التصوف قد كثرت فيه الأقاويل فمنهم من قال: (من الصفاء) حتى قال أبو الفتح البستي رحمه الله تعالى :

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا ... وظنه البعض مشتقا من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى ... صفا فصوفي حتى سمي الصوفي [1]

ومنهم من قال: إن التصوف نسبة إلى لبس الصوف الخشن، لأن الصوفية كانوا يؤثرون لبسه للتقشف والاخشيشان، وهو شعارهم.

* قال سيدنا الإمام الكبير أحمد الرفاعي قدس الله سره:
(قيل لهذه الطائفة الصوفية) واختلف الناس في سبب التسمية وسببها غريب لا يعرفه الكثير من الفقراء وهو أن رجلا من جماعة من مضر يقال لهم بنو الصوفة هو الغوث ابن مر بن أدبن طابخة الربيط كانت أمه لا يعيش لها ولد فنذرت إن عاش لها ولد لتربطن برأسه صوفه وتجعله ربيط الكعبة وقد كانوا يجيزون الحاج إلى أن من الله بظهور الإسلام فأسلموا وكانوا عبادا ونقل عن بعضهم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن صحبهم عُرف بالصوفي وكذلك من صحب من صحبهم أو تعبد ولبس الصوف مثلهم ينسبونه إليهم فيقال صوفي .[2]

وقيل (من الصف): لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه.

---

[1] إيقاظ الهمم في شرح الحكم العطائية للعلامة ابن عجيبة: ص6.

[2] الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية - (2 / 3)

ومنهم من قال (من الصُّفّة) لأن صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال تعالى {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم} وهذا يستقيم معنى لا اشتقاقا وأهل الصُّفّة هم الرعيل الأول من رجال التصوف فقد كانت حياتهم التعبدية الخالصة المثل الأعلى الذي اتهدفه رجال التصوف في العصور الإسلامية المتتابعة.
ومنهم من قال: من الصوفة لأن الصوفي مع الله تعالى كالصوفة المطروحة لاستسلامه لله تعالى .
ومنهم من قال : من الصفة إذ جملته اتصاف بالمحاسن وترك الأوصاف المذمومة.

وقيل: (من الصفوة) يعني أنهم صفوة الله من خلقه.
وقيل: كان هذا الاسم في الأصل صفوي واستثقل ذلك وجعل صوفيا
ومنهم من قال: لفظ كلمة التصوف أربعة أحرف:
التاء والصاد والواو والفاء . فالتاء: من التوبة ، والصاد: من الصفاء ، والواو من الولاية ، والفاء: من الفناء.

ومنهم من قال: إنه مشتق من (صوفة) وذلك أن قوما كانوا في الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله تعالى وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم من الناس سموا بالصوفية .
وقال الإمام القشيري رحمه الله : ليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر أنه كاللقب يعتبر اسم الصوفي اسما جامدا أو لقبا أطلق على هذه الطائفة يميزها عن غيرها.
وذكر المستشرق نيكلسون نقلا عن المستشرق (نولدكه): منكرا أن تكون الكلمة راجعة إلى أصل يوناني أو بوذي أو غيره.. لا يوجد دليل إيجابي يرجع افتراض أن الكلمة مشتقة من الأصل اليوناني (سوفوس) في حين أن نسبتها إلى الصوف يؤيدها نصوص من أقوال الكتاب المسلمين أنفسهم ... ثم ذكر (نولد كه) طائفة من الأدلة على كلامه وأنهم كانوا يلبسون الصوف وخصوصا منهم الزهاد.[1]

[1] الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية - (2 / 4)

التصوف ومنشؤه:

* قال الدكتور حسن إبراهيم حسن: "ومن المسائل التي شغلت أفكار المسلمين في ذلك العصر (التصوف) وذلك أن كثيرا من المسلمين الذين اشتهروا بالورع والتقوى لم يجدوا في علم الكلام ما يقنع نفوسهم المولعة بحب الله سبحانه وتعالى فرأوا أن يتقربوا اليه عن طريق الزهد والتقشف وفناء الذات في حبه تعالى ومن ثم سموا (بالمتصوفين
وأول من تسمى بالصوفي هو أبو هاشم الذي ولد في الكوفة وأمضى سواد حياته في الشام وتوفي في سنة / 150 / هـ .
وعن أول من حدد نظريات التصوف وشرحها هو ذو النون المصري (245هـ) تلميذ الإمام مالك والذي شرحها وبوبها ونشرها هو الجنيد البغدادي المتوفى سنة (334هـ).
ومنهم من قال: التصوف مشتق من الصوف، وقد كان يلبسه بعض العباد والزهاد الذين لا يميلون إلى الترف ، وقد وتهم في ذلك أهل الصفة الذين قال الله فيهم {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه} .
وأثر عن سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال: لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف. والتصوف: لقب اصطلح الناس عليه والمراد به الشخص المسلم المتمسك بالكتاب والسنة، وممن عرف بالتصوف في الصدر الأول الإسلامي سيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه وأنه أمة وحده يعيش وحده ويموت وحده كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم سيدنا حذيفة بن اليمان وسيدنا سلمان الفارسي فقد كان يأكل من عمل يده (كان ينسج الخوص ويبيعه) ثم جاء من بعدهم الحسن البصري الذي كان يعظ الناس ويرشدهم وقد ربى رجالا منهم مالك بن دينار ثم جاء بعد ذلك إبراهيم بن

أدم ثم الإمام الجنيد والقشيري ثم ذو النون المصري المتوفى سنة (245هـ)
والتصوف من حيث ذاته عقيدة وخلق وجهاد ودعوة ،ودعائمه الإسلام والإيمان والإحسان بما فيه المراقبة والمشاهدة ومتابعة (القرآن والسنة) وأهدافه التخلي عن كل رذيلة والتحلي بكل فضيلة والسلوك الملتزم بطاعة الله ورسوله وجهاد النفس وإصلاح الباطن والإيثار.[1]

ويبدو لمتتبع هذه النحلة السامية أنها مرت بمراحل مختلفة قبل أن تتسمى بهذا الاسم المعروف فكانت أحوالها تظهر في كل مرحلة باسم معين وهكذا إلى أن استقرت باسم (التصوف) وآية ذلك أن الشيخ الأستاذ أبا القاسم القشيري يقول في رسالته الشهيرة (الرسالة القشيرية): اعلموا رحمكم الله أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ لا أفضلية فوقها فقد قيل (الصحابة)ولما أدرك العصر الثاني سمي من صحب الصحابة (التابعين) ورأوا ذلك أشرف تسمية ثم قيل لمن بعدهم (أتباع التابعين) ثم اختلفت وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس مم لهم شدة عناية بامر الدين (الزهاد والعباد) ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا بان منهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم (التصوف) واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر بعد المائتين من الهجرة

ومما يشير أيضا إلى أن اسم التصوف عرف بعد القرن الثاني للهجرة ما أورده المسعودي في تاريخه (مروج الذهب ومعادن الجواهر) عن يحيى بن أكثم أن المأمون كان جالسا ذات يوم إذ دخل عليه حاجبه علي بن صالح فقال: يا أمير المؤمنين رجل بالباب عليه ثياب بيض غلا يطلب الدخول للمنارة فقال : إنه بعض المتصوفة ومما يشهد لهذا أيضا ما

---

[1] الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية - (2 / 5)

ذكره الكندي في كتاب (ولاة مصر في حوادث سنة مائتين) أنه ظهر بالاسكندرية طائفة يتسمون بالصوفية يأمرون بالمعروف هذا عن ذيوع اسم التصوف وانتشاره ولكن يبدو أن اسم التصوف كان موجودا قبل المائتين لكنه ذاع وانتشر بعد الماتي وفي ذلك يقول ابن تيمية في كتابه (الصوفية والفقراء) :" وأول ما ظهرت الصوفية من البصرة.
واول من بنى دويرة التصوف بعض أصحاب عبدالواحد بن زيد وهو من أصحاب الحسن البصري رحمهم الله تعالى وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمصار ولهذا كان يقال: فقه كوفي وعبادة بصرية، وبه يقول العلامة محمد كرد علي رحمه الله تعالى : وأول من تسمى بالصوفي في أهل السنة أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة (150) وكان من النساك يجيد الكلام وينطق الشعر كما وصفه الحفا مثل هاشم الأوقص وصالح بن عبدالله الجليل ولسنا نهتم كثيرا بمصطلح الكلمة واشتقاقها بقدر اهتمامنا بمضمونها.

فإن شئت سم (التصوف) بالتزكية ونهي النفس عن الهوى كما قال تعالى ?وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى?(1)[16]) أو سمه الإحسان أو علم التربية والسلوك ولكن لا مرفر لنا من إطلاق اسم التصوف عليه لأنه الاصطلاح الذي تعاهده أهل التاريخ وشاع عندهم أكثر من غيره.
والعجيب أن الذين اعترضوا على أنل التصوف جاؤوا بعد القرن السادس الهجري والذين كانوا في زمان أهل التصوف المؤسسين لم يعترضوا عليهم ، بل شهدوا لهم وأكدوا أنهم على الحق والنور والهدى وشهادتهم ستكون في مضمون هذا الكتاب ليقرأها طالب الحق.
ويقول الدكتور أحمد علوش:
(قد يتسائل الكثيرون عن السبب في عدم ظهور هذه الدعوة إلا بعد عهد اصحابة والتابعين والجواب عن هذا: أنهلم تكن ثمة حاجة إليها في العصر الأول لأن أهل ذاك العصر كانوا أهل تقى وورع وأرباب مجاهدة وإقبال على العبادة بطبيعتهم وبحكم قرب اتصالهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتسابقون ويتبادرون في الاقتداء به في ذلك كله،

فلم يكن ثمة ما يدعو إلى تلقينهم علما يرشدهم إلى أمر هم قائمون به فعلا وإنما مثلهم في ذلك كله كمثل العربي القح يعرف اللغة العربية بالتوارث كابرا عن كابر حتى إنه ليقرض الشعر البليغ بالسليقة والفطرة دون أن يعرف شيئا من قواعد اللغة والإعراب والنظم والقريض ، فمثل هذا لا يلزمه أن يتعلم النحو ودروس البلاغة ولكن علم النحو وقواعد اللغة والشعر تصبح لازمة وضرورية عند تفشي اللحن وضعف التعبير أو لمن يريد من الأجانب أن يتفهمها ويتعرف عليها أو عندما يصبح هذا العلم ضرورة من ضرورات الاجتماع كبقية العلوم التي نشأت وتألفت على توالي العصور في أوقاتها المناسبة.[1]

فالصحابة والتابعون ـ وإن لم يتسما باسم المتصوفين ـ كانوا صوفيين فعلا وإن لم يكونوا كذلك اسما ، وماذا يراد بالتصوف أكثر من أن يعيش المرء لربه لا لنفسه ، ويتحلى بالزهد وملازمة العبودية والإقبال على الله بالروح والقلب في جميع الأوقات وسائر الكمالات التي وصل بها الصحابة والتابعون م ن حيث الرقي اروحي إلى أسمى الدرجات فهم لم يكتفوا بالإقرار في عقائد الإيمان والقيام بفروض الإسلام بل قرنوا الإقرار بالتذوق والوجدان وزادوا على الفروض الإتيان بكل ما استحبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من نوافل العبادات وابتعدوا عن المكروهات فضلا عن المحرمات حتى استنارت بصائرهم وتفجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم وفاضت الأسرار الربانية على جوانحهم وكذلك كان شان التابعين وتابعي التابعين وهذه العصور الثلاثة كانت أزهى عصور الإسلام وخيرها على الإطلاق وقد جاء ن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله (خير القون قرني هذا فالذي يليه والذي يليه) فلما تقادم العهد ودخل في حظيرة الإسلام أمم شتى وأجناس عديدة واتسعت دائرة العلوم وتقسمت وتوزعت بين أرباب الاختصاص قام كل فريق بتدوين الفن والعلم الذي يجيده أكثر من غيره فنشأ بعد تدوين النحو في الصدر الأول علم

[1] الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية ـ (2 / 7)وما بعدها

الفقه وعلم التوحيد وأصول الدين وعلوم الحديث والتفسير المنطق ومصطلح الحديث وعلم الأصول والفرائض (الميراث) وغيرها..

وحدث بعد هذه الفترة أن أخذ التأثير الروحي يتضاءل شيئا فشيئا وأخذ الناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية والقلب والهمة مما دعا أرباب الرياضة والزهد إلى أن يعملوا هم من ناحيتهم أيضا على تدوين علم التصوف ، وإثبات شرفه وجلاله وفضله على سائر العلوم ولم يكن ذلك منهم احتجاجا على انصراف الطوائف الأخرى إلى تدوين علومهم - كما يظن ذلك - خطأ - بعض المستشرقين- بل كان سدا للنقص ن واستكمالا لحاجات الدين في جميع نواحي النشاط مما لابد منه لحصول التعاون على تمهيد أسباب البر والتقوى
وقد بنى أئمة الصوفية الأولون أصول طريقهم على ما ثبت في تاريخ الإسلام نقلا عن الثقات الأعلام.
أما تاريخ التصوف فيظهر في فتوى للإمام الحافظ السيد محمد صديق الغماري رحمه الله فقد سئل عن أول من أسس التصوف؟ وهل هو بوحي سماوي؟

فأجاب:
(أما أول من أسس الطريقة فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما بينها واحدا واحدا دينا بقوله: (هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم)
وهو الإسلام والإيمان والإحسان فالإسلام طاعة وعبادة والإيمان نور وعقيدة والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ...).
ثم قال السيد محمد صديق الغماري في رسالته تلك : فإنه كما في الحديث الدين عبارة عن الأركان الثلاثة فمن أخل بهذا المقام (الإحسان) فدينه ناقص بلا شك لتركه ركنا من أركانه فغاية ما تدعو اليه الطريقة

وتشير اليه هو مقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والإيمان)

وقال ابن خلدون في مقدمته:
(وهذا العلم - يعني التصوف - من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عن سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة مال وجاه والانفراد عن الخلق والخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف: فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة) .
ويعنينا من عبارة ابن خلدون الفقرة الأخيرة التي يقرر فيها أن ظهور التصوف والصوفية كان نتيجة جنوح الناس إلى مخالطة الدنيا وأهلها في القرن الثاني للهجرة فإن ذلك يدعو أن يتخذ المقبلون على العبادة اسما يميزهم عن عامة الناس الذين ألهتهم الحياة الدنيا الفانية.
فمن هذه النصوص السابقة يتبين لنا أن التصوف ليس أمرا مستحدثا جديدا ولكنه مأخوذ من سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحياة أصحابه الكرام كما أنه ليس مستنبطا من أصول لا تمت إلى الإسلام بصلة كما يزعم أعداء الإسلام من المستشرقين وتلامذتهم الذين ابتدعوا أسماء مبتكرة فأطلقوا اسم التصوف على الرهبنة البوذية والكهانة النصرانية والشعوذة الهندية فقالوا : هناك تصوف بوذي وهندي ونصراني وفارسي...
يريدون بذلك تشويه اسم التصوف من جهة واتهام التصوف بأنه يرجع في نشأته إلى هذه الأصول القديمة والفلسفات الضالة من جهة أخرى ولكن الإنسان المؤمن لا ينساق بتياراتهم الفكرية الماكرة ويتبين الأمور ويتثبت في البحث عن الحقيقة فيرى أن التصوف هو التطبيق العملي للإسلام.[1]

أسس التصوف:

[1] *التصوف نشاط إنساني ديني في الإسلام ،وهكذا الرهبنة في المسيحية والقبالا في اليهودية وغيرها.

التصوف الإسلامي علم جليل الشأن ونحلة عظيمة القدر وثبت بالأدلة القوية أنه إسلامي المنشأ وبذلك أضحى موصلا للسعادة في الدنيا والآخرة وهو الدواء الذي يشفي صاحبه من أمراض النفس والمنهاج الذي يزكي النفس ويصفي الروح وهو مرآة الحياة الروحية الإسلامية التي قوامها التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل لتزكو النفس وتسمو الروح بالاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الكرام ومن أهم مقاصده خمسة أمور سنتولى شرحها وبيانها بإذن الله واحدا إثر واحد:

صفاء النفس ومحاسبتها.

قصد وجه الله .

التمسك بالفقر والافتقار.

توطين القلب على الرحمة والمحبة.

التجمل بمكارم الأخلاق التي بعث الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإتمامها.

التفصيل:

القاعدة الأولى : (صفاء النفس ومحاسبتها): ومعناها: أن كل من أراد أن يدخل في سبيل المقربين ليعد الجواب لسؤال الحق تعالى فعليه أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله ويزن أعماله قبل أن توزن بقسطاس الآخرة ويصفي نفسه من شوائبها ووساوسها قال سيدنا عمر رضي الله عنه (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا).

القاعدة الثانية: (قصد وجه الله): ومعناها: أن المتصوف لابد أن يقصد وجه ربه في جميع أقواله وأفعاله غاسلا قلبه بماء الإخلاص لوجه الله

تعالى قال الله تعالى {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه} .
وقال عز من قائل : {وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى} .

القاعدة الثالثة: (التمسك بالفقر والافتقار):
ومعناها الزهد في الدنيا ومتاعها عزوفا بالنفس عما يلهيها ويشغلها فإن التمسك بالفقر دليل التقشف الذي هو الآلة القاطعة حبل الوصال بين العبد والشيطان، فتتأهل النفس بالعبادة الخالصة وعدم العلو والفساد في الأرض لهذه الخصلة التي تصعد بهمم الإنسان نحو الروحانية والبعد عن كدورة الإنسانية أما الافتقار فهو تجرد المرء عن زينة الحياة الدنيا لينقطع إلى تقوى الله تعالى وأنه لا حول ولا طول الا به طالبا منه الكرم بالإمداد والتجليات وذلك هو منتهى الإقرار بالعبودية التي هي مركز التصوف وعقيدة الإيمان.
وصفوة القول: أن الفقر أساس التصوف وقوامه وأن التحقق بأحوال التصوف ومقاماته مبني على الفقر والزهد فيما اشتملت عليه الدنيا من زخرف ومتاع، أي أن تكون الدنيا في يده لا في قلبه بمعنى أن يكون أغنى بما عند الله منه بما عنده.

وقد قص علينا السهرودي في كتابه (عوارف المعارف) قصة عن ذي النون المصري رضي الله عنه جديرة بالنشر والاهتمام قال ذو النون: (رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت لها : من أين أقبلت؟ فقالت: من عند أقوام {تتجافى جنوبهم عن المضاجع}، فقلت لها: وأين تريدين ؟ فقالت : إلى {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله} .
ألا يجدر بنا أن نمعن النظر في هذين الجوابين لنعلم مدى خلو قلوب القوم من حظوظ النفس والهوى لنعلم مدى انجذابهم نحو الله تعالى وإيثارهم لما عنده بحيث أصبحت قلوبهم لا تنزع إلى الله متجردين من القيود الجسمانية التي تفسد على الإنسان حياته وتكدر صفاء نفسه وتنسي الإنسان عبوديته لله .

القاعدة الرابعة : (توطين القلب على الرحمة والمحبة): ومعناها: أنه يجب على كل صوفي أن يلزم محبة كل المسلمين ويعطيهم حق الإسلام من التعظيم والتوقير فإن رسخ في هذه القاعدة واستقام في التدريب عليها أفاض الله عليه أنوار الرحمة وأذاقه حلاوة الرضى وألبسه ثوب القبول فينال مما ورثه النبيون من المحبة والرضى حظا وافرا قال الله تعالى في حق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} .

وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه (لا تحقر أحدا من المسلمين فإن حقير المسلمين عند الله كبير).

القاعدة الخامسة : (التجمل بالأخلاق التي بعث الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإتمامها): وهذه القاعدة زبدة الدين وحقيقة أخق الصوفيين وذلك بأن يكون العبد هينا لينا مع أهل بيته وعشيرته وجميع المسلمين قال الله تعالى {وقولوا للناس حسنا}

وقد ورد في الأثر : (اهل الجنة كل هين لين سهل قريب وأهل النار كل شديد قبعثري قالوا وما القبعثري؟ قال: الشديد على الأهل والصحاب والعشير) إذ ان الله تعالى يعامل عبده في وصفه وخلقه وفي الحديث القدسي: يا بان آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟! قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمل وأنت رب العالمين قال : استطعمك عبد فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين!؟ قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي)

ذلك هو الحديث القدسي الذي جمع محاسن الأخلاق وجميل الصفات بين الناس وهو القانون الإلهي الذي سلك منهاجه رجال في حياتهم الدنيوية والعملية فمن رسخت قدمه منهم في هذه المقامات صارت أحواله ومعاملاته مع الرب في كل شىء فلا يراقب غير الله تعالى في حركاته وسكناته .

ـ أهمية التصوف:
قال الإمام السيد أحمد الرفاعي قدس الله سره:
هذا الدين الجامع باطنه لب ظاهره ، وظاهره باطنه
هذا العلم (التصوف) الذي سماه بعضهم بعلم الباطن هو إصلاح القلب.
إذا انفرد قلبك بحسن نيته، وطهارة طويته وقتلت وسرقت وزنيت وأكلت الربا وشربت الخمر وكذبت وتكبرت وأغلظت القول فما الفائدة من نيتك وطهارة قلبك؟! وإذا عبدت الله وتعففت وصمت وصدقت وتواضعت وأبطن قلبك الرياء والفساد فما الفائدة من عملك؟! ... أي حالة باطنة للمسلم لم يأمر ظاهر الشرع بعلمها؟! أي حالة ظاهرة لم يأمر ظاهر الشرع بإصلاح الباطن لها ؟! .
إن الشارع أمر الإنسان بتكاليف في خاصة نفسه وترجع إلى قسمين:
قسم يتعلق بأعماله الظاهرة وقسم يتعلق بأعماله الباطنة وبلفظ آخر : أحكام تتعلق بظاهر الجسد وأحكام تتعلق بباطن الجسد (القلب).
وأما الأعمال التي تترتب على الجسد فهي نوعان: أوامر نواه فالأوامر المفروضة هي كالصلاة والصوم والزكاة والحج... وأما النواهي المحظورة فهي كتحريم الزنا والسرقة وشرب الخمر وحقوق العباد كافة

واما الأعمال التي تتربت على القلب فهي نوعان أيضا أوامر ونواه فالأوامر المفروضة : كالإيمان بالله وملائمته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكالإخلاص والتوكل والخشوع والصدق والصبر .
وأما النواهي المحظورة :فكالكفر والنفاق والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء.
وهذا القسم الثاني هو المعول عليه في ديننا ألا وهو أعمال القلوب لأن مبنى الأمور كلها على إخلاص النيات لرب البريات التي لا يعلم بها غيره ، فقد قرن الله سبحانه وتعالى أعمال الظاهر وسلامة الباطن فيها لأن فساد الباطن يوجب فساد الأعمال الظاهرة فقال: {فمن كانه يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا

ولهذا كان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لايدخرنصحا وتوجيها لاهتمام صحابته الكرام لإصلاح قلوبهم ويبين لهم هذا الملك وأن صلاح الإنسان متوقف على صلاح هذا القلب وصفائه من كل الشوائب الكامنة في جنباته فقال : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) لأن العمدة يوم القيامة القلب السليم كما أخبر الله سبحانه وتعالى فقال: {يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم}

وكما أخبر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن محل نظر الرب هو القلب فقال (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)

وما فرق سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ظاهر صلاح الأعمال عن باطن صدق القلوب.

وقال الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى : (وأما علم القلب ومعرفة أمراضه من الحسد والعجب والرياء ونحوها فقال فيها الإمام الغزالي رحمه الله تعالى إنها فرض عين) [1]

(فتصفية القلب ومداواته من أهم الفرائض العينية وأهم الواجبات الربانية، وقد دل على ذلك ما جاء في الكتاب والسنة وأقوال العلماء والفقهاء) .

أولا : أهميته في الكتاب:

أمر الله تعالى خلقه أن تكون جميع عباداتهم القولية والفعلية والمالية خالصة له تعالى بعيدة عن الرياء فقال: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين}[2]، وقد حرم الفواحش فقال: {قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن}، وقال تعالى: {ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن}[3]

---

[1] الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية - (2 / 17)بتصرف

[2] البينة:4

[3] الأنعام:51

وقال الشيخ أحمد زرووق في قواعده: وقد حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الأفين مرجع كلها صدق التوجه إلى الله وإنما هي وجوه فيه .
قال الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله : التصوف ليس ما أخذ عن القيل والقال ولكن أخذ من الجوع وقطع المألوفات والمستحسنات "
وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : التصوف هو تجريد القلب لله تعالى واحتقار ما سواه أي تخليص القلب لله تعالى واعتقاد ما سواه اعتقادات أنه لا يضر ولا ينفع فلا يعول إلا على الله فالمراد باحتقار ما ساه اعتقاد أنه لا يضر ولا ينفع وليس المراد الازدراء التنقيص .
وقال الشيخ ابن عطاء الله السكندري: (التصوف هو الاسترسال مع الحق).
وقال ابن عجيبة رحمه الله تعالى :
(التصوف لب الإسلام).
وقال أيضا: التصوف : هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل وأوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة .
وقال الشبلي رحمه الله تعالى (التصوف : ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك) .
وقال أيضا : (التصوف هو الجلوس مع الله بلا وهم).
وقال الشيخ معروف الكرخي رحمه الله تعالى : (التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيد الخلائق .
وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى :
(التصوف تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية)
وقال سيدي الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى (التصوف هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا
وقال أيضا: التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف
وسئل رويم عن التصوف فقال: (التصوف هو استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد).

وقال أيضا: (التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار والتحقيق بالذل والإيثار وترك التعرض للاختيار).
وقال الإمام الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى : (التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع) وقال أيضا (علمنا هذا التصوف مقيد بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الأمر والطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم).
وقال أيضا : (علمنا هذا التصوف مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يسمع الحديث ويجلس ويأخذ أدبه من المتأدبين أفسد من اتبعه).
وقال أيضا: (التصوف أن يختصك الله بالصفاء فمن صفا من كل ما سوى الله فهو الصوفي)
وقال أيضا: (التصوف حفظ الأوقات).
وقال أيضا (التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقة واستعمال من هو ألى على الأبدية النصح لجميع الأمة والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرسول في الشريعة)
وسئل الجنيد عن التصوف فغقال: (أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء) أي أن تعتقد أنك فقير على وجه الحقيقة لا تملك شيئا والله سبحانه وتعالى هو المالك الحقيقي.[1]
وقال الشبلي رحمه الله تعالى سمعت الجنيد يقول: (التصوف أن يميتك الحق عنك ويحييك به).
وسئل أبو محمد الجريري رحمه الله عن التصوف فقال: الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني.
وقال الشيخ عمر بن عثمان المكي رحمه الله تعالى : (التصوف أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت).
وقال أبو الحسن ابن أبي ذر في كتابه (منهاج الدين أنشدونا للشبلي):
علم التصوف علم لا نفاد له ... علم سني سماوي ربوبي

[1] الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية - (2 / 25)

فيه فوائد للأرباب يعرفها ... أهل الجزالة والصنع الخصوصي
وقال الشيخ أبو حفص رحمه الله تعالى : (التصوف كله آداب لكل وقت أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول)
وقال صاحب كشف الظنون: التصوف علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم إلى أن قال:
علم التصوف علم ليس يعرفه ... إلا أخو فطنة بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده ... وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف
وقال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى : (التصوف علم قصد به صلاح القلوب وإرادها لله تعالى عما سواه والفقه لإصلاح العمل وحفظ النظام وظهور الحكمة بالأحكام والأصول (علم التوحيد) لتحقيق المقدمات بالبراهين وتحلية الإيمان بالإيقان والطب لحف الأبدان النحو لإصلاح اللسان إلى غير ذلك).
وقال الشيخ حسين الزيباري العلواني رحمه الله تعالى: (ينحصر التصوف في أربع كلمات : أن تنصف الناس من نفسك ولا تطلب الإنصاف منهم وأن تبدي لهم شيئك وأن تكون من شيئهم آيسا).
وقال الشيخ أبو يعقوب السوسي رحمه الله تعالى : (الصوفي هو الذي لا يزعجه سلب ولا يتعبه طلب).
وقال الشيخ أبو القاسم النصر أبادي رحمه الله: (أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع ورؤية أعذار الخلائق والمداومة على الأوراد وترك الرخص والتأويلات).
وقال أبو جعفر الحداد رحمه الله : "التصوف هو استقامة الأحوال مع الحق".
وقال المزين رحمه الله تعالى : "التصوف هو الانقياد للحق)".
وقال الشيخ علي بن بندار رحمه الله تعالى : "التصوف هو إسقاط الخلق ظاهرا وباطنا"[1]
وسئل أبو الحسن النوري رحمه الله : ما التصوف؟ فقال: ترك كل حظ للنفس.

---
[1] **السابق**

وقال الشيخ أبو القاسم جعفر بن أحمد المقرئ: التصوف استقامة الأحوال مع الحق "
وقال السيد الشريف الجرجاني:
" التصوف هو وقوف مع الآداب الشرعية اهرا فيسري حكمها من الظاهر إلى الباطن وباطنا فيسري حكمها من الباطن إلى الظاهر فيحصل للمتأدب بالحكمة كمال.
وقال القاضي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله:" التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر الباطن لنيل السعادة الأبدية"
وقال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى : (التصوف اسم حادث لمسمى قديم إذ إن مسماه لا يعدو كونه سعيا إلى تزكية النفس من الأوزار العالقة بها عادة كالحسد والتكبر وحب الدنيا وحب الجاه وكذلك ابتغاء توجيهها إلى حب الله عز وجل والرضا عنه والتوكل عليه والإخلاص له "[1]
وقال الشيخ محمد بدر الدين الحامد رحمه الله : (التصوف هو تنقية الظاهر والباطن من المخالفات الشرعية وتعمير القلب بذكر الله تعالى وخشيته ورجائه والسير في العبادات والأعمال على النهج الشرعي طبق السنة الشريفة.

وقال الدكتور محمد حسن الذهبي : التصوف (هو مناجاة القلب ومحادثة الروح وفي هذه المناجاة طهر لمن شاء أن يتطهر وصفاء لمن أراد التبرأ من الرجس والدنس وفي تلك المحادثة عروج إلى سماء النور والملائكة والصعود إلى عالم الفيض والإلهام "
وقال العلامة حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق: "التصوف هو تربية علمية وعملية للنفوس وعلاج لأمراض القلوب وغرس للفضائل واقتلاع للرذائل وقمع للشهوات وتدريب على الصبر والرضا والطاعات "

---
[1] كتاب السلفية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص 189.

وقيل إن التصوف هو :
الافتقار إلى الله تعالى .
تصفية القلوب من غير الله تعالى ، ثم الصعود بالروح إلى عالم التقديس بإخلاص العبودية للخالق المعبود والتجريد من السوى.
قلوب منكسرة بما عملت لما منه حذرت.
سخاء ووفاء وسلوك طريق المصطفى عليه الصلاة والسلام.
الرغبة في المحبوب لدرك المطلوب ثم مفارقة الأشرار ومصادقة الأخيار.
صدق في المعاملة لا تزين ولا محاولة.
بذل الروح طول مدة الحياة وتبديدها استعدادا لسكرة الممات.
رتوع القلب الهائم في مرتع العز الدائم.
جباه ساجدة وقلوب هالعة والعة.
أنس بعد بأس وسرور بعد يأس.
خوف ورهبة وأدب ورغبة.
التزام الصمت واغتنام الوقت.
عفة بالنفوس وشهامة بالرؤوس.
أرواح متعشقة وباسم الذات متحققة.
رقة وشوق وترقي وذوق.
نقاء الأفكار وسلوك الأبرار.
الموافقة للحق في مفارقة الخلق.
حسن الصحبة والقيام بحقها.
علم وحكمة وتبصرة وهداية وتربية وتهذيب وعلاج ووقاية وتقوى واستقامة وصبر واجتهاد وفرار من فتنة الدنيا وزينتها وابتعاد.وهوالعبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى"[1]

---
[1] الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية - (2 / 27)

ـالتصوف من وسائل انتشار الإسلام"

ـ التصوف في أندونسيا:

الأولياء التسعة أو الأوصياء التسعة (بالإندونيسية: Wali Songo أو Wali Sanga) شخصيات إسلامية اشتهرت في عالم الملايو خاصة في جزيرة جاوة الإندونيسية بسبب دورها التاريخي في انتشار الإسلام بإندونيسيا في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، بحيث يعتقد أن هؤلاء هم المسؤولون عن تغيير الديانة الجاوية المتمثلة بالهندوسية والبوذية إلى الإسلام، وأصبح من بعدهم عدد المسلمين في إندونيسيا اليوم هو الأعلى في العالم.[1] وهم سنيون في العقائد، وعلى المذهب الشافعي في الفقه، وإلى الآن مازال المذهب الشافعي هو السائد بين مسلمي إندونيسيا وماليزيا وما حولهما من البلدان، حتى الفلبين وسيام وجنوب الصين.[2]

ـ سبب التسمية:

إن تسمية «الأولياء التسعة» عبارة عن اللقب الذي يشير إلى مجلس الأولياء عن طريق اتخاذ رقم تسعة الذي يعد قبل دخول الإسلام إلى أرض جاوة رقمًا مقدسًا، حيث يعتبر الرقم تسعة في الأساطير الكونية الهندوسية الجاوية رقما في غاية الأهمية، ومن الممكن أن هؤلاء الأولياء قد احتلوا المكانة التي كانت تحتلها الآلهة التسعة الحامية التي تشرف على نقاط البوصلة في النظام الكوني القديم حسب المعتقد الجاوي الهندوسي.[3]

من هم:

---

[1] سلام ، سوليشين (1989). تسعة ولاة في منظور التاريخ. جاكرتا: كونينغ ماس.
[2] بسري مصطفى (2018) Sejarah Para Wali .(بالإندونيسية).
[3] نصوحي ، حامد (2017). "شخيات سنن كاليجاغا في تقاليد مطرام الإسلامية". الدراسات الإسلامية. جمهورية إندونيسيا: جامعة سياريف هداية الله الإسلامية الحكومية في جاكرتا. ج. 24 رقم 1. ص. 151 - ISSN 2355-184 .

كان هؤلاء الأولياء من الدعاة الأوائل إلى الإسلام في جزيرة جاوة التي كان شعبها يعتنق الديانة الهندوسية والبوذية. وهم يوصفون بأنهم يتمتعون بالكرامات، وهذه الكرامات تحكى شفويًا وبشكل مستمر من جيل إلى جيل، إلى أن تم كتابتها رسميا باعتبارها جزءا من تاريخ السياسة والدين في جاوة من قبل شعراء مملكة ماتارام الإسلامية في مخطوطات «تاريخ أرض جاوا». وبالتالي فإن مقابرهم أصبحت هدفا للزيارة أكثر من الأماكن المقدسة الأخرى، حيث يقوم بها الزائرون بممارسة الطقوس الدينية لأغراض ودوافع متنوعة. وهذه المقابر منتشرة في جاوة الغربية، وجاوة الوسطى، وجاوة الشرقية. واشتهر من بينهم تسعة دعاة شهرة كبيرة تفوق الباقين ومعظمهم من السادة الأشراف آل عظمة خان، وهم:[1]

- سونن غريسيك (Sunan Gresik)
- سونن قيري (Sunan Giri)
- سونن قدوس (Sunan Kudus)
- سونن أمبل (Sunan Ampel)
- سونن درجات (Sunan Drajat)
- سونن موريا (Sunan Muria)
- سونن بونانغ (Sunan Bonang)
- سونن كاليجاغا (Sunan Kalijaga)
- سونن جونونغ جاتي (Sunan Gunung Jati)

وإلى جانب هؤلاء الأولياء الذين سبق ذكرهم هناك أولياء آخرون انتشروا بأرض إندونيسيا ولكنهم أقل شهرة، منهم:

- سونن بيات
- سونن برابين
- سونن أطاس

1 دراسة لمنهج الصوفية في الدعوة إلى الله في عالم الملايو". أنا احتاج إلى العلمي ... أكو بيرلو ألمو ... اسأل لماذا

(Sunan Tembayat)

- سونن كاديلانغو (Sunan Kadilangu)
- سونن ليمبايونغ (Sunan Lembayung)
- سونن باكوان (Sunan Pakuan)
- سونن جيسينغ (Sunan Geseng)
- سونن موجو أجونغ (Sunan Mojo Agung)
- سونن بانكلان (Sunan Bangkalan)

(Sunan Prapen)

- سونن دماك (Sunan Demak)
- سونن لامونجان (Sunan Lamongan)
- سونن جيبارا (Sunan Jepara)
- سونن براوتو (Sunan Prawoto)
- سونن نودونج (Sunan Ngudung)
- سونن موليا (Sunan Mulia)

أنجين (Sunan Atas Angin)

- سونن بونكول (Sunan Bungkul)
- سونن دالم (Sunan Dalem)
- سونن نيرانغ (Sunan Ngerang)
- سونن بادوسان (Sunan Padusan)
- سونن سندانغ دور (Sunan Sendang Duwur)
- سونن ويليس (Sunan Wilis)

وهذه إنما ألقابهم وهم ينسبون إلى المواضع التي هم فيها. ولفظ "سونن " لقب تشريف يطلقونه على بعض الملوك وكبار دعاة الإسلام في جاوة.[1]

عصرهم:

كان القرن الخامس عشر والسادس عشر ميلادية عصرًا ذهبيًا للدعوة الإسلامية في إندونيسيا، مع كونه عصرًا انحطاطيًا للممالك الهندوسية

[1] هامكا (2020). Dari Pembendaharaan Lama: Menyingkap Sejarah Islam di Nusantara

والبوذية، سياسيا كان أم اجتماعيا. وقد قال المستشرق البريطاني توماس أرنولد في كتابه «The Preaching of Islam» بأن الإسلام جاء إلى إندونيسيا بسلام وليس بسلاح كما قد فعلت الحكومات الإسبانية والبرتغالية، الإسلام جاء إلى شرق آسيا بوئام، من غير سلاح، ولا عن طريق اغتصاب القوة السياسية، إن الإسلام جاء إلى نوسانتارا عن طريق ظهور الأخلاق الإسلامية مع احترام التقاليد المحلية والأديان الوضعية.[1]

ومع كون اشتغال الشعب الإندونيسي في تعلم الإسلام وإقامة الممالك الإسلامية بتمزيج ما هو فكر ديني بما هو فكر وضعي إندونيسي، جاء كثير من التجار المسلمين من بقاع العالم الإسلامي إلى إندونيسيا حيث كانت علاقتهم بالمجتمع الإندونيسي وثيقة جدا. وتاريخيا، كان أكثر المهاجرين العرب إلى إندونيسيا هم الحضرميون باليمن، وحسب كتاب تاريخ حضرموت هذه الهجرة تعتبر أكبر هجرة في التاريخ الحضرمي.

ومن الجدير بالذكر أيضًا أن على يد هؤلاء الأولياء كانت المملكة الإسلامية «دماك بينطارا» في أرض جاوة أقوى مملكة في نوسانتارا سلاحيا وعسكريا، مع كون عاصمتها بدماك في جاوة الوسطى مركزًا للدعوة وانتشار العلوم الإسلامية.[2]

تعاليمهم:

إن الإسلام الذي عرفه هؤلاء الأولياء للمجتمع الجاوي هو الإسلام الذي يميل إلى التصوف.[3]

وأما طرق دعوتهم الإسلامية فمعروفة حتى الآن، وهي بممارسة الغناء والأشعار والنظم والخطب الدينية المسماة بـ«سرات» **Serat**، وكذلك بإنتاج القصص الإسلامية المجسدة بالدمى. وليس لديهم أي مؤلَّف

---

[1] لوكينز بول ، رونالد (2005). الجهاد السلمي: التفاوض على الهوية والحداثة في جافا الإسلامية. الولايات المتحدة: بالجريف ماكميلان

[2] بوروادي ؛ إنيس نيكين (2007). داكوة والي سونجو: بينيباران إسلام برباسيس كولتورال دي تاناه جاوا (بالإندونيسية). يوجياكارتا: بانجي بوستاكا

[3] طبارة ، نايلا (2017). الدراسات الإسلامية أمام التنوع الثقافي في العالم المعاصر. بيروت ، لبنان: دار الفارابي.

ككتاب، لأن الدعوة آنذاك لم تكن صالحة بالكتب، مع انشغالهم في تقوية المملكة الإسلامية دستوريا وعسكريا. وقد جاءت دعوتهم الإسلامية على أساس احترام التقاليد المحلية والعقائد الوضعية، وإن كانوا من عظماء المملكة.[1]

وخير دليل على ذلك هو وجود مسجد الأقصى في مدينة قدوس في جاوة الوسطى، الذي بُني على أساس التعاون الوثيق بين المسلمين والهندوسيين، ولذلك شكل هذا المسجد شبه المعبد لدى الهندوسيين. وانطلاقا من قوة الاحترام بين أبناء الأديان المختلفة أفتى الفقيه الشيخ جعفر الصادق (سونن قدوس) على سكان مدينة قدوس بتحريم أكل لحوم البقر، احتراما للهندوسيين الذين يقدّسونها حسب معتقداتهم، وإلى الآن أهل مدينة قدوس لا يأكلون البقر.[2]

وإضافة إلى ذلك، كان رادين سعيد (سونن كاليجاغا) قد أدخل القيم الإسلامية في التقاليد المحلية، مثل: تقاليد «ميتو، وياتوس، وييوو» أي حفلات للموتى مع إحراق البخور الجاوية، التي أدخل فيها رادين سعيد القيم الإسلامية؛ وهي إهداء ثواب قراءة القرآن للميت والذكر جماعة وسماع القصص والنصيحة الدينية من حضرة رادين سعيد. ومن حيث المسائل الدينية كان هؤلاء الفقهاء لا يفتون بذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حتى أقوال العلماء المعتبرة، وقد ابتعدوا عن قول «حرام»، و«بدعة»، و«شرك» أو «كفر»، بل عرضوا إجابتهم الفقهية بالمثل الجاوي أو بالمنطق، عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يسِّروا ولا تعسِّروا»، وبقوله أيضا: «كلموا الناس على قدر عقولهم».[3]

ومثل: الدعوة إلى فريضة ذبح الحيوان في يوم عيد الأضحى، فقد قال رادين سعيد: «من أراد دخول الجنة راكبا على غنمه أو جاموسه فعليه أن يذبحه في يوم عيد الأضحى لمن استطاع على ذلك»، ثم سُئل:

---

[1] رمضان ، محمد رزقي (2006). أثر الأدب العربي الإسلامي في الأدب الإندونيسي الإسلامي (PDF).الخرطوم ، السودان: جامعة إفريقيا العالمية

[2] "نبذة تاريخية عن مجيئ الإسلام إلى إندونيسيا". كاهايا إيلمو

[3] شودجيم ، أحمد (2003) Mistik dan makrifat Sunan Kalijaga (بالإندونيسية). جاكرتا: سيرامبي.

يا شيخي، عندي جاموس واحد فهل يمكن في الآخرة أن يركب عليها ستة أشخاص وطفل صغير من أسرتي جميعًا؟ (في الفقه الشافعي أن الجاموس الواحد يكفي لستة أشخاص فقط)، فأجاب رادين سعيد: «عليك أن تذبح غنما واحدا لأن الطفل الصغير يحتاج إلى سُلّم لكي يستطيع أن يركب مع أسرتك على الجاموس.

وبسبب دعوة هؤلاء الأولياء وُلد كثير من العلماء الإندونيسيين، وبعضهم قد وصل إلى المستوى الدولي؛ كالشيخ النووي البنتني المشهور بمفتي الشافعية في البلد الحرام الذي ألّف عدة كتب منها «التفسير المنير» أو «تفسير مراح لبيد»، و«قامع الطغيان»، و«نصائح العباد» وغيرها، والشيخ ياسين الفاداني المعروف بمسند الدنيا في الحديث وعلومه، والشيخ محفوظ الترمسي الذي أصبح كتابه «منهج ذوي النظر» مقررا لطلاب الماجستير في الحديث في الأزهر الشريف بالقاهرة، وغيرهم كثير.

جعفر الصادق (المتوفى 957 هـ) الشهير باسم سونن قدوس (بالإندونيسية: Sunan Kudus) إمام وفقيه وتاجر وواحد من أبرز الأولياء التسعة بجزيرة جاوة الإندونيسية.[1]

ساهم في تقريب وتعريف الإسلام للمجتمع الجاوي الهندوسي من خلال دمج القيم الإسلامية مع العادات والطقوس الدينية الهندوسية. فتأثر بأسلوب دعوته الجاويون واعتنق الكثير منهم الديانة الإسلامية وأخذوا يقصدونه لحل مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية.[2]

وهو من قام بتأسيس مسجد منارة قدوس ذو الهندسة المعمارية الهندوسية.[3]

نسبه:

جعفر الصادق بن عثمان حاجي بن علي المرتضى بن إبراهيم أسمورو بن جمال الدين الحسين بن أحمد بن عبد الله عظمة خان بن عبد الملك بن علوي عم الفقيه المقدم بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر بن عيسى بن محمد النقيب بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب، وعلي زوج فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم.

فهو الحفيد 23لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في سلسلة نسبه.[4]

---

[1] كودوس كوتا والي". بابيدا كابوباتين كودوس.

[2] بكتي توفيق آري نوغروهو ، شوروني ، م. مينانور رومان (2020). "تلاوة خلافة السنن القدوس في الدعوة الثقافية". المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية والدين (بالإنجليزية .IJSSR .(المجلد. 1 ، لا. 1. ص 69 – 79

[3] مارسونو (2018). Dampak Pariwisata Religi Kawasan Masjid Sunan Kudus Terhadap Ekonomi، Lingkungan، Dan Sosial-Budaya (بالإندونيسية). يوجياكارتا: مطبعة جامعة جادجا مادا

[4] - عفيف ، محمد (2017). "Pendidikan Tasawuf Multikultural dalam Perspektif Sunan Kudus dan Implikasinya pada Pendidikan Islam Nusantara". Esoterik: Jurnal Akhlak dan Tasawuf (بالإندونيسية). كودوس: دراسة البرنامج Tasawuf dan Psikoterapi، Fakultas Ushuluddin، معهد أغاما إسلام نيجري كودوس. المجلد. 3 ، لا. 2. ص 273 -

- **مظاهر دينية وصوفية منها:**

من المظاهر والممارسات الصوفية الشعبية المرفوضة دينيا:

- **الشيش:**

والشيش كلمة فارسية تعني السيخ المعدني. وضرب الشيش: هي إحدى المظاهر الطقسية لجلسات الذكر التي يقوم بها شيوخ الطريقة من المتصوفين، حيث يتخلل تلك الجلسات استعراضات تتضمن غرس سيخ معدني (شيش) أو أداة حادة في جسد «الُمريد» أو وجهه. وقد يتخلل تلك الجلسات أيضاً القفز على الجمر في بعض الطرق.

ومن المثير في تلك الظاهرة عدم حدوث نزيف دموي على الرغم من اختراق «الشيش» لجسد الشخص من الجانب إلى الجانب الآخر في بعض الأحيان.

يعتبر المتصوفون أن من يقوم بذلك الدور يكون لديه «كرامات» من الله أو قدرة فريدة على الرغم من أن حدوث تلك الظاهرة لا يقتصر على هؤلاء المتصوفين من المسلمين بل يمكن أن نشاهدها أيضاً في بعض طقوس الهندوس، ولكن يقول المتصوفين بأن مايقوم به الهندوس انما هي خفة يد وخدع.

يدعي من يقيم تلك الجلسات أنهم يتبعون طريقة شيخ معين في الذكر والزهد، مثل الطريقة الرفاعية نسبة إلى الشيخ أحمد الرفاعي والطريقة

القادرية نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيرهما. على الرغم من اعتبار ضرب الشيش بدعة لم يأت بها أي من الشيخين المذكورين بنظر الكثير من علماء الدين.

تفسيرات حول ظاهرة الشيش:

إن القيام برياضات وطقوس معينة تزيد الحماس عند هؤلاء الأشخاص «المريدين» وتَخْفِض القدرة الحسية التي جُبل عليها الإنسان. فمجالس الذكر للصوفيين وإيقاعاتها تؤدي إلى تصعيد وجداني وصولاً لمرحلة التسامي إلى أن يصل الشخص إلى تنشيط الجهاز العصبي الذاتي (الودي ونظير الودي) ويخرج من عالم الحس والتأثر إلى عالم التجرد من الإحساس. فتسديد طعنة أو وخز لايعني شيئاً للمتسامي ولا ينزف بسبب تقلص العضلات الذي يحدثه تنشيط الجهاز العصبي الذاتي، ولكن في حال استعمال أداة أخرى بالضرب غير السيخ امثال السكاكين وغيرها كذلك لا يتأثرون، ولكن هناك طرق تقوم بذلك بدون الدف أو الطبل لأثبات أن لا فرق ان استعملوا الدف والطبل أو خلال حلقة الذكر أو خارجها.

- رأي بعض العلماء المسلمين:

- يبين شهاب الدين محمود الألوسي سر هذه الخوارق في تفسيره روح المعاني بقوله: «وما يشاهد من وقوعه لبعض المنتسبين إلى حضرة

الشيخ أحمد الرفاعي من الفسقة الذين كادوا يكونون لكثرة فسقهم كفاراً فقيل إنه باب من السحر المختلف في كفر فاعله وقتله فإن لهم أسماء مجهولة المعنى يتلونها عند دخول النار والضرب بالسلاح ولا يبعد أن تكون كفراً وإن كان معها ما لا كفر فيه، وقد ذكر بعضهم أنهم يقولون عند ذلك تلسف تلسف هيف هيف أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق أقسمت عليك ياأيتها النار أو أيها السلاح بحق حي حلي ونور سبحي ومحمد صلى الله عليه وسلم أن لا تضري أو لا تضر غلام الطريقة، ولم يكن ذلك في زمن الشيخ أحمد الرفاعي فقد كان أكثر الناس اتباعاً للسنة وأشدهم تجنباً عن مظان البدعة وكان أصحابه سالكين مسلكه متشبثين بذيل اتباعه ثم طرأ على بعض المنتسبين إليه ما طرأ»[1].

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذه المخاريق التي يفعلها هؤلاء المبتدعون من الدخول في النار وأخذ الحيات هي نوعان أحدهما أن يفعلوا ذلك بحيل طبيعية مثل أدهان معروفة يذهبون ويمشون في النار ومثل ما يشربه أحدهم مما يمنع سم الحية مثل أن يمسكها بعنقصتها حتى لا تضره، ومثل أن يمسك الحية المائية ومثل أن يسلخ جلد الحية ويحشوه طعاما وكم قتلت الحيات من أتباع هؤلاء. النوع الثاني: وهم أعظم عندهم أحوال شيطانية تعتريهم، فتنزل الشياطين عليهم كما تدخل في بدن المصروع، وحينئذ يباشر النار والحيات والعقارب ويكون الشيطان هو الذي يفعل ذلك، كما يفعل ذلك من تقترن بهم الشياطين من إخوانهم الذين هم شر الخلق عند الناس ويرى الإنسي واقفا على رأس الرمح الطويل، وإنما الواقف هو الشيطان ويرى الناس نارا تحمى ويضع فيها الفؤوس والمساحي ثم إن الإنسي يلحسها بلسانه، وإنما يفعل ذلك الشيطان الذي دخل فيه، ويرى الناس هؤلاء يباشرون الحيات والأفاعي وغير ذلك، ويفعلون من الأمور ما هو أبلغ مما يفعله هؤلاء المبتدعون الضالون المكذبون الملبسون الذين يدعون أنهم أولياء الله وإنما هم من أعاديه المضيعين لفرائضه المتعدين لحدوده والجهال -

---

[1] الألوسي:روح المعاني ص 17/69

لأجل هذه الأحوال الشيطانية والطبيعية- يظنوهم أولياء الله، وإنما هذه الأحوال من جنس أحوال أعداء الله الكافرين والفاسقين».[1]

- سبب القيام بذلك:

حسب معتقداتهم أن القيام بهذه الأمور هو من أجل أثبات وجود الله بالنسبة للملحدين وأثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأثبات وحدانية الله بالنسبة للمشركين أثبات صحة منهج وطريقة شيخ الطريقة حسب ما يؤمنون وكذلك لتثبيت إيمان المؤمن وأطمئنانه بخصوص دينه ومعتقده ويقولون ان مايميزها عن عن باقي الظواهر مثل الذي يقوم بها الهندوس وغيرها أن المُريد يستطيع القيام بذلك بأي وقت بعد أخذ الرخصة من شيخ الطريقة وأنها لا تستدعي وقتا أو مكانا معينًا.[2]

- بين البوذية والتصوف عموما ،والإسلامي خاصة:

1. البوذية.. تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها.[3]

البوذية.. تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها

---

[1] **ابن تيمية:مجموع الفتاوى ج11 ص610-611**

[2] علي خان : فعاليات الدروشة وأهدافها

[3] **. عبد الله مصطفى نومسوك :بتصرف**

البوذية.. تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها

نؤكد أن الديانة البوذية وإن كانت ديانة أرضية غير سماوية منزلة، فإن دراستها لا تقل أهمية عن الديانات السماوية، نظرا لكثرة أتباعها الذين يقدر عددهم (550 ، 867 ، 554) مليون، وهي ثالث أكثر الديانات أتباعا بعد الإسلام والمسيحية.

- أن بوذا قد تعلم مذاهب قومه ولم يخرج عنها، وأنه تعلم الفلسفة دون أن يكون له علم بالتاريخ، ولذلك يصنفه الكثير من الباحثين بأنه فيلسوف، وقد تضمنت نصوصه أهم عناصر دعوته التي يسميها البوذيون الحقائق السامية الأربع وهي:

– الألم موجود والحياة عنده عبارة عن سلسلة من موكب الآلام في سبيل البقاء، وهي تشير إلى النظرة المتشائمة للحياة، وتخالف النص القرآني.

– كل شيء له سبب وعامل ولا بد لهذا الألم من سبب أو عامل، فالإنسان له سبب في وجوده، فإذا أفنى سبب وجوده فني المسبب وهو الوجود وهكذا.

– إعدام الألم: فما دامت الرغبات والشهوات الإنسانية عند بوذا هي سبب الآلام، حتى حب الإنسان لأولاده هو سبب للآلام عن د فقدهم حسب معتقد بوذا، وبالتالي فلا بد من التخلص من الحب لتنتهي الآلام.

- الوسيلة لإعدام الألم:

وهي طريقة واحدة عند بوذا وهي اتباع ما يسمى "الشعب الثماني أو الممر الأوسط بين التلذذ والزهد": وهي قواعد الحياة الحقة في البوذية، وهي: سلامة الرأي والنية والقول والفعل والعيش والجهد والتفكير والتأمل.

- فلسفة إنكار الذات في البوذية، والأخلاق العامة التي يتبعها عامة الناس من المدنيين الذين يسكنون المنازل، والخاصة للرهبان الذين ينقطعون للتبتل، متناولا الأخلاق السلبية في البوذية.

- العقائد في البوذية: اشتملت الديانة البوذية كغيرها من الديانات على مجموعة من العقائد، غير أن معظم هذه العقائد ليست أصلا لها، وإنما مقتبسة من البرهمية، لأنها الديانة الأم في الهند التي تفرعت عنها سائر الديانات.

وقد اتفقت البوذية مع البرهمية في الاعتقاد "بكارما" أي قانون الجزاء، وبالتناسخ أيضا، مع اختلاف في تفسير هذه العقائد.

– بالنسبة لقضية الألوهية عند بوذا وأتباعه فهي قضية ثانوية، لأن مذهب بوذا معتمد على الأخلاق والتجربة الروحية، ولذلك يرى كثير من الباحثين أن البوذية فلسفة أخلاقية أكثر منها دين، وقد ناقش المؤلف في هذا المبحث شبهة نبوة بوذا والرد عليها، وقضية الألوهية عند البوذيين بعد بوذا، وانقسام أتباعه إلى من جعل بوذا ليس إنسانا محضا، بل روح الإله قد تجسد فيه فأصبح كائنا إلهيا، وبين من اعتقد ببشرية بوذا، وأنه مقدس ارتقى لمرتبة أسمى من الإنسان والملائكة والآلهة، فألهوه بهذا الاعتبار.

- قضية تراجع كثير من المثقفين البوذيين حديثا عن عدم وجود الإله الخالق، متأولين وجوده باسم "دهارما" بمنزلة الإله في المسيحية، بالإضافة لتناوله عقيدة الثالوث في البوذية التي تتألف من:

- بوذا المؤسس،

- و"دهارما" بمعنى تعاليم بوذا وشرائعه،

- و"سانغها" بمعنى أصحاب بوذا والقديسيين.

- عقيدة "كارما" أو ما يسمى قانون الجزاء عند البوذية، وهي كلمة سنسكريتية تعني "العمل"، أي كل عمل يعمله الإنسان قولا أو فعلا أو فكرا، وقد تناول المؤلف تفاصيل هذا القانون، بدءا من تعريفه، وانتهاء بنقدها.

-ومن ضمن عقائد البوذية عقيدة تناسخ الأرواح "سمسارا"، والتي تعتبر من أهم وأقدم العقائد الهندوسية، وقد تناول المؤلف تفاصيل هذه العقيدة، وفندها تفنيدا يظهر عوارها وتناقضها وبطلانها.

- عقيدة "نرفانا"، وهي كلمة سنسكريتية وتتألف من كلمتين:

"نر"ومعناها الانتهاء أو الانعدام، و"فانا" أي الشهوة، والمعنى انتهاء الشهوة، وهي متسقة مع النزعة التشاؤمية البوذية، التي تعتبر الحياة مصدر الآلام.

- الرهبنة في البوذية:

- تعريف الرهبنة البوذية ونشأتها، والتي تعني الامتناع عن جميع الرذائل والاعتزال التام عن الحياة المدنية، والرهبنة البوذية التي تعود إلى منتصف القرن السادس قبل الميلاد.

- وبين الرهبنة البوذية والرهبنة المسيحية بعض التشابه.

وهذا يؤكد اقتباس المسيحية المحرفة الكثير من عقائدها من البوذية، وذلك بالأدلة الموثقة.

-بعض نماذج من التقاليد والخصائص والنظم والآداب في الرهبنة البوذية، كلبس الأصفر وحلق الرأس والمشي حفاة، والتسول وترك العمل، والصوم والصمت الدائم والتبتل، وسكنى الدير والخضوع لشيخه، ناهيك عن الآداب الكثيرة التي يلتزم بها الرهبان البوذيين في حياتهم.

- طريقة تعبّد القديسين البوذيين، وبيان الخطوات والعبادات التي لا بد من تخطيها ليصل البوذي لمرتبة القديس. 5-المذاهب البوذية وانتشارها في الأقطار: هما مذهبان كبيران: قديم وجديد، أما القديم فهو شديد الصلة ببوذا وينتشر بجنوب الهند وبورما وتايلاند وكمبوديا، والجديد الذي اختلط بالآراء والنظريات الفلسفية، والذي انتشر شمال الهند والتبت ومنغوليا والصين واليابان وكوريا وفيتنام، وقد استعرض المؤلف أهم نقاط الاختلاف بين هذين المذهبين.

- الصوفية وعلاقتها بالبوذية:

- التعريف بالصوفية ونشأتها وعلاقة البوذية كمصدر من مصادرها: الصوفية كونها فرقة دينية أخلاقية فلسفية تقوم على الزهد في الدنيا والانصراف إلى الروح .

-هناك من يؤكد أن البوذية تعتبر مصدرا من مصادر الصوفية، مؤيدا كلامه هذا بالأدلة والبراهين وأهمها:

- انتشار البوذية بفارس وخراسان وما جاورهما قبل الفتح الإسلامي، وهي مواطن نشأة وخروج كثيرا من كبار الصوفية.

- دخول بعض البوذيين في الإسلام ونقلهم بقايا معتقداتهم السابقة وعدم تخليهم نهائيا عنها.

- وجود العلاقات الثقافية بين العرب والهنود.

-علاقة الصوفية بالبوذية في العقائد والأخلاق: وأوجه هذه العلاقة من خلال:

- الفناء: حيث تتشابه فكرة الفناء الصوفي مع عقيدة "نرفانا"البوذية، والتي هي عبارة عن التشبع الروحي والانصراف عن الدنيا كلها، وهي غاية ما يطمح إليه البوذي، كما أن الفناء الصوفي هو عبارة عن فناء الأوصاف المذمومة، أو الفناء المطلق،

وهي غاية ما يطمح إليه الصوفي، مؤكدا أن الفناء الصوفي هو طريق إلى عقيدة الاتحاد والحلول ووحدة الوجود الباطلة.

- في الطريق إلى الفناء: حيث تتشابه الوسائل والسبل والرياضات الروحية للوصول إلى حالة الفناء المطلوبة بين الصوفية والبوذية، فالتفاصيل الدقيقة المثبتتة في الكتب الصوفية حول وسائل وطرق الرياضة والمجاهدة، تشبه إلى حد كبير وسائل ورياضات البوذيين، كالزي واللباس والخلوة وتقديس الشيخ، والتجرد من المال والجاه وشهوة البطن والفرج، والصوم والصمت الدائم والعزلة....

- في الحلول والاتحاد: حيث ظهرت عقيدة حلول وتجسد الإله في شخص بوذا لينقذ الناس من آلام الحياة، كما اعتقد المسيحيون في المسيح عليه السلام، إلا أن البوذية زادت بإمكانية ارتقاء أي إنسان لمرتبة بوذا بالمجاهدة.

وقد ظهرت عقيدة الحلول في الصوفية في القرن الثالث الهجري بعد ما مهد لها أبو يزيد البسطامي الفارسي (ت 261ه) بنظرية الفناء، كما صرح بها الحلاج (ت309ه) في إشارة إلى كون البوذية مصدرا من مصادر الوصفية.

-علاقة الصوفية بالبوذية في العادات والتقاليدوفي هذا الإطار بعض تلك العادات والتقاليد وهي:

- لبس الخرقة والمرقعة: وهي شعار المتصوفة وعلامة على دخول أتباعهم في الطريق، والتي لا تلبس إلا من يد الشيخ، ولها شروط تشبه إلى حد كبير لبس الخرقة البوذية التي كانت علامة على الزهد.

- في اتخاذ الشيخ: فلا بد للمريد من شيخ وإلا فإن شيخه الشيطان، ولا بد أن يرتبط قلبه معه ويتوجه إليه ليأتي الفيض بواسطته.

ـ في ملازمة الرباط "الخلوة": وهو عبارة عن حبس النفس في مكان ما، وملازمة الأوراد وترك التكسب، وهو يشبه ملازمة الرهبان البوذيين للأديرة.

ـ السياحة: وهي عادة رهبان بوذا، وهي تجريد النفس من الشهوات واستخراج الأثرة والأنانية منها، وهي معروفة أيضا عند الصوفية، فكثير منهم يؤثر السياحة والسفر على الإقامة، ويخرجون إلى البوادي والصحارى والجبال.

ـ التسول وترك الكسب: فالرهبان البوذيون لا يتكسبون ولا يحترفون، بل يعيشون على عطاء الناس لهم، وهو حق شرعي لكل راهب بوذي، وهي عادة معروفة عند الصوفية، حيث يزعمون أنها حقيقة التوكل على الله.

ـالتصوف والثقافات المتعددة:

ـ وفي بحث آخر حول العلاقة بين البوذية والصوفية:
دكتور ألكسندر بيرزين

الحضارة والمسئولية العالميتَين كلاهما يعتمد على إقامة حوار بنَّاء بين الأديان الموجودة بالعالم، مثل البوذية والإسلام. مثل ذلك الحوار بإمكانه الحدوث على مستوى القيادات الدينية، كما بإمكانه الحدوث على مستوى العامة. علاوة على ذلك، يمكنه الحدوث على مستوى الموضوعات الأكثر عمومية، وكذلك على مستوى التفاصيل المحددة جيدة التوثيق.

مع ذلك، قيادات ومُتبعي البوذية والإسلام، سابقًا، كانوا غير واعين بشكل كبير بمعتقدات بعضهما البعض.

في الوقت الحاضر، هذا الوضع يتغير ببطء، ولكن هناك احتياج إلى بذل المزيد من الجهد. في هذا السياق، أصبح الإنترنت أداة وسيطة لها قيمتها في نشر المعلومات والحوار، خاصة بين العامة، وأكثر تحديدًا بين الشباب. إلا إن مُستخدمي الإنترنت، يواجهون مهمة هائلة الحجم، وهي غربلة المعلومات المتضاربة المتاحة، من أجل تحديد المصادر الموثوق بها وغير المتحيزة. في مواجهة ذلك التحدي، أوجه الشبه بين الصوفية والبوذية تسير في الاتجاه الصحيح فيما له علاقة بالعموميات، ولكن هناك حاجة إلى استكمال ذلك من خلال التحليل التفصيلي لبعض القضايا، تجنبًا لسوء الفهم.

على سبيل المثال، الحضارة البوذية والصوفية في وسط آسيا [1]على اتصال منذ أكثر من ألف عام، وخلال تلك الفترة، نمت الصوفية وانتشرت داخل العالم الإسلامي. في الحقيقة، الصوفية والبوذية يتعاملان مع القضايا نفسها المتعلقة بمحدودية الوجود البشري. مع ذلك، ليس بالضرورة أن يقود هذا إلى وجوب تأثر كل منهما بالآخر في صياغة حلولهم لتلك المسألة. لكن، هذا لا يلغي أيضًا إمكانية تبني بعض الأفكار من بعضهما البعض. لكن، التأكد من تبني تلك الأفكار يتطلب وصفًا تفصيليًا دقيقًا من أجل الوصول إلى نتائج أكثر مصداقية فيما يخص تبني تلك الأفكار. فبعد كل شيء، كل من الصوفية والبوذية لديهما سجلات طويلة، ومساحات جغرافية كبيرة، وتنوع ضخم في المدارس والمعلمين العِظام، وكل مدرسة منهم تركّز على أشياء مختلفة عن الأخرى.

على سبيل المثال، أبو يزيد البسطامي (٨٠٤-٨٧٤ م) أدخل في الصوفية مبدأ الفناء والخداع بسبب تأثره بمُعلمه أبي علي السندي. مبدأ الفناء يعني:

[1] دكتور ألكسندر بيرزين

انتهاء الوجود – الهدم الكامل للذات الفردية والاتحاد مع الإله في كيان واحد. مبدأ الخداع يعني: الحيلة والمكر، كوصف للعالم المادي. في التصوف الهندوسي والإسلامي، جادل روبرت تشارلز زاينر بشكل مقنع، بأن السيندي عُرِف عنه أنه قد تحوَّل من ديانة إلى أخرى، وغالبًا أخذ المبدأ الأول "الفناء" من التشاندوغيا ابانيشاد والمبدأ الثاني "الخداع" من السفيتاشيتارا أبانيشاد، كما شرحها شانكارا (٧٨٨-٨٢٠م) مؤسس الأدفايتا فيدانتا. جميع التقاليد البوذية تتعامل مع نفس موضوع النِرفانا – التحرر من إعادة الميلاد المتكررة – والعديد من مدارس الماهايانا تؤكد على أن مظهر العالم مشابه للوهم، مايا، لكن في الوقت ذاته ليس مرادفًا له. برغم ذلك، من غير المُرجَّح أن تكون أي من تلك الصيغ لعبت أي دور في تنمية الأفكار الصوفية.

على الجانب الآخر، باستطاعتنا العثور على أدبيات تم تبنيها من البوذية داخل الصوفية. مثلًا، صورة بوذا وهو مُحاط بمجموعة من الرجال العِميان وكل منهم يصف حيوان الفيل بشكل مختلف، اعتمادًا على قيام كل واحد منهم بلمس جزء مختلف من جسد الفيل، نجد هذا المثال في الصوفية في الكتابات الفارسية للباحث أبو حامد الغزالي (١٠٥٨-١١١١م)، حيث استخدم الصورة في دفاعه ضد الشكوك الفلسفية ليوضح أن العلوم الدينية الإسلامية تمتلك فقط حقيقة جزئية، بينما استخدمها بوذا في سوتراته للطوائف غير البوذية لإثبات عُقم مجادلات الفلاسفة في وجهات نظرهم المختلفة مع بعضهم البعض.

- تأثير بوذي آخر على الصوفية حدث في مجال التدريبات الطقسية، خاصة خلال فترة حكم الدولة الإيلخانية المنغولية لإيران (١٢٥٦-١٣٣٦م). أول خمس من ستة إيلخانات حكموا كانوا يتبعون البوذية التبتية، الاستثناء كان الخان أحمد تاكودار الذي تولى الحكم خلال الفترة (من ١٢٨٢ إلى١٢٨٤م). الخان السادس، الخان غازان تولى الحكم خلال الفترة (من ١٢٩٥ إلى١٣٠٤م)، الذي تحول إلى الإسلام على يد المعلم الشيعي الصوفي صدر الدين إبراهيم. الزيادة التي تم التركيز عليها، من هذا الوقت فصاعد، في تبجيل أضرحة معلمي الصوفية والتي

قد تكون تأثرت بالتبجيل البوذي للستوبات، النُصْب التذكارية التي تضم رفات المعلمين.

مع ذلك، لم يقتصر الأمر على تبني الصوفيين لأشياء من البوذية بشكل مباشر. فغالبًا ما عملت، في هذا النطاق، الديانة المانوية – وهي ديانة أساسية أخرى في منتصف آسيا – كجسر بينهما .

أحد الأمثلة، قصص الحيوات السابقة لبوذا عندما كان بوديساتفا والتي عُرفت في المصادر المسيحية في القرون الوسطى على إنها قصة بارلام ويهوشافاط. فمن المعروف جيدًا أن النسخة المانوية السوقدانية لتلك القصص كُتبت للمرة الأولى قبل ظهورها في النسخ العربية في كتاب بارلام ويهوشافاط، الذي كتبه أبان اللاحقي (٧٥٠-٨١٥م) في بغداد.

- التفسير الإسلامي اندمج به أجزاء من القصة العربية لحيوات بوذا السابقة، كتاب البوذا، والذي تم إعداده في هذا الوقت اعتمادًا على الترجمة العربية لنصين سنسكريتيين، قصص سبحة الحيوات السابقة ومآثر أشفاغوشا عن البوذا. بما أن نص اللاحقي لم يعد موجودًا، فليس واضحًا حجم المواد التي أدمجها من المصادر المانوية. إذا كان هناك بعض التأثيرات الأخرى، فغالبًا ما تم تقديمها من خلال الحوار بين الباحثين البوذيين والباحثين المسلمين المانويين، في ذلك الوقت، في البلاط العباسي.

علاوة على ذلك، تبني الحضارة الإسلامية من البوذية لم يكن مقصورًا على المجال الديني أو الأدبيات، وإنما امتد الأمر إلى مجال الطب، فعائلة البارماكيد لعبت دورًا مهمًا في تطورهم أثناء حكم الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي تولى الحكم خلال الفترة (من ٧٨٦ إلى٨٠٩م) كان رئيس وزراءه هو يحيى البرمكي، حفيد مسلم

لأحد مسئولي دير نافا فيهارا في إقليم البلخ في أفغانستان. على الرغم من وجود الباحثين البوذيين في بيت الحكمة في بغداد آنذاك، إلا أن يحى دعا المزيد من الباحثين البوذيين، خاصة من كشمير. مع ذلك، لم تتم ترجمة أي من النصوص الفلسفية البوذية للعربية تحت رعاية يحى البرمكي. بدلًا من ذلك، التركيز كان على ترجمة النصوص البوذية الطبية، من السنسكريتية إلى العربية، خاصة تحقُّقات محيط الرافيغوبتا.

مع ذلك، فهناك قضايا أكثر حساسية من الأديان، والأدبيات، والعلوم التي تم تبنيها.

- إنها قضية الأخلاق المشتركة على أساس من الحضارة والمسئولية العالميتين. على سبيل المثال، السودان، باكستان، إيران، والسعودية قد انتقدوا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي تم توقيعه في الأمم المتحد في عام ١٩٤٨، لأنه لم يضع في اعتباره الديانات والثقافات غير الغربية. اعتراضهم قاد إلى إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام، والذي تم تبنيه من قِبَل ٤٨ دولة إسلامية في مؤتمر مجلس وزراء خارجية منظمة التعاون الإسلامي. هذه الوثيقة تعترف فقط بحقوق الإنسان المنصوص عليها في الشريعة.

كطريقة للنظر إلى روح الشريعة، أكدت الصوفية على ما تدعوه "الطريقة"، مسار للتدرُّب الروحاني الذي يقود إلى الحق، الحقيقة. لكن لابد من الحذر الشديد لعدم الوصول إلى استنتاجات بإمكانية لعب الصوفية دور الجسر بين الإسلام والبوذية في مجال الأخلاقيات لمجرد كونها تتجنب التطرف الأصولي. العديد من المدارس الصوفية قد تكون موجودة اليوم في البلدان الإسلامية، لكن حقيقة أن جميع الدول الإسلامية وَقَعَّت على إعلان القاهرة، فهذا يعني بالضرورة أن أي أساس أخلاقي سواء للحضارة أو المسئولية العالَميين يجب أن يضع في اعتباره أصول الشريعة الإسلامية. لهذا، كأساس لأي حوار

آخر لصياغة مثل تلك القواعد الأخلاقية العالمية، لابد من تبني تحليلات أكثر عُمقًا وتعاريف للنقاط الأخلاقية المشتركة بين الديانات المختلفة في العالم، بالإضافة إلى النظام العلماني.

قد يكون الوضع بالفعل أن الصوفية بإمكانها تسهيل عملية التعلُّم بين البوذية والإسلام النابع من الرغبة في معرفة المزيد عن بعضهما البعض. إلا إنه، العثور على نقاط مشتركة بين الديانتين، لن يكون من المفيد حصره فقط على مفهوم التصوُّف. "التصوُّف" مصطلح تقني يُستخدم بشكل أساسي في النظم الإيمانية كأداة لبلوغ نوع ما من نشوة التوحُّد مع الإله. مثل ذلك المصطلح ليس له علاقة بالبوذية. ما قد يكون أكثر صلة بالبوذية هو أهمية وجود معلم روحاني وأدوات التأمل، مثل التأمل على الحب، تدريبات التنفُّس، تكرار ترديدات المانترا أو الأذكار، والتخيل. مع ذلك، مثل تلك الموضوعات، غالبًا ما سيهتم بها عدد قليل من جماهير البوذية والإسلام، وليس بين عموم التابعين التقليديين للديانتين.

لذلك، بالإضافة إلى التوثيق الجيد المُتاح على الإنترنت والمعلومات المطبوعة والدراسات المقارنة المتخصصة في البوذية والإسلام، فإن التغطية الإعلامية الواسعة للخدمات المتبادلة بين الأديان المُعدَّة من قِبَل القادة الدينيين ليس فقط للديانتين، ولكن لأكبر عدد ممكن من المشاركات من الأديان الأخرى، سيكون لها تأثيرًا إيجابيًا أكبر لتأسيس انسجام ديني، حضارة عالمية، ومسئولية عالمية.

فنحن نعيش في عالم واحد نتنفس هواء واحد ونشرب ماء واحد ،ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا.

اللهم ألّف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا واخرجنا من الظلمات إلى النور وجنبنا الفواحش ماظهر منها وما بطن.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على كل الأنبياء والمرسلين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وصدق الله القائل{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }[1]

فمن الإيمان : الإيمان بالله ،ورسله ،وكتبه ،ومن الإسلام : مسالمة الخلق ،وحسن الأخلاق مع جميع الناس.

عن سيدنا أبى ذر قال: قال: لى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: : اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن"[2].

فالتصوف لا يخرج عن الإيمان بالله الواحد الأحد واتباع الرسل الكرام والكتب الموحى بها إليهم ،وحسن الأخلاق مع كل المخلوقات

فتكون قبالا

ورهبنة

وتصوف

على أساس الكتاب والسّنة في كل دين من دين الله الخالق البر الرحيم وفق تجربة تتشابه أوتختلف مع غيرها ،ولكن الجميع في حدود طاعة ورسله.

---

[1] - **البقرة : 285 ،286**

[2] **سنن الترمذي 7 / 488**

وللتجربة الصوفية مؤيدون ومعارضون ،والكل في إطار الأخوة الإنسانية.

لا يعترف السلفيون ـ من كل الأديان – بالتجربة الصوفية الدينية، و يرون أنها بدعة وضلالة تسمى التصوف.

يرى السلفي الباكستاني "إحسان إلهي ظهير" تأثر الكثير من المتصوفة بأديان الهند حيث يقول:«كون التصوف وتعاليمه وفلسفته، أوراده وأذكاره، وطرق الوصول إلى المعرفة، والمؤدية إلى الفناء مأخوذة مستقاة من المذاهب الهندية والمانوية والزرادشتية أيضاً فلا ينكرها منكر، ولا يردها أحد، ولا يشك فيها شاك، بل إن كبار الكتّاب عن التصوف والباحثين فيه من المستشرقين والمسلمين، وحتى الصوفية أقروا بذلك حيث لم يسعهم إلا الاعتراف بهذه الحقيقة الظاهرة الجلية التي لا يمكن تجاهلها ولا إغفالها البتة»[1].

ويقول السلفي عبد الرحمن دمشقية " نرى أن التصوف قد تأثر بالاتجاه الهندي عموماً والبرهمي خصوصاً"، فالقول بالفناء الذي يدين به الصوفية هندي بحت، وحتى الطريقة الممهدة لحصول هذا الفناء ـ وهي طريقة الرياضة، ومخالفة الشهوة وتعذيب الجسد ـ هي طريقة هندية أخذها الصوفية عنهم ، وهذا ليس بسرّ، فالصوفية يصرحون بذلك ويشيرون إلى عبادة الهنود، ورياضاتهم ويتمثلون بها مما يؤكد أخذهم عن هذا المصدر»، والمقصود هنا بالفناء ما يطلق عليه نيرفانا.

والرأي نفسه يصرح به أنور الجندي الذي يقول:«وقد تأثر التصور الصوفي بمفاهيم الغنوصية والفلسفات اليونانية والهندية والمسيحية عليه، وكلها خارجة عن مفهوم التوحيد الخالص وبعيدة عن التصور الإسلامي وقيم الإسلام الأصيلة».

ـ رأي الصوفية:

---

[1] نور التحقيق: للشيخ حامد صقر ص 80

بينما يرى الصوفية أن هذا غير صحيح، وليس اقتباساً من الديانات الأخرى، لأنه لا دليل عليه، وإنما هو تشابه التجربة الإنسانية الروحية في مختلف الديانات، نتيجة وحدة النفس البشرية، ولو اختلفت اللغات والثقافات. والتصوف هو نتيجة جهود عقلية ومجاهدات روحية تخصص فيها الصوفية، فنتج عنها فهم مختلف عن فهم الفقهاء السطحي. قال العز بن عبد السلام: قعد القوم من الصوفية على قواعد الشريعة التي لا تنهدم دنيا وأخرى وقعد غيرهم على الرسوم[1] ورجل عالم فقيه أصولي متكلم متبحر في معرفة عقائد الفرق والمذاهب مثل الإمام الغزالي، يرى أن التصوف هو أرقى ما توصل إليه العقل البشري من الرقي، فيقول: «إني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى، خاصة وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به»[2]. فهو يرى أن التصوف مبني على سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفهم روح منهاجه وطريقه.[3]

ومما تقدم نقول:

إن الكل يسيرون في طريق ديني مصدره السماء:

- اليهودية (القبالا)
- المسيحية (الرهبنة)
- الإسلام (التصوف)

[1] نور التحقيق: للشيخ حامد صقر ص 96

[2] المنقذ من الضلال للإمام الغزالي تحقيق الدكتور عبدالحليم محمود ص (145).

[3] الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية ـ يوسف خطّار ص 11

ويجمع هؤلاء أنهم أخوة وبشر يطمحون إلى السلام خارجيا وداخليا.
والله الواحد الفرد الصمد يهدي الجميع.
د\ سالم عبدالعزيز سالم عوده.

المصادر:

- القرآن الكريم

- الكتاب المقدس (العهد القديم –العهد الجديد)

- حامد صقر: نور التحقيق: للشيخ

- المنقذ من الضلال للإمام الغزالي تحقيق الدكتور عبدالحليم محمود

- يوسف خطَّار: الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية ـ
- " معهد كروك لدراسات السلام الدولي، جامعة نوتر دام.. ما هو بناء السلام الاستراتيجي؟". 2018 ،"فهم بناء السلام باعتباره محليًا بشكل أساسي". الاستقرار: المجلة الدولية للأمن والتنمية
- جينيفر م. (2007). "هل يمكن لحفظة السلام أن يكونوا بناة سلام؟". حفظ السلام الدولي.
- كرافت ، كينيث (1992). السلام الداخلي ، السلام العالمي: --
- مقالات عن البوذية واللاعنف. 1992. ص.2
ديمتري أفييرينوس، *مقالة في التقمص*، سلسلة الحكمة 2.
- يسري حسن، يوجا للجميع
- لاروس :موسوعة القرن(2006). تونس: الدار المتوسطة للنشر
-نورة الطنيجي:
نورة الطنيجي :حول القبالا شبكة المعلومات ومواقع التواصل.

- "- علاقة الباطني بالظاهر في تفسير Pardes الرباعي للتوراة والوجود
- يهودا ليب هاليفي اشلاق :الحرية". مكتبة القبالة. تفسير يهودا ليب هاليفي اشلاق | مكتبة الكابالا - معهد بني باروخ الكابالا للتعليم والبحوث معهد بني باروخ لاب دراسات ودراسات القبالة ." Kabbalah.info.
- أ ب غال ايناي. "موضوعات في الفكر الصوفي اليهودي: معنى كلمة الكابالا - الجزء الأول -" التقليد المتلقى "(مواضيع حول الفكر التصوفي في التوراة: معنى كلمة - الجزء الاول - علماد المُستلم).
- قاموس المعاني. معنى قبالة في معجم المعاني الجامع.

-غال ايناي. معنى كلمة الكابالا: الجزء 2 - الكابالا كـ "مراسلات" (معنى كلمة: الجزء الثاني).

- ليف لاي. تاريخ الكابالا. تاريخ القبالة. دورية منظور مشيح يهودي. - Beit hachokhma ،Toldot Adam ،R. Isaiah Horowitz ، 14كتاب الزوهار
- الكابالا: مقدمة قصيرة جدًا ، جوزيف دان ، مطبعة جامعة أكسفورد ، فصول عن "ظهور الكابالا في القرون الوسطى" و "مذاهب الكابالا في العصور الوسطى"

- موشيه إيديل ، الحسيدية: بين النشوة والسحر

- أ ب يهودا أشلاغ ؛ مقدمة لحكمة الحقيقة
- شير هاشريم رباح 4:22 ، روث رباح 1: 2 ، آريه كابلان التأمل اليهودي: دليل عملي ص 44-48
-يهودا أشلاغ ؛ مقدمة لحكمة الحقيقة ، ص 12

- جوزيف دان الكابالا: مقدمة قصيرة جدًا ، ، مطبعة جامعة أكسفورد 2007. الفصول: 5 العصور الحديثة I The Christian - Kabbalah، 9بعض جوانب الكابالا المعاصرة

- رفيق ، لويس جاكوبس الدين اليهودي: ، مطبعة جامعة أكسفورد 1995
- آرتسون ، برادلي شافيت. من المحيط إلى المركز: الكابالا وحركة المحافظين ، United Synagogue Review، ربيع 2005 ، المجلد. 57 رقم

- أحمد ايبش. ترجمة الدكتور سهيل زكار. (2006).

- التلمود كتاب اليهود المقدس التلمود كتاب اليهود المقدس

- شتيرن ، شنور. :النشط مقابل التأمل السلبي. موقع كابالا اونلاين.

- صنع القبالة. من موقع سبارك نوت
- آرتسون ، برادلي شافيت. من المحيط إلى المركز: الكابالا وحركة المحافظين ، United Synagogue Review، ربيع 2005

-اورباخ. الحكمة ،

- الزوهار الاول ، 15 أ الترجمة الإنجليزية من التصوف اليهودي ـ دان ـ كوهن شربوك ، حانة ون وورلد ، مقتطفات من الباطنية اليهودية ،

ـ كتاب زوهار الأول : أ الترجمة الإنجليزية من التصوف اليهودي ـ مختارات ، دان كوهن شيربوك ، حانة ون وورلد ،

- لشرح قصير. الغالبية العظمى من نظام Lurianic يتعامل فقط مع التعقيدات الموجودة في عالم Atzilut كما هو موضح في مقدمات كل من Otzrot Haim و.Eitz Haim

- يحيئيل بارليف :أغنية الروح73

- جيه إتش لينين ، الباطنية اليهودية

- بييرو كانتوني : "علم الشياطين والتطبيق العملي لطرد الأرواح الشريرة وصلوات التحرير" ، في فيدس كاثوليكا 1 (2006.] 3[
-جوزيف دان ، الكابالا: مقدمة قصيرة جدًا ، اكسفورد ، فصل حول "القبالة المسيحية
- سيراش الثالث. 22 ؛ قارن التلمود والحجيقة 13 أ ؛ مدراش سفر التكوين رباح ، ثامنا.

-الحسيني ، معدي. :القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم
- خفايا كتاب اليهود المقدس اليهودي - وثيقة الرعب والارهاب اليهودي. نشر دار الكتاب العربي ، دمشق. 2007.
- الكابالا - السحر - وعام 2011. موقع الماسونية
- جمال عمر. الكابالا .. ومؤامرات إبليس (3). بوابة روز اليوسف.
- شيليمون رينخ الكابالا:

- محمد الغرايب - التصوف اليهودي بين العقيدة والتاريخ
- محمد الغرايب ، يهود مجتمع المغرب الأقصى الوسيط ، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ظهر المهراز ، 2002
- حاييم الزعفراني.: .Kabbale vie mystique et magie Maisonneuve et Larose
- ج. شولم ؛ قبالي. éd. القدس ، 1974
-ج. س. أناواتي و ل. جارديت ؛ سحر مسلمان. باريس 1976 ، 1 – 205
-
La Politique d'Al Ghazali. Geuthner, Paris 1970, 72-73. :هنري لاووست

- جيلمان ، جيروم ،: "التصوف" ، موسوعة ستانفورد للفلسفة (إصدار صيف 2011)
- أحمد أحمد بدوي: الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية لمصر والشام -مكتبة نهضة مصر - الفجالة ط 1 دت
- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، مكتبة
- أبوالعلا عفيفي : التصوف الصورة الروحية في الإسلام .ط دار المعارف سنة 1967م.

- أبو الوفا التفتازاني : مدخل إلى التصوف الإسلامي . دار الثقافة، القاهرة سنة 1983.
- آسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه . ترجمة عبدالرحمن بدوي سنة 19655م.
- أحمد ديدات ،محمد المثال الأسمى ، ترجمة محمد مختار دار المختار للنشر والتوزيع والتصدير د.ت .
- باخوس ، فرانسيس جوزيف. "الرهبنة الشرقية قبل خلقيدونية (451 م)".
- "الموقر باخوميوس الكبير ، مؤسس الرهبنة Coenobitic" ، الكنيسة الأرثوذكسية في أمريكا

- بتلر ، إدوارد كوثبرت. "القديس أنتوني". الموسوعة الكاثوليكية شركة روبرت أبليتون
- الأنبا بيشوي مطران دمياط :مقال بتصرف
- دير الروح القدس : الرهبنة المبكرة" ،
- رولينج ، مارجوري. الحياة اليومية في العصور الوسطى. لندن: Jarrold and Sons Ltd، 1968 ،
- رينولد نيكلسون : في التصوف الإسلامي وتاريخه ،ترجمة دكتور أبو العلا عفيفي 1959م.
- سارة علام : مقال عن الرهبنة القبطية
- سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى مكتبة الأنجلو سنة 1963م.
- الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الأندلس 1988م.
- عبدالحفيظ بن محمد مدني : أخبار الحلاج ، مطبعة الجندي سنة 1970م.

- عبدالحكيم حسان: التصوف في الشعر العربي، ط الأنجلو سنة 1954م.
- عبدالحليم محمود : المنقذ من الضلال ، دار المعارف1988 " عرض وتقديم"

- عبدالرحمن بدوي : مناهج البحث العلمي ط2 بيروت لبنان دار العلم سنة 1977م.

- - د.ق فايز فارس :من كتاب أضواء على الإصلاح الإنجيلي

- محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية ، مطبعة النجاح القاهرة سنة1961م.

- محمد علي أبو ريّان : الإشراقية مدرسة أفلاطونية إسلامية ، مقال ضمن كتاب شهاب الدين السهروردي في الذكرى المئوية الثامنة ، الهيئة العامة للكتاب سنة 1974م.
- اصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي ، دار المعرفة الجامعية سنة2002م.
- محمد عيد العباسي : التوسل أنواعه وأحكامه - بحوث كتبها وألقاها محمد ناصر الدين الألباني ، المكتبة الإسلامية بيروت لبنان سنة 1996م.
- محمد غنيمي هلال : الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ، القاهرة ط2 1960م.
- محمد فؤاد شاكر : الأحاديث الموضوعة عند الصوفية في القرن السابع الهجري .كلية التربية جامعة عين شمس 2002م/

- محمد فؤاد عبدالباقي : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان- دار إحياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة 1949 مكتبة جامعة القاهرة .
- محمد فتوح أحمد : الرمز والرمزية في الشعرالمعاصر ط2 دار المعارف ، القاهرة 1978م.

- محمد لبيب البوهي : صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم القاهرة 1976م.
-هادلستون ، جيلبرت. "الرهبنة". الموسوعة الكاثوليكية. المجلد. 10. نيويورك
- ماكدونالد ، فيونا: كيف ستعيش في العصور الوسطى ؟. نيويورك: فرانكلين واتس ، 1995 ،
- هاربر ، دوغلاس. "راهب". قاموس علم اشتقاق الألفاظ
-أطلس ثقافي للشباب في العصور الوسطى طبعة منقحة. نيويورك: حقائق في ملف ، شركة 2004 ،

- هاني لبيب :موقع الأقباط متحدون بتصرف
- ويلكن ، روبرت لويس : الألف سنة الأولى: تاريخ عالمي للمسيحية. نيو هيفن ولندن: مطبعة جامعة ييل.
-يوسابيوس القيصري :التاريخ الكنسي

- المعاجم :
- لسان العرب لابن منظور
- مختار الصحاح
- القاموس المحيط للفيروز أبادي.
- تاج العروس للزبيدي.

- الرائد ،   معجم لغوي عصري - خيرات مسعود ط 1 بيروت سنة 1964 م معجم ---الرائد معجم لغوي عصري - خيرات مسعود ط 1 بيروت سنة 1964 م
- مجلة الكرازة / عدد 18 بتاريخ 4/ 5/ 1979 م)
- معجم المعاني الجامع
-الموسوعة الكاثوليكية. المجلد. 10. نيويورك
-"الرهبنة المثلثية". Encyclopædia Britannica
-"مرساة". موقع العصور الوسطى
- غاردنر ، إدموند. "جوليانا نورويتش". الموسوعة الكاثوليكية المجلد. 8. شركة روبرت أبليتون
-"Monasticism" ، كنيسة البشارة للروم الأرثوذكس ، ناسو ، جزر الباهاما 25 أكتوبر

-غرفة الحوار الإسلامي المسيحي ١٥ أغسطس ٢٠١٩ موقع الفيس بوك

-   موقع الفرنسيسكان العلمانيين
-مقال الرد على إفتراءات كتاب: عبادة الأصنام فى الكنيسة الأرثوذكسية للمؤلفة د. حنين عبدالمسيح
و - برنامج المكتبة الشاملة (كتب ألكترونية بالحاسوب)
- شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

-التصوّف المسيحي ... العشق الإلهي على طريقة المسيح ؛ موقع رصيف شبكة المعلومات ومواقع التواصل.2

-كتابات الأدب الأسباني الصوفية ،

- أبوحامد الغزالي: المنقذ من الضلال للإمام الغزالي تحقيق الدكتور عبدالحليم محمود

- يوسف خطار:الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية -
-جون؛ فيرغسون (2014). الموسوعة الصوفية والديانات السرية. دار فرقد

- سلام ، سوليشين (1989). تسعة ولاة في منظور التاريخ. جاكرتا: كونينغ ماس.
-بسري مصطفى (Sejarah Para Wali (2018. (بالإندونيسية).
- نصوحي ، حامد (2017). "شخيات سنن كاليجاغا في تقاليد مطرام الإسلامية". الدراسات الإسلامية. جمهورية إندونيسيا: جامعة سياريف هداية الله الإسلامية الحكومية في جاكرتا. ج. 24 رقم 1. ص. 151 - ISSN 2355-184 .
- أكو بيرلو ألمو دراسة لمنهج الصوفية في الدعوة إلى الله في عالم الملايو". أنا احتاج إلى العلمي ...... اسأل لماذا
- هامكا (2020). Dari Pembendaharaan Lama: Menyingkap Sejarah Islam di Nusantara
- لوكينز بول ، رونالد (2005). :الجهاد السلمي
-: التفاوض على الهوية والحداثة في جافا الإسلامية. الولايات المتحدة: بالجريف ماكميلان
- بوروادي ؛ إنيس نيكين (2007). داكوة والي سونجو: بينيباران إسلام برباسيس كولتورال دي تاناه جاوا (بالإندونيسية). يوجياكارتا: بانجي بوستاكا
-طبارة ، نايلا (2017).: الدراسات الإسلامية أمام التنوع الثقافي في العالم المعاصر. بيروت ، لبنان: دار الفارابي.
- رمضان ، محمد رزقي (2006).: أثر الأدب العربي الإسلامي في الأدب الإندونيسي الإسلامي .(PDF) الخرطوم ، السودان: جامعة إفريقيا العالمية
- كاهايا إيلمو- "نبذة تاريخية عن مجيئ الإسلام إلى إندونيسيا".
-شودجيم ، أحمد (2003). Mistik dan makrifat Sunan Kalijaga (بالإندونيسية). جاكرتا: سيرامبي.

-"نيرفانا". قاموس راندوم هاوس ويبستر غير مختصر.
- ريتشارد جومبريتش :، ثيرافادا البوذية: تاريخ اجتماعي من بيناريس القديمة إلى كولومبو الحديثة. روتليدج

- كودوس كوتا والي:. بابيدا كابوباتين كودوس.
- بكتي توفيق آري نوغروهو ، شوروني ، م. مينانور رومان (2020). "تلاوة خلافة السنن القدوس في الدعوة الثقافية". المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية
- مارسونو (2018). Dampak Pariwisata Religi Kawasan Masjid Sunan Kudus Terhadap Ekonomi، Dan Sosial-Budaya (،Lingkungan بالإندونيسية). يوجياكارتا: مطبعة جامعة جادجا مادا
- عفيف ، محمد (2017). "Pendidikan Tasawuf Multikultural dalam Perspektif Sunan Kudus dan Implikasinya pada Pendidikan Islam Nusantara". Esoterik: Jurnal Akhlak dan Tasawuf (بالإندونيسية). كودوس: دراسة البرنامج Tasawuf dan Psikoterapi ، Fakultas Ushuluddin، معهد أغاما إسلام نيجري كودوس. المجلد. 3 ، لا. 2. ص 273 -
- الألوسي:روح المعاني 1
- ابن تيمية:مجموع الفتاوى
-علي خان : فعاليات الدروشة وأهدافها
-يسري حسن، يوجا للجميع
-ـ لاروس :موسوعة القرن(2006). تونس: الدار المتوسطة للنشر
ـ أمين حمزاوي :مقال عن البوذية شبكة المعلومات ومواقع التواصل.

- فراس السواح: دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني،
- عبد الله مصطفى نومسوك : البوذية والصوفية

- دكتور ألكسندر بيرزين- البوذية

- يوفال نوح هراري : شبكة المعلومات ومواقع التواصل.

-المراجع:

أنور الجندي:

- المدخل إلى القرآن الكريم.

-مصابيح العصر والتراث.

- قراءة إسلامية لتاريخنا.

- اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب.

- الضربات التي وجهت للأمة الإسلامية.

- اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار.

- كسر طوق الحصار.

- الشبهات والأخطاء الشائعة.

- الصحافة والأقلام المسمومة.

- عالمية الإسلام.

- سلسلة الأصالة (50 جزء حلقة).

- سلسلة موسوعة العلوم الإسلامية

- محمد فريد وجدي رائد التوفيق بين العلم والدين

- الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية

-آفاق جديدة في الأدب والتاريخ والتراجم ،ط. مكتبة الأنجلو، مصر، إيداع 1978 م،

- سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ،ط. مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، إيداع 1984 م

- تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة تحاصر الإسلام وتحمل لواء هدم قيمه الأساسية / ط. مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، إيداع 1993 م

-العودة إلى المنابع دائرة معارف إسلامية

-العودة إلى الهوية الإسلامية

- تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين 1920 - 1940 م /ط. دار الاعتصام ، القاهرة

- سلسلة موسوعة العلوم الإسلامية.

- أسلمة المناهج والعلوم والقضايا المعاصرة

- مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام / ط. مجمع البحوث الإسلامية، مصر، 1417 هـ / 1996 م، سلسلة البحوث الإسلامية

- من اليقظة إلى الصحوة خلال المرحلة من 1933 م - 1988 م، ----- تطور الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية / ط. دار الاعتصام ، القاهرة، إيداع 1989 م

- في مواجهة الحملة على الإسلام /

- سلسلة موسوعة العلوم الإسلامية.

- الفكر الإسلامي والثقافة الغربية المعاصرة في مواجهة التحديات ----
--الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي /

- من طفولة البشرية إلى رشد الإنسانية

- سقوط نظرية دارون

- أنور الجندي : محاذير وأخطار في مواجهة إحياء التراث والترجمة من الفكر الغربي

- بماذا انتصر المسلمون ؟ |

- من طفولة البشرية إلى رشد الإنسانية
- ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني : الكامل في التاريخ - دار الفكر العربي بيروت سنه 1987م.
- ابن عطاء الله السكندري : لطائف المنن في مناقب أبي العباس وشيخه أبي الحسن د ت.
- ابن العربي القاضي ، أبوبكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي : أحكام القرآن ،بيروت لبنان دت .
- ابن عربي ، أبو بكر محيي الدين بن عربي الحاتمي : الفتوحات المكية . تحقيق وتقديم عثمان يحيى تصوير ومراجعة إبراهيم مدكور- القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة1972م.
- ديوان ابن عربي ، نسخة مصورة عن مطبعة بولاق جامعة القاهرة دت.
- فصوص الحكمة ط البابي الحلبي سنة 1946م.
البابي الحلبي د.ت
- أبوحامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، دار نهر النيل دت.

- أحمد عز الدين عبد الله خلف الله :من قادة الفكر الصوفى الإسلامى سيدى إبراهيم الدسوقى،: المجلس الاعلى للشئون الإسلامية

- أبوالعلا عفيفي : التصوف الصورة الروحية في الإسلام .ط دار المعارف سنة 1967م.

- أبو الوفا التفتازاني : مدخل إلى التصوف الإسلامي . دار الثقافة، القاهرة سنة 1983.

- آسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه . ترجمة عبدالرحمن بدوي سنة 19655م.

- د. جوده محمد أبو اليزيد : بحار الولاية المحمدية فى مناقب أعلام الصوفية،

- رجب الطيب الجعفرى :شيخ الإسلام الدسوقى قطب الشريعة والحقيقة

- رينولد نيكلسون : في التصوف الإسلامي وتاريخه ،ترجمة دكتور أبو العلا عفيفي 1959م.

- سيد الشبلنجى: نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار، مكتبة ومطبعة الفجر الجديد.

سعاد ماهر:مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج 2 المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

سعد القاضى : العارف بالله سيدى إبراهيم الدسوقى، دار غريب للطباعة

- سيد عبدالتواب عبدالهادي : الرمزية الصوفية في القرآن الكريم دار المعارف 1979م.

- شوقي ضيف عصر الدول والإمارات دار المعارف سنة 1988.

- أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري : الجامع الصحيح - صحيح مسلم- دار المعرفة بيروت لبنان مكتبة جامعة القاهرة سنة 1983م.
- أبو داود : مسند أبي داود ،مطبعة أنصار السنة القاهرة سنة1948م
- البخاري ، محمد بن إسماعيل : صحيح أبي عبدالله البخاري تقديم أحمد محمد شاكر بيروت لبنان دارالجيل سنة 1980م مكتبة جامعة القاهرة .
- البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين ت 458هـ : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، وفّق أصوله وأخرج حديثه وعلق عليه عبدالمعطي قلعجي - بيروت لبنان دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة 1985م .

- أحمد الرفاعي : البرهان المؤيد دت
- أحمد عربي الشرنوبى : تائية السلوك الى ملك الملوك، مكتبة القاهرة

- حسين مجيب المصري، تاريخ الأدب التركى، مطبعة الفكرة، القاهرة، 1951 م.

- زكي مبارك: في التصوف
- زكي نجيب محمود: الفلسفةالباطني
- شمس فريدلاندر: كتاب «دوامة الدراويش»
- السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن أبو بكر السيوطي : الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ، تحقيق محمد خليل هراس - القاهرة دار الكتب الحديثة سنة 1976م.
- تنوير السالك على شرح موطأ مالك - بيروت لبنان دار الندوة الجديدة سنة1969م.
- الحاوي في الفتاوي - دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة 1952م.
- مسالك الحنفا في والدي المصطفى د.ت

- مصطفى كمال وصفي : الإمام الكبير أحمد الرفاعي وطريقته - المطبعة الأحمدية الرفاعية بالوراق د ت .
- الإمام عبد الرؤف المناوى :الكواكب الدرية فى السادة الصوفية أو طبقات المناوى الكبرى، المجلد الثانى: المكتبه الأزهرية للتراث.

- جلال الدين الكركى: لسان التعريف بحال الولى الشريف سيدى إبراهيم الدسوقى، مكتبة الرحمة المهداه
- الشعراني : الطبقات الكبرى، مكتبة الأزهر 1289هـ.
- الطبري ، محمد بن جرير الطبري:جامع البيان في تفسير القرآن جمع أبي يحيى محمد بن طمادح التجيبي ، مجمع البحوث الإسلامية - دار الفكر العربي سنة 1993م.
- العز بن عبدالسلام :حل الرموز ومفاتيح الكنوز، جريدة الإسلام بمصر - مكتبة جامعة القاهرة .
- العزيزي ، علي نور الدين بن إبراهيم الشهير بالعزيزي : السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير مصر سنة 1304هـ مكتبة جامعة القاهرة.
- القرطبي ، أبو عبدالله بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت 1957م .
- سيدى محمد أبى المحاسن القاوقجى : مجمع الأسرار ومنبع الأنوار، ، الطريقة الشاذلية القاوقجية.
- سيدي محمد بن عيسى: ديوان شعر سيدي محمد بن عيسى
- عبدالله أحمد إبراهيم :المولوية بعد جلال الدين الرومي/ ترجمة عبد الله أحمد إبراهيم.- القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003
- الشيخ عبدالغني النابلسي: العقود اللؤلؤية في طريق السادة المولوية، مطبعة الترقي بدمشق، الطبعة الثانية، 1932 م.

- عناية الله إبلاغ الأفغاني ، جلال الدين الرومى بين الصوفية وعلماء الكلام، الدار المصرية اللبنانية، 1987 م.

-عاطف جودة نصر : الخصائص الفنية والخصائص الصوفية في شعر عمر بن الفارض ، رسالة ماجستير1971م.
- الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الأندلس 1988م.
- عبدالحفيظ بن محمد مدني : أخبار الحلاج ، مطبعة الجندي سنة 1970م.
- عبدالحكيم حسان: التصوف في الشعر العربي، ط الأنجلو سنة 1954م.
- عبدالحليم محمود : المنقذ من الضلال ، دار المعارف1988 " عرض وتقديم"
- أبو مدين الغوث ، مطبوعات الشعب سنة 1972م.
- د. عبد المنعم الحفنى: الموسوعة الصوفية، دار الرشاد.
المهدى: دار غريب للطباعه والنشر.

- محمد إبراهيم محمد سالم: شرعية التصوف فى مناقب سيدى ابراهيم الدسوقى وأحزابة وأوراده، الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع
- محمد العبْده طارق عبد الحليم:الصوفيةنشأتها وتطورهاالطبعةالرابعة 2001 م
- محمد تقي الدين الهلالي : الحسام الماحق
- دكتور محمد سعيد رمضان البوطي: السلفية
- محمد ماضي أبوالعزائم :نيل الخيرات في ملازمة الصلوات
- محمد عبده الحجاجي : أبو الحجاج الأقصري قطب زمانه ومدده سنة1987م
- محمد عثمان عبده البرهاني : تبرئة الذمة في نصح الأمة - الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية د.ت.
- انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، الخرطوم 1999م
- أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية - سوريا د ت.
- أوراد الطريقة الرفاعية – مظبعة بولاق دت
- مولانا السيد محمد علاء الدين أبو العزائم.:(خاتم الوراث المحمديين)

- محمد فؤاد شاكر : الأحاديث الموضوعة عند الصوفية في القرن السابع الهجري .كلية التربية جامعة عين شمس 2002م/
- محمد فؤاد عبدالباقي : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان- دار إحياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة 1949 مكتبة جامعة القاهرة .
- مصطفى حبش المدني: (النصرة النبوية لأهل الطريقة الشاذلية)
- مجموع الأوراد الكبير وحزب الدسوقى الكبير والصغير، مكتبة الفجر

- ممدوح الجربي : الصوفية وطرقها
- المناوي:التوقيف على مهمات التعاريف - المناوي

- مصطفى كمال وصفي : الإمام الكبير أحمد الرفاعي وطريقته - المطبعة الأحمدية الرفاعية بالوراق د ت .
- الإمام عبد الرؤف المناوى :الكواكب الدرية فى السادة الصوفية أو طبقات المناوى الكبرى، المجلد الثانى: المكتبه الأزهرية للتراث.

-من المعاجم :
- لسان العرب لابن منظور
- مختار الصحاح
- القاموس المحيط للفيروز أبادي.
- تاج العروس للزبيدي.

- شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)
- المكتبة الشاملة